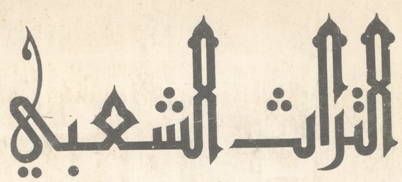


التراث الشعبي

مجلة تصدرها وزارة الثقافة والاعلام - دائرة الشؤون الثقافية والنشر
العدد الفصلي الثاني - ١٩٨٥

صانع الفخار

إهـــــــداء2005

أ/إبراهيم منصور غنيم

القاهرة



تصدرها وزارة
الثقافة والاعلام
دائرة الشؤون
الثقافية والنشر

رئيس التحرير :

باسم عبد الحميد حمودي

الجمهورية العراقية . بغداد

مجلة التراث الشعبي

دائرة الشؤون الثقافية والنشر

شارع الخلفاء

بغداد - الجمهورية العراقية

هاتف : ٤١٦٩٣٨٠ (بدالة ذات عشرة خطوط)

الاشـراف الفنـــي

فائزه عبداللطيف

- لاتعاد المقالات لاصحابها سواء نشرت ام لم تنشر
- يرسل بدل المشاركة بحوالة بريدية او مصرفية باسم دائرة الشؤون الثقافية والنشر - شارع الخلفاء ، بغداد . وترفض المبالغ النقدية المظروفة رفضا باتا .
- لاتقبـــل المشـاركـة لاقــل من ســنة

✡ ✡

- ☐ ثلاثـة دنـانيـر داخـل العــراق
- ☐ اربعة دنانير في الاقطار العربية
- ☐ ســـتة دنـانيـر بقيـة الاقطـار

المحتـوى

الصفحة

الافتتاحية : تراثنا الشعبي يزهو ويزدهر في ظل قائد النصر **رئيس التحـرير**	٥
برقيـة الى قائـد النصـر	٧
الحلقة الدراسية لاسبوع الفولكلور العراقي كلمات ، توصيات البيان الختامي	٨
التراث الشـعبي	
قراءات في ادب الحرب عند العرب **صالح مهدي العـزاوي**	١٧
عناصر من التراث الشعبي الاردني ووظيفتها الاجتماعية **د . احمـد الرباعية**	٢٣
المستشرقون والامثال العربية **جليـل العطيـة**	٣٥
امثـال لقمـان الحكيـم **د . يوسف حبـي**	٤٢
الخطبة في التقاليد القبلية الافريقية **د . محمود زناتي**	٥٥
المتاحف الاثنولوجية الشعبية التراثية **د . مجيد حميد عارف**	٦٥
التراث الشعبي الفلسطيني في الرحلات العربية **فـؤاد عباس ابراهيم**	٧٥
الماثورلوجيا مطلب فلكلوري **د . هاني ابراهيم جابر**	٨١

الصفحة

طغيان الشرق على الادب الغربي في العصر الوسيط **جان ريشار ترجمة د . اكرم فاضل**	٩٥
المعجم الميثولوجي **لطفي الخوري**	١٠١
حكايات شعبية : الطائر الذى لم يمت **ترجمة نجمان ياسين**	
ولا تصنع المعروف مع غير اهلـه **قاسم حميد صالح**	١١٧
مكتبة التراث الشعبي : عـلم الفولكلور **قاسم خضير عباس**	١٢٥
الاساطير الفرعونية **محمود بيومـي**	١٣٥
الحمامات الشعبية **ناجي جـواد**	١٣٩
كيف نشأت هذه المعتقدات ؟ **سعيد احمـد حسن**	١٤٦
رقصة الطابك والساس **عبداللطيف العاضيدي**	١٥٧
حـول المسـك والعنبر **عزيز علي العـزي**	١٦٢
الحسب والنسب واثرهما في حياة الناس **د . مصطفى نعمان بدرالدين**	١٦٩
صور من مدينـة طنجـة **نينـا جميل**	١٨٤
تعقيب : جميل الطائي	١٩٠
القسـم الانكليزي **كاظم سعدالدين**	١٩٢

تراثنا الشعبي يزهو ويزدهر في ظل قائد النصر

منذ الحادي عشر من مايس الماضي ولمدة اسبوع عاش العراق تظاهرة حضارية شعبية طيبة تواصل فيها الماضي المجيد مع الحاضر المضيء في اسبوع الفولكلور العراقي .

لقد شاركت جهات ثقافية ومنظمات جماهيرية متعددة من كل ارجاء القطر شماله وجنوبه وعند حدوده المبنية بالنار وبالدم الشجاع باقامة وانجاح هذا الاسبوع الذي ارتفع فوق هامته شعار يقول « تراثنا الشعبي يزهو ويزدهر في ظل قائد النصر » .

لقد تعاونت دوائر وزارة الثقافة والاعلام جميعا مع المنظمات الجماهيرية من اجل اعطاء هذا الاسبوع اهميته التي يستحقها فكانت القرية الفولكلورية التي اقيمت على ارض معرض بغداد الدولي شاهدا على غنى هذا الشعب الحضاري وتنوع عطائه عبر الحقب التاريخية وارتدى الاف الرجال والنساء الازياء الشعبية المتنوعة واستخدموا الات وعربات الاجداد يطوفون في حواضر المدن والقرى ضمن نسق فني جميل ليذكروا ملايين هذا الوطن بالماضي الخالد الذي اعطى كثيرا ليصل الحاضر المضيء الذي هو حصيلة منتقاة من الماضي واضافة الحاضر .

لقد اقامت دائرة الشؤون الثقافية والنشر التي تصدر عنها هذه المجلة حلقة دراسية خاصة بالفولكلور العراقي بين ١٢-١٤ مايس القى فيها احد عشر باحثا على مدى اربع جلسات محاضرات غنية في اصول الفولكلور والمثل

الشعبي وعلاقات التراث الشعبي بالتكنولوجيا والمسرح والسينما الوثائقية وصورة دورة الحياة فيه وفهرسة الحكاية الشعبية وغير ذلك من موضوعات لقيت اعجاب الحضور من مثقفين واساتذة جامعات ورجال شعر ونقد ورواية وقصة وفن وشباب ادب وشيوخ علم ومعرفة .

واذا كانت النقاشات قد اسهمت اسهاما كبيرا في توسيع انطلقة البحوث وبلورة افكارها فان ذلك الحماس المتدفق علما وصدقا قد بلور صور السلب والايجاب في هذه الحلقة الدراسية التي تشرفت ومجموعة خيرة من العاملين والعاملات في الدائرة والمجلة بالتحضير لها وتمهيدا الوصول في الختام الى نجاح نعزوه لتضافر جهود كتاب هذه المجلة ومحبي التراث الشعبي الامر الذي يبلور اتجاهات الحلقات الدراسية القادمة التي ينبغي ان تربط بمحور معين يثرى فيه البحث وتناقش التفاصيل بروح من الربط ضمن منهج دراسي بحثي معين وتلك ستكون المهمة القادمة .

ان بحوث الحلقة التي تنشر في العدد الفصلي القادم كفيله باعطاء صورة الاضافة التي صنعها الباحث الفولكلوري العراقي ضمن اسبوع الفولكلور وهي ذخيرة طيبة نعتز بها من ذخائر التراث الشعبي الذي هو ضمير الشعب الناطق والمروي من جيل الى الاجيال الاخرى القادمة .

رئيس التحرير

برقية الى قائد النصر

السيد الرئيس القائد صدام حسين حفظه الله

نحن المجتمعين في الحلقة الدراسية الخاصة بتراثنا الشعبي المعقود من قبل دائرة الشؤون الثقافية في وزارة الثقافة والاعلام من ١٢ ـ ١٤ مايس نعبر لسيادتكم عن بالغ تقديرنا وعظيم تأييدنا وانتم تقودون شعبكم في العراق وهو يخوض معركته القومية من نصر الى نصر ضد الفئة الباغية تلك التي تريد ان تجعل من ايران رأس حربة لطعن الثورة العربية التقدمية التي فجرها حزب البعث العربي الاشتراكي وتعمل جاهدة لطمس معالم حضارتنا العربية الاسلامية والنيل من حاضرنا الزاهر الذي سطعت شمسه في عهدكم الميمون .

ايها الرئيس القائد

لقد وجد التراث الشعبي منذ انبثاق ثورة السابع عشر من تموز الاهتمام الكبير والرعاية الفائقة ، بفضل توجيهاتكم السديدة على المحافظة على ماورثناه من الاجداد من قيم وعادات اصيلة وفن جميل مما شجع الباحثين والدارسين على البحث والتأليف وتوثيق تراثنا العربي الاسلامي . وما يشهده العراق اليوم من حركة نشيطة في احياء التراث يجعله قدوة تحتذى في هذا المضمار .

فاسمحوا لنا ـ ايها القائد ـ ونحن نختتم حلقتنا الدراسية عن التراث الشعبي بان نرفع الى سيادتكم اسمى ايات الود والتقدير سائلين المولى عزوجل ان يأخذ بايديكم لما فيه رفع شأن الامة العربية وخير شعبنا العراقي في ظل قيادتكم الحكيمة ..

المشاركون في الحلقة الدراسية
الخاصة بالفولكلور العراقي

كلمة اللجنة التحضيرية

يشرفني بأسم اللجنة التحضيرية للحلقة الدراسية الخاصة بالفولكلور العراقي ان ارحب بكم لحضوركم حفل افتتاح الجلسة الاولى من هذه الحلقة التي تنعقد ضمن اسبوع الفولكلور العراقي تحت شعار تراثنا الشعبي يزهو ويزدهر في ظل قائد النصر .

ليست هذه اول مرة تعقد فيها دائرة الشؤون الثقافية حلقة دراسة او مؤتمرا علميا لدراسة جوانب من تراثنا الشعبي ولكننا في احتفاليتنا العلمية هذه نحاول ان نضيف جديدا في دراسة هذا الاثر المعرفي الخالد الذي ابدعه ضمير الشعب العراقي وعقله المتفتح على مر العصور .

يقول الرئيس القائد صدام حسين ان الاهتمام بالتراث والتاريخ مسألة جوهرية واساسية في نظره حزبنا اذ ان بناء حاضر جديد مزدهر يستدعي الاهتمام بالماضي دراسة واستشهادا واعتزازا بجوانبه المشرقة لان الحاضر والمستقبل المزدهر انما هو امتداد للماضي في جانب مهم منه ، ذلك الذي يعبر عن اصالة وخصوصية تجربتنا وشعبنا .

واذا كانت هذه المداخلة الفكرية التي وصفها قائد النصر قبل تسع سنوات قد قيلت في مؤتمر فكري اخر فانها تظل استدلالا مضيئا صالحا لاتخاذه دليل عمل فكري ونحن نعقد مثل هذا اللقاء العلمي او نصدر بحثا او نرفد تراث الامة العربية الشعبي بزاد فكري .

ان دراسة التراث الشعبي العراقي دراسة لقيــم النبل والتضحية والعطاء الاتم والامل والنضال وهي تؤشر دلالات الاضافــة الكرية على تراث الانسانية الشعبي باجمعه ومن هذا المنطلق ومن منطلق نبل هــذا العطاء الثر ينعقد هذا الاسبوع وتتخذ تعبيراته المختلفة صيغها من ابداع هذا الشعب بقدر ما تتخذ هذه الحلقة الدراسية بحوثها من صيغة هذا الابــداع .

في ختام هذه الكلمة لابدلي من تقديم ايات الشكر للسيد الوكيل على افتتاحه هذا الحفل ولضيوفنا الكرام وللاساتذه الباحثين الذين تفضلوا بالكتابة متعاونين مع دائرتنا ومع مجلة التراث الشعبي وللسيد المدير العام ولاعضاء اللجنة التحضيرية الذين بادروا ونشطوا واعطوا دون منة بل من اجل تجسيد الجهد بالنجاح وللصحافة الوطنية ودوائر الاعلام المختلفة متمنيا نجاح الحلقة الدراسية التي ستغني البحــوث فيها بمناقشات ومداخلات المعنيين المثمرة والسلام عليكم .

باسم عبدالحميد حمودي

التراث والامة

معاذ عبد الرحيم
مدير عام دائرة الشؤون الثقافية

يكتسب التراث الشعبي في حياة امتنا العربية ، اهمية كبيرة ، فهو حكمة الاجيال ووثيقتها الحية التي تتناقلها عبر العصور، والتعبير الحقيقي عن نفسية الامة واصالتها وفرادتها بين الامم ، من خلال المثل والخطابة والاغنية والزي ، وغيرها من مظاهر الحياة المعنوية والمادية .

ونظرا لما للتراث من أهمية بالغة ، فقد تخصص كثير من العلماء في دراسته ، وصدرت عشرات المجلدات في موضوعه وتعددت بشانه الكثير من المدارس الفكرية والاجتماعية واهتمت به كبريات الجامعات والمجامع العلمية .

ولما كان قطرنا العراقي بدأ منذ اطلالة ثورة السابع عشر من تموز ينفض عنه غبار التخلف وشق طريقه نحو مدارج التحضر والرقي لبناء نهضته وترسيخ دعائم حاضره المجيد فان قيادته الحكيمة لم تر في ماضينا وتراثنا الشعبي الا عبرا ودروسا تحتذى واسوة حسنة في حياتنا الراهنة، فاستلهمت في مسيرتها التقدمية تاريخ وادي الرافدين الذي شهد اعرق الحضارات في العالم حضارة سومر وآشور وبابل والحضارة الاسلامية ، تلكم الحضارة التي اغنت حاضرنا ورفدته بتراث شعب زاخر ، اضطلعت وزارة الثقافة والاعلام بمسؤولية المحافظة عليه من خلال دوائرها المعنية وتوظيف هذا التراث في خدمة قضايا الامة العربية المصيرية ليكون سلاحاً ماضيا في معركة وجودها القومي .

فان كان التراث صوت الماضي وضميره ، فهو في الحاضر رمز من رموز حضارتنا .

ان الحلقة الدراسية التي نعقدهــا الان سيكون من أولى مهامهــا التأكيد على وحدة التراث الشعبي في وطننا العربي الكبير . واعتباره وسيلة من الوســائل التي تستخدمها امتنا في الذود عــن حياضها ضد القوى الامبريالية والصهيونية والرجعية .

وما المعركة التي يخوضها العراق اليوم بقيادة الرئيس المناضــل صدام حسين ، ضد العدوان الايراني الغاشم ، الا دفاعا عن الامة العربية وتراثها الذي تحاول الرياح الشعوبية الصفــراء اقتلاع جذوره وطمس معالمه ، فتراثنا الشعبي الذي يزهو ويزدهر في ظل قائد النصر لم يكن في جميع الوانه وانماطه الاقاعدة ودعامة من دعائم القومية العربية وقواعدها وعلامة بارزة على طريق الوحدة العربية مناط آمال العرب ومعقد رجائهم جميعــا .

هــذا هو منطلقنا في اقامــة حلقتنا الدراسية وذلــك هو مبتغانا ، مستلهين من معركــة القادسية الثانية صور البطولة والفــداء ومناقب الأجداد .. سائلين الله عز وجل ان يوفقنا واياكم لمــا فيه خــير امتنا في حاضرها ومستقبلها .

توصيات الحلقة الدراسية
الخاصة بالتراث الشعبي

اجتمعت لجنة التوصيات والبيان الختامي برئاسة السيد باسم عبدالحميد حمودي وعضوية السادة احمد فياض المفرجي وياسين النصير وكاظم سعدالدين ، وبعد مناقشة الاقتراحات المقدمة من الزملاء المشاركين وتتبع مجرى البحوث والمناقشات اقرت التوصيات التالية :

١ ـ اعتبار وحدة الفولكلور في الوطن العربي لبنة اساسية من لبنات البحث في وضع الاسس والقواعد الفكرية والثقافية المعتمدة على حتمية وحدة الامة العربية وباعتباره مدخلا تاريخياً نحو توحيد المضامين والاطر الايديو لوجية للجماهير العربية المناضلة كما اكد المشاركون ضرورة توظيف التراث الشعبي في خدمة القضايا المصيرية واستخدامه سلاحا وطنيا وقوميا في المعركة التي يخوضها العراق والامة العربية ضد الامبريالية والصهيونية ونظام الحكم الايراني.

٢ ـ اكد المشاركون على تفادي الوقوع في منزلق استغلال الفولكلور من قبل بعض الاتجاهات المشبوهة المروجة للاقليمية وللعامية مما يهدد الوحدة العربية المنشودة .

٣ ـ دعم الجهود الساعية لجمع التراث الشعبي العربي الفلسطيني الذي يتعرض للنهب والتزييف الصهيوني .

٤ ـ دعوة الاقطار العربية الى انشاء مراكز وطنية لجمع وتدوين التراث الشعبي اسوة بالعراق وتمهيداً لانشاء مركز قومي يعنى بجمع وتدوين التراث الشعبي .

٥ ـ ترجمة مختارات حية من التراث الشعبي العراقي والعربي الى اللغات الاجنبية للتعريف باصالة ثقافتنا العربية بغيـة عدم اتاحة الفرصة للسطو عليه وتزييفه .

٦ ـ دعوة الجامعات العراقية والعربية الى انشاء كرسي متخصص لدراسات التراث الشعبي لاهمية الموروث الشعبي ودراساته دراسة اكاديمية .

٧ ـ دعوة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الى اصدار موسوعة عربية للتراث الشعبي العربي .

٨ ـ انشاء جمعية تضم دارسي المأثورات الشعبية واعتبارها من جمعيات النفع العام لما لهذا اللون من الدراسات من اثر فاعل في حياة مجتمعنا .

٩ ـ دعوة وزارة الثقافة والاعلام الى اصدار مجلة التراث الشعبي شهرياً كما كانت في السابق او مرة كل شهرين لما لهذه المجلة من دور فاعل في تنمية روح البحث الفولكلوري وتوثيق نتائجه .

١٠ـ دعوة المؤسسات المعنية بالسينما الى تبني انتاج افلام وثائقية ضمن خطتها السنوية تؤرخ لموروثاتنا الشعبية المختلفة وتجسدها .

١١ـ اجراء مسح ميداني في العراق وسائر اقطار الوطن العربي لجمع الانماط الفولكلورية وتسجيلها بكافة الوسائل السمعية والبصرية.

١٢ـ الدعوة الى اقامة هذه الحلقة الدراسية سنويا لما فيها من فائدة علمية كبيرة . على ان تتناول محوراً اساسياً من محاور دراسة التراث الشعبي .

المشاركون في الحلقة الدراسة

البيان
الختامي للحلقة الدراسية

ضمن احتفالات القطر باسبوع الفولكلور العراقي دعت دائرة الشؤون الثقافية والنشر في وزارة الثقافة والاعلام المعنيين بدراسة هذا اللون من فنون الابداع الشعبي الى المشاركة في حلقة دراسية خاصة بالفولكلور العراقي وقد لقيت الدعوة استجابة طيبة منهم .

عقدت هذه الحلقة الدراسية تحت شعار تراثنا الشعبي يزهو ويزدهر في ظل قائد النصر برعاية السيد وزير الثقافة والاعلام الاستاذ لطيف نصيف جاسم للفترة من ١٢ — ١٤ مايس ١٩٨٥ في قاعة الحصري في المؤسسة العامة للاثار وقد عقد المجتمعون اربع جلسات استمعوا فيها الى البحوث التالية وناقشوا افكارها بروح من الايجابية البناءة .

- x الادب الشعبي مضمونه وخصائصه د . كامل مصطفى الشيبي .
- x الاحلام في التراث د . نوري جعفر .
- x الامثال البغدادية المنحدرة من اصل عربي فصيح للعميد المتقاعد عبدالرحمن التكريتي .
- x الفهرسة في الحكاية الشعبية العراقية للاستاذ كاظم سعد الدين .
- x السينما الوثائقية والتراث الشعبي للاستاذ يوسف يوسف .
- x حكايات شعبية ذات اصل تراثي للدكتور داود سلوم .
- x الابداع الشعبي والتكنولوجيا للاستاذ عبدالجبار محمود السامرائي .
- x القصص الشعبي والتحليل المورفولوجي د . صبري مسلم .
- x المسرح العراقي والتراث الشعبي للاستاذ علي مزاحم عباس .
- x ملامح ثقافية مشتركة في تقاليد دورة الحياة العربية للاستاذ لطفي الخوري .
- x الامثال البغدادية بين المستوى اللغوي والمستوى الاجتماعي للاستاذة نهاد فليح حسن .

وقد ادار جلسات الحلقة الاستاذ الدكتور صفاء خلوصي والاساتذة معاذ عبدالرحيم وعلي عبدالله خليفة وياسين النصير وساعدهم في ادارتها الاساتذة عبداللطيف بندر اوغلو واحمد فياض المفرجي وصالح السيد هويدي وباسم عبدالحميد حمودي وقد كان لمناقشات الحضور من دارسين واساتذة جامعات وتعقيباتهم الاثر الحميد في بلورة صورة نجاح هذه الحلقة التي رصدت لجنة التوصيات والبيان الختامي مؤشراتها عبر الحوار المتصل وقد توصلت الى التأكيد على الحقائق التالية .

١ ــ ان مجتمعا يبني حضارته مثل المجتمع العراقي وسط تحد صارخ بالغزو من حكام بلد جار ، وينتصر على هذا الغزو الذي يمثل ونحن نعيش عصر الشعوب في نهاية القرن العشرين اشد صور التخلف عتمة ليعيش زهو النصر معتمدا على انجاز الحاضر المضيء والموروث الشعبي الذي انصنع حكاية ومثلا وبناء وتقاليد اجتماعية من رحم مجتمع متحضر يقاوم الخرافة والضلال الخمينيين ويقف ترسانة حب وسلاح وحضارة بوجه الغزو الايراني .

٢ ــ ضرورة دراسة التراث الشعبي وانماطه المختلفة وفق رؤية منهجية وانهاء جدل الخلاف على المصطلح الفولكوري وفق رؤية علمية وذلك يتم بالمزيد من البحوث الجادة بالاضافة الى تشكيل نخبة لاعداد كتاب يتناول تحديد المصطلحات الفولكلورية .

٣ ــ التأكيد على ان دراسة الادب الشعبي امر حيوي لبنيان تاريخ الامة العربية الشفاهي وتقاليدها المتوارثه ورموز حضارتها المنقولة جيلا بعد جيل .

٤ ــ قرر المشاركون ارسال برقية عهد مقرون بالحب والاعجاب الى قائد النصر الرئيس المناضل صدام حسين رجل العلم والمعرفة وقائد العراق الشجاع .

٥ ــ دعا المشاركون الى رفع برقية الى المقر الرئيس لمنظمة اليونسكو تطالب المجتمع الدولي بادانة ايران لعدوانها المستمر على معالم حضارتنا وتراثنا وخاصة في المدن الحدودية التي تتعرض للقصف المستمر مما يؤدي الى الاضرار بموروثاتنا الشعبية والفولكلورية والحضارية .

بَرقيـة الى أحمد مختـار أمبـو

السيد احمد مختار امبو المدير العام للمنظمة العالمية للتربية

والثقافة والعلوم اليونسكو ـ باريس

بعد التحية

المشاركون في الحلقة الدراسية الخاصة بالفولكلور العراقي مـن اساتذة وعلماء وفنانين وادباء وباحثين فولكلوريين ونقاد الذين اجتمعوا في مبنى صرح حضاري خالد هو المتحف العراقي على مدى ثلاثة ايام لدراسة الموروث الشعبي العراقي يرون ضرورة مكاتبتكم حول الاثـار الخطيرة المترتبة على العدوان الايراني على المدن الحدودية العراقيـة والرموز الحضارية والاثارية الموجودة فيها بالاضافة الى التلال والاماكن الاثارية الاخرى التي طالها اذى النظام الايراني ذلك ان منظمتكم العالمية معنية عالميا بالحفاظ على التراث الانساني بشتى صوره .

السـيد المدير العام

انما نطلب منكم ايلاء هذه القضية المهمة اقصى درجات الاهتمام ذلك ان العدوان على حضارة شعب مثل الشعب العراقي عدوان على حضارة الشعوب الاخرى .. اننا ننتظر جهودكم ولكم فائق التقدير .

المشاركون في الحلقة الدراسية

قــراءات
في ادب الحرب عند العرب

صالح مهدي العزاوي

التهديد والوعيد في شعر الحرب

عاش العربي لكرامتــه حيث كانت تلك الكرامة أغلى ما عنــده في الحياة ، وعاش بعيدا عن الذل والهوان قريبا الى العز والمنعة ، نفسه عظيمة عظم الصحراء ومثله العليا لا تمس بكلمة أو سلاح ، فان ديست تلك الكرامة أو هزت فدونها السيف سواء أكان الغامز غريبا أو أقرب الناس ، فنــرى العربي تارة يتهدد ويتوعد وينذر بالقتل وسفك الدم وسبي النساء واقتياد الابل وتارة أخرى ينصح لاخوته وبني عمومته ان يكفوا عن ايذائه والا فدون ذلك الحرب ٠

يتمثل هذا الفن من فنون الشعر في ثورة البدوي ودفاعه عن كرامتــه وعزته ومكانته في مجتمع الصحراء وهو لا يرضى أبدا أن تداس هذه النفس العظيمة أو يشار اليها بما يشينهــا لانها أعظم من ذلك ولان الموت عنــده خير من الحياة بذل ، وليس الى النيل منه سبيل

قال الشاعر (زيد الخيل)

يابني الصيداء ردوا فرسي انما يفعل هذا بالذليل

وقال عبيد بن الابرص

ومن رام ظلمي منهم فكأنما توقعى حينا من شواهق صندد

وقال بشر بن ابي خازم

قل للمثلم وابن هند بعده ان كنـت رائم عزنا فاستقدم

تلقى الذي لاقى العدو وتصبح كأسا صبابتها كطعم العلقم

وقال الاعشى حين بلغه تهديد بني أسد وحلفائهم

سائل بني أسد عنا فقد علموا ان سوف يأتيك من انبائنا شكل

وأسأل قشيرا وعبدالله كلهم واسأل ربيعة عنا كيف نفتعـــل

انا نقاتلهــــــم حتى نقتلهـم عند اللقاء وان جاروا وان جهلـوا

وقال أوس بن جناء

اذا المرء أولاك الهوان فأولــه هوانا وان كانت قريبا أواصـره

فان أنت لم تقدر على أن تهينــه فذره الى اليوم الذي أنت قادره

فأنت ترى في هذه المقالة ان المرء ان لم يستطع انزال العقوبة اللازمة بحق المعتدي في ساعته فانما يؤجل ذلك الى المستقبل حيث يستطيع تاديبه

وقال حسان لابي سفيان بعد أن سمع منه ما لايسر

ألا أبـلغ ابا سفيان عنـــي فأنت مجـوف تخب هـواء

بأن سيـوفنـا تركتك عبدا وعبدالدار سادتها الامـــاء

والعربي ان سمع تهديدا ووعيدا من شخص أو قبيلة يسارع في الرد على هذا التهديد ويصور ما عليه من استعداد للقتال وقدرة على المبـــارزة

قال وداك بن ثميل المازني

رويد بني شيبان بعض وعيدكم تلاقوا غدا خيلي على سفـوان

وليس أول على الاعتداء بالنفس وعدم الرضا بالذل والهوان من قول سعر بن ناشب

سأغسل عني العار بالسيف جالبا علي قضاء الله ما كان جالبا

ولا يجب ان يعلم ان العربي ما ان تعرض الى غمز من الاخرين وخاصة من ذوي القربى – حتى ان لم يكن كذلك – شهر السيف وشحذ الرمح وملأ جعبته بالسهام ، فهو حكيم متعقل يعطي الرزانة حقها ويحاول اصلاح ذات البين واطفاء الحجر المتأجج تحت الرماد وهو يعمد الى النصح والارشاد والموعظة الحسنة لانهاء الخلاف ودفع التهديد والتلويح بالاعتداء فأذا أعياه ذلك كله لجأ الى اسلوب التهديد والوعيد راسما كل صور البطولة والجرأة والاقدام التي لا مجال الا الى استعمالها كأدوات حاسمة للرد على هؤلاء الجهال والمعتدين

يقول خفاف بن ندبة وهو يشير الى ان الرمات الاربع التي جمعته وخصمه تمنع الشر الذي بينهم فعليه الا يتخطاها بل يجب أن يقف دونها

أعباس ان الذي بيننا أبى ان يجاوزه أربع
علائق من حسب داخل مع الال والنسب الارفع
وان ثنية رأس الهجا ء بيني وبينك لا تقطع
وابغض الي باتيانها اذا انا لم أتها أدفع

وقال القتال الكلابي ناصحا ومهددا

نشدت زيادا والمقامة بيننا وذكراته أرحام سعر وهيثم
فلما رأيت أنه غير منته أملت له كفي بلدن مقوم

وقال الفضل بن عباس ناصحا لاقربائه

مهلا بني عمنا مهلا موالينا لاتنبشوا بيننا ماكان مدفونا

وقال يزيد بن الحكم

بني عمنا لا تشتمونا ودافعوا على حسب مافات قيد الاكارع

والنصح للعشيرة كثير قبل اشعال فتيلة الحرب يصدرها قول الشاعر

أفيقوا بني حزن واهواؤنا معا وارماحنا موصولة لم تقضب

وقول الاخر وهو غلاق بن مروان

هم قطعوا الارحام بيني وبينهم وأجروا اليها واستحلوا المحارما
فياليتهم كانوا لاخـرى مكانـه ولم تلدي شيئا من القوم فاطمـا

ومن كثرة تسامح العربي وميله الى السلم انه لايرد على الشتيمة ولكنـه مع هذا يهدد بانها لو حصلت فسيكون الرد بما لابد منه ، قال معبد بن علقمة

فقل لزهير ان شتمت سراتنـا فلسنا بشتـامين للمتشتـم
ولكننا نأبى الظلام ونعتصـي بكل رقيق الشفرتين مصمم

في الوقت الذي يؤكد البدوي على وجوب صلـة الرحم وعدم الاسـاءة الى ذوي القرى كقول الاعشى

بني عمنا لاتبعثوا الحرب بيننا كرد رجيع الرفض وارموا الى السلم

الا انهم يـرون عدوان ذوي القربى وايذاءهم اكثر مرارة وألما مـن الاباعد وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على الحر من وقع الحسام المهند

ويقترن من هذا الشعر في بعض الاحيان بالتهكم والسخرية اذا كان التهديد صادرا عن شخص مغمور يطاول من هو اعظم منه أو جبان يتهـدد فارسا فكل يجب ان يعرف نفسه ولكل حدود عليه الا يتعداها ، نرى ذلـك مثلا في قول عنترة

ولقد خشيـت بأن أموت ولم تدر للحرب دائرة على ابني ضمضـم
الشاتمـي عرضي ولـم اشتمهـا والناذرين ـ اذا لم القهما ـ دمـي

وقـول الاخـر

أيوعدني اذا ماغبت عنه ويصرف مهره والرمح دوني؟

وقال المتنبـي

أتاني وعيد الادعياء وانهم أعدوا لي السودان في كفر عاقب
ولو صدقوا في جدهم لخدرتهم فهل فيّ وحدي قولهم غير كاذب

وقولهم في المثل (تطلب ضبا وهذا ضب باد رأسه) أي ان الرجل يتهدد النائي عنه ويترك الحاضر ٠

استعمل العربي هذه الصور جميعا وهو بعيد عن الاعتداء وهتك الاعراض وهو ميال الى استخدام جانب العقل وتعمد النصح والارشاد والتنبيه الى مغبة سلوك الاعداء والشاتمين وما يجره عليهم ذلك من الويل والثبور ، فان نفد الصبر وقلت الحيلة فهو التهديد بعينه والتلويح بالغلظة والبطولة وليس أمامه الا ما يعتبر به من ثورة عارمة

قال عمرو بن كلثوم

ألا لايعلم الاقوام انا تضعضعنا وأنا قد ونينا

ألا لايجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وقال

تهددنا وتوعدنا رويدا متى كنا لامك مقتوينا

وان قناتنا ياعمرو أعيت على الاعداء قبلك ان تلينا

وقال عبيد بن الابرص

يا ذا المخوفنا بمقتل شيخه حجر سكين صاحب الاحلام

لاتبكنا سفها ولاساداتنا واجعل بكاءك لابن أم قطام

حجر غداة تعاورته رماحنا بالقاع بين صفاصف واكام

وقال المتنبي

سل عن شجاعته وزره مسالما وحذار ثم حذار منه محاربا

وقال عبدالله بن عنمه

ان تسألوا الحق نعط الحق سائله
والدرع مخقبة والسيف مقروب

وان أبيتم فانا معشر أنف
لا نطعم الخسف ان السم مشروب

وقال الاعشى من قصيدة

كلاّ يمين الله حتى تنزلوا　　من رأس شاهقة الينا الاسودا

لنقاتلكم على مـــا خيلتِ　　ولنجعلن لمن بغـــى وتمـــردا

ومنه قول الشاعر

انا ابن جلا وطلاع الثنايا　　متى أضع العمامة تعرفوني

ومن الامثال العربية من هذا الباب (ان كنت ريحا فقد لاقيت اعصارا ، بلغ السيل الزبى ، اياك وأهلب العضرط)

وعندما يفلت العدو من العقاب ولا يقــدر العربي على تأديبــه يأسف لذلك أشد الاسف ولا يجد وسيلة للترويح عن غضبه الا تعيير خصمــه بالفرار

قال عمرو بن معديكرب

ونجاك خوار العنان مقلص　　طويل نجاد الصدر من خيلك الشهب

فاني لو أدركتك ابن خويلد　　علــوتك والعزى بصمصامة عضب

عناصر من التراث الشعبي الاردني ووظيفتها الاجتماعية

الدكتور احمد الربايعة
الجامعة الأردنية / عمان

تمهيد : حدد هولتكرانس في مؤلفه الموسوم (قاموس مصطلحات الاثنولوجيا والفلكلور) التراث بانه عناصر الثقافة التي تتناقل من جيل الى جيل اخر[1] ويتضح من هذا التعريف أن هولتكرانس يوافق على ان الثقافة والتراث هما شيء واحد على نحو ماورد في تعاريف معظم علماء الاثنولوجيا والفلكلور الاوربيين والامريكيين للتراث فقد عرف (جوجن) الامريكي التراث بانه اسلوب متميز من اساليب الحياة كما ينعكس في مختلف جوانب الثقافة وربما يمتد خلال فترة زمنية معينة وتظهر عليه التغيرات الثقافية الداخلية العادية ولكنه يتميز طوال تلك الفترة بوحدة اساسية مستمرة[2] .

وهناك من يعرف التراث من علماء الاثنولوجيا الاوروبيين بانه شكل يتناقل اجتماعيا ويصمد عبر الزمن[3] وبهذا المعنى فان التراث يشتمل على كل الانجازات البشرية المادية واللامادية والعقلية والروحية والاجتماعية شانه في ذلك شأن الثقافة التي حددت على انها كل مايخترعه او ينجزه الانسان لاشباع احتياجاته الاساسية والثانوية ولا تمييز في ذلك بين انجاز مادي وانجاز لا مادي ، وفي سبيل التوضيح نقول ان التراث يشتمل على الادوات المادية التي اخترعها الكائن البشري لاشباع احتياجاته في الملبس

والمأكل والمشرب والزراعة والاضاءة واللعب وغيرها مثلما يشتمل كذلك على الفنون والاداب والموسيقى والعادات والتقاليد والمعتقدات وكل مايمكن ان يكتسبه الفرد باعتباره عضوا في مجتمع .

اهمية دراسة التراث : ـ

لقد اصبح من الحقائق المؤكدة ان تراث اي مجتمع من المجتمعات هو انعكاس للحياة الاجتماعية في الماضي مثلما هو صوت الحاضر المدوي وصدى له وفي ضوء هذه الحقيقة فيمكن القول ان القاء نظرة شاملة على مكونات هذا التراث وعناصره المختلفة تعطينا صورة واضحة عن بنية المجتمع وعن نسقه الثقافي بشكل عام . اما التحسينات التي تطرأ على عناصر هذا التراث فانها تكشف عن دينامية هذا المجتمع او ذاك وعن حجم استجابة افراده لعناصر التجديد وقوى التغيير في كل مرحلة من مراحل تطوره .

وفي ضوء هذه المعطيات فقد ظهرت اهتمامات وطنية وقومية في معظم شعوب العالم بجمع التراث وتصنيفه ودراسته وقد تمثلت هذه الاهتمامات في جزء كبير منها في تأسيس متاحف اثنوغرافية وطنية او قومية تشتمل على كل ماانجزه افراد هذا المجتمع او ذاك من عناصر ثقافية مادية ولا مادية وذلك بهدف احياء هذا التراث والمحافظة عليه وصونه من الضياع والاندثار من جهة وليكون هذا التراث علامة بارزة على حيوية هذا المجتمع ودليلا حسيا على قدرة وأفراده على مواجهة تحديدات وجودهم وقد قطعت الجامعة الاردنية شوطا بسيطا في سبيل تحقيق هذه الغاية عندما عملت على تأسيس متحف للتراث الشعبي الاردني يشتمل على مختلف عناصر الثقافة المادية التي انجزها افراد عبر الحقب التاريخية المتعاقبة وبالاضافة الى هذا المتحف فهنالك متاحف اثنوغرافية اخرى تشرف عليها جهات حكومية وغير حكومية الا ان هذه المتاحف جميعها مازالت في طور التكوين، ويمكن استجلاء الاهمية القومية والعلمية لعملية جمع التراث وحفظه فيما يلي : ـ

اولا : ـ ان عناصر التراث المختلفة التي تشتمل عليها المتاحف الانثوغرافية وعناصر التراث اللامادي لم تجمع بعد كمثل انجازات فعلية وخبرات تراكمية لافراد المجتمع بحيث ان هذه العناصر سهلت على المجتمع امكانية بناء ثقافته المعاصرة .

ثانيا : ـ ويمكن عن طريقها تتبع الجهود المتواصلة التي بذلها هذا الشعب عبر تاريخه الطويل لبناء كيانه الثقافي كجزء من كيان الامة العربية .

ثالثا : ـ تشكل عناصر التراث وبخاصة المادي منها مجالا تطبيقيا لبعض

المعارف التي تدرس الطلبة في مساقات متعددة في قسمي علم الاجتماع والانثروبوجيا وربما في غيرهما من العلوم الاجتماعية والانسانية الاخرى .

رابعا : ـ ان عناصر التراث المختلفة تشكل سجلا ثقافيا او خارطة ثقافية تتحدد عليها انجازات المجتمع في مختلف ميادين الحياة الاجتماعية والثقافية وما صاحب هذه الانجازات من تحسينات متواصلة تعبر عن نماء متزايد في قدراته وامكاناته لمواجهة احتياجاته المتجددة ومواكبة التطور الحضاري العام .

ولاشك ان ترسم هذه الجهود في المجتمع الاردني وتتبعها كما هي متمثلة في انجازاته المادية واللا مادية سوف يعطينا فكرة واضحة عن قدرات هذا الشعب وعن امكاناته العقلية والفنية التي استخدمها لمواجهة تحديات البيئة الطبيعية ومحاولة السيطرة عليها والحد من نفوذها وفاعليتها في التحكم في انشطته ومجريات حياته وتسخير مكوناتها وعناصرها ومشتقاتها لاشباع احتياجاته ومتطلباته المتعددة وبالمثل فان تتبع انجازاته اللامادية المتمثلة في القيم والعادات الاجتماعية والمعتقدات الشعبية وفي الحكم والامثال والمأثورات الشعبية وغيرها من سنن الاداب الاجتماعية سوف يعطينا فكرة عن الاساليب والطرق التي نظم بمقتضاها حياته الاجتماعية في شتى جوانبها ومختلف مجالاتها .

لقد وقف الانسان في فجر حياته موقفا سلبيا من الطبيعة يعتمد عليها في كل شيء دون ان يكون له دور ايجابي يذكر فقد كان يعتمد في حياته المعيشية على ماتقدمه الطبيعة له ولاسرته من ثمار النباتات وجذورها او مايقوى على اقتناصه وصيده من حيواناتها وطيورها دون أن يكون لديه اية ادوات مادية قادرة على احداث التعديلات الملحوظة في البيئة الطبيعية التي عاش تحت ظروفها القاسية ردحا طويلا من الزمن غير أن الانسان ما لبث ان اتخذ موقفا ايجابيا من البيئة الطبيعية ، وقد تمثل ذلك اختراع ادوات بدائية عبرت عن مقدرة عقلية بسيطة ، وقد ترتب على استخدامها تعديلات جزئية طفيفة في البيئة الطبيعية وتحسين جزئي في نظمه الاجتماعية المختلفة منذ ذلك التاريخ بدأ يحدث نوع من التفاعل بين الانسان وبين بيئته الطبيعية الى أن توصل الانسان الى سيطرة واضحة على البيئة بفضل ماتوصل اليه من انجازات واختراع ادوات مادية مختلفة تمثل تطورا ديناميا للعقلية البشرية ولذلك فان دراسة

التراث بأشكاله وعناصره المادية واللامادية يشكل كما يقول هولتكرانس مجهودا علميا لدراسة الفكر الانساني ورسوم للمراحل التي مربها(٤) .

وفي ضوء المنظور الشامل للتراث او الثقافة فاننا سنتحدث عن عناصر ثقافية لا مادية انجزهـا المجتمع الاردني عبر تاريخه الطويل ، غير انـه ينبغي ان نلاحظ في ضوء تكاملية التراث او الثقافة ان هناك علاقة عضوية جدلية بين المكونات المادية للتراث ومكوناته اللامادية بحيث يمكن القول اننا لانستطيع ان نفهم هذين الجانبين من التراث بصورة منفصلة او بصورة مستقلة الواحد عن الاخر وان اي فصل تعسفي بينهما انما هو لغايات الشرح والتوضيح ، وتتضح هذه العلاقة الجدلية بين مكونات التراث مـن خلال التأثيرات التي تحدثها عناصر التراث المادية واللامادية في بعضـه البعض بحيث يمكن القول في كثير من الاحيان أن احدهما انعكاس الاخر وصدى له ، وقد تقضي ضرورات الشرح والتوضيح في بعض الاحـيان ان يتحدث الباحث عن أجزاء من جوانب هذا التراث دون الاشارة الـى ارتباطها بالجوانب الاخرى، غير انالفصل مهما كانواضحا لابد انيشير بشكل او باخر الى تأثيرات متبادلة بين جوانب التراث الاجتماعي المختلفة.

ولذلك فأن علماء الانثروبولوجيا غالبا مايستخدمون المسح التكاملي في دراسة التراث وتبيين وظائفه الاجتماعية المختلفة ويستند المسح التكاملي على اطار تصويري مؤداه كل متكامل ومتساند وظيفيا ، وانه لايمكن فهم اي عنصر ثقافي الا من خلال علاقته بالعناصر الثقافية الاخرى ويستخدم المسح التكاملي في دراسة الثقافة في حالتها الاستاتيكية (الثبات النسبي) وفي حالتها الديناميكية التطورية .

وفي ضوء استخدام هذا المسح فسوف نتحدث في هذه المقالة عن اربعة عناصر ثقافية تشكل ركنا اساسيا من تراث المجتمع الاردنيوتحدد ذاتيته الثقافية في المراحل التاريخية التطورية المتعاقبة قد اخترنا ادوات الطعام والملبس لتمثل الجانب المادي منثقافة المجتمعالاردني فيما اخترنا الامثال الشعبية والممارسات السحرية لتمثل الجانب اللا مادي من هـذا التراث غير ان هذا فصل مؤقت وغير حقيقي ، وسرعان مايتلاشى عندما نتحدث عن التأثيرات المتبادلة بين العناصر المادية من هذا التراث وبين عناصره اللامادية .

ففيما يتصل بالتراث المتعلق بادوات تحضير الطعام واسلوب تناوله ومايتخلل ذلك من قيم وعادات اجتماعية ومعتقدات شعبية ودينية سوفـه

نلاحظ ذلك التداخل الكبير والعلاقة الوثيقة بين جناحي التراث ، الخاص بالطعام او بالمأكل يشكل مركبا ثقافيا يشتمل على عناصر مادية تتمثل في ادوات متعددة مثل القدر واللقن والطبق والصاج والمغرفة والوقادة والصينية والجود والقربة والسعن وغيرها ويشتمل كذلك على عناصر لا مادية تتمثل في السنن والاداب الاجتماعية التي يحرص الفرد على مراعاتها في اثناء تناول الطعام بحيث اصبحت تشغل قواعد سلوكية ملزمة للفرد والجماعة ، بل ان هذا التأثير المتبادل يمتد الى مجالات اوسع من ذلك بحيث نلاحظ قدرا كبيرا من التفاعل بين نمط الطعام وبين البيئة الطبيعية التي عاش فيها الانسان الاردني قبل أن يحدث فيها تأثيرات ذا شأن ، فقد اعتمد الانسان الاردني في جو ليس بسيطا من تاريخه على البيئة الطبيعية لتحصيل قوته وقوت أسرته فقد عاش فترة نسبيا معتمدا في غذائه على نبتة الارض من انواع النباتات والاشجار المختلفة مثل الخبيزة والسق والخردلة والشومر والجعدة والزيتون والتمر وغيرها ، بل ان الحيوان الذي كان يشكل ركنا اساسيا في نشاطه الزراعي والتجاري كان يتأثر كثيرا بما تجود به الطبيعة في اوقات الخصب وما تفتقر اليه في أوقات الجدب والمحل وكان لكل ذلك تأثيراته الواضحة على اسلوب حياة الاردني في كل المراحل التاريخية المتعاقبة ، وقد اعتمد الانسان الاردني على البيئة الطبيعية في اختراع كثير من ادواته المادية مثل السلال التي كان يستخدمها لجمع الغذاء والاواني الفخارية التي كان يستعملها في الطبخ او في حفظ الطعام وادوات الحرث والدرس والرقد وغيرها من الادوات . واعتمد كذلك على الحيوان وعلى مشتقاته في صنع كثير من ادواته مثل الجود والقربة والسعن والعباءة وغيرها كثير ، وقد اعتمد على الحيوان وعلى البيئة الطبيعية في تصنيع بعض الادوية والعقاقير الطبية ، وباجمال يمكن القول ان البيئة ومشتقاتها والحيوان ومشتقاته تدخلتا في كل شأن من شؤون حياته الاجتماعية وطبعتها بطابع خاص مميز وبقدر ماكان هناك من تأثيرات وتفاعلات متبادلة بين البيئة الطبيعية والحيوان من جهة وبين الادوات التي اخترعها الانسان الاردني من جهة اخرى فان المرء يستطيع ان يلاحظ تفاعلات وتساندات وظيفية اوضح بين نمط هذه الادوات وبين كثير من النظم الاجتماعية التي حكمت تصرفات الفرد في هذا المجتمع فترة طويلة من الزمن بحيث يمكن القول اننا لا نستطيع أن نفهم هذه النظم الا من خلال علاقتها بنمط الادوات التي كانت مستخدمة وكانت سائدة وقت ذاك ، فمن خلال رؤية شمولية للادوات التي كانت تستخدمها الاسرة الاردنية في تحضير الطعام واعداده حتى عهد قريب

نستطيع ان نكتشف العلاقة بين حجم الاسرة وبين نمط ادوات الطعام ، فقد كانت هذه الادوات كبيرة في حجمها قليلة في تنوعها مما يدل على ان نمط الاسرة الذي كان سائداً وربما الى فترة قريبة هو نمط الاسرة الممتدة التي كانت تضم عدد كبير من الافراد، والادوات الدالة على ذلك هي القدر اللقن والطبق والطناجر الكبيرة الحجم واما قلة التنوع في الطعام فيشير الى بساطة الحياة الاجتماعية بشكل عام وبساطة النشاط الاقتصادي بشكل خاص وتكشف هذه الادوات عن وجود نوع من الترابط بين نمط الاسرة الممتدة وبين نمط النشاط الاقتصادي الذي كان يتم على الاغلب في نطاق الوحدة الاسرية كوحدة انتاجية واستهلاكية في آن واحد ، ولا شك ان هذا النمط الاقتصادي الذي كان شائعا في فترة تاريخية من حياة المجتمع الاردني انما يعكس طبيعة النسق القرابي الذي كان قائما ولايزال على اساس الروابط الاجتماعية والتصورات الميثولوجية والمعتقدات الشعبية التي كانت تعيش في وجدان الشعب وقتذاك على ترسيخ هذه النظم الاجتماعية واستمرار هذا النمط من ادوات تحضير الطعام ، فقد كان لدى افراد المجتمع معتقد مؤداه ان البركة تحل في فرد واحد فقط من افراد الاسرة، ولذلك فان المعتقد الشعبي يقتضي بان يتبادل جميع افراد الاسرة طعامهم في وقت واحد ومن اناء واحد حتى لا يفقدون البركة ويستخدم المسح التكاملي كذلك في دراسة التراث الاجتماعي في حالته الديناميكية المتطورة فنحن مثلا لا نفهم التطور الذي طرا على ادوات تحضير الطعام وتجهيزه وما اصبحت تشتمل عليه من تعدد وتنوع ومارافق ذلك من تزايد مستمر في صغر حجمها وما صاحب ذلك من قيم اجتماعية وعادات ومعتقدات جديدة الا اذا ربطنا ذلك كله بالتطورات التي طرات على بناء الاسرة وعلى وظيفتها الاجتماعية فقد تحولت الاسرة من اسرة ممتدة الى اسرة نووية صغيرة الحجم وتقلصت وظائفها الاجتماعية التقليدية بعد ان ظهرت مؤسسات اجتماعية نافستها في هذه الوظائف ويرتبط هذا التحول كذلك في بناء الاسرة في وظائفها وتحول النشاط الاقتصادي من اقتصاد اعاشة يقوم على الاكتفاء الذاتي الى اقتصاد متطور يقوم على اساس الانتاج للسوق وانفصال الوحدات الانتاجية عن الوحدات الاسرية ومايرتبط لذلك من ضعف في سلطة الاب التقليدية وتضاؤل اشرافه وتزايد الفواصل والمسافات الاجتماعية والثقافية بينه وبين افراد اسرته وقد ارتبط بهذا التحول ايضا تراجع لبعض القيم والعادات الاجتماعية والمعتقدات الشعبية

وضعف وظائفها الاجتماعية واستبدالها بقيم وتقاليد وعادات اجتماعية مستحدثة تنسجم مع الظروف والاوضاع الاجتماعية المتجددة بالاضافة الى ما شهده المجتمع كذلك من انهيار في الروابط القلبيلية العشائرية واستبدالها بالروابط والولاءات القومية ونمو مفاهيم الذاتية والروح الفردية وتخليص المفاهيم والقيم الدينية من التصورات الميثولوجية والخرافات الشعبية ، وهكذا فان التراث الاجتماعي سواء من الناحية الاستاتيكية او من الناحية الديناميكية لا يفهم الا من خلال هذا الترابط والتزامن بين عناصره ومكوناته المختلفة .

وينطبق هذا الوضع كذلك على التراث الاجتماعي المتعلق بالملبس فقد اتصف لباس الشخص في المجتمع الاردني بالبساطة وقلة التعقيد وخلوه من التعدد والتنوع سواء بالنسبة للذكور او الاناث فقد كان الشخص يكتفي من اللباس مايستر جسمه ويتميز لباسه بقلة التكاليف وافتقاره الى التعقيد فهو يكتفي بالكوفية والعقال والمزنوك او القمباو والسروال، وقد يضيف الة حادة كالشربة او الخنجر على جنبه ليستخدمها في اغراض متعددة وفي المناسبات يزيد على ذلك العباءة وتقوم العباءة بعدد من الوظائف فهي تقيه من البرد في الشتاء ، ويضع فيها البذار من الحبوب لبذرها في الارض في موسم الحرث وقد يستخدمها في بعض الاحيان لنقل احتياجاته من السوق عند الضرورة وذلك بثني طرفها الاسفل كذلك فان المادة التي تصنع منها العباءة شعرا او صوفا او وبرا تشير الى مكانات ومراتب اجتماعية متفاوتة ، ومن الملاحظ ان المادة التي تصنع منها الملابس تعتمد اعتمادا كبيرا على مشتقات الحيوان فالعباءة والفروة والعقال والنعال والجناد والحزام تصنع كلها من جلود الحيوانات او من شعرها او من صوفها اومن وبرها اما ملابس النساء تمتاز كذلك بالبساطة لكنهن اكثر عناية بملابسهن من الرجال وغالبا ماتكون ملابسهن فضفاضة واسعة وتستر الجسم كله وعلى الرغم من ان هذا النمط من الملبس يتصل بأوثق الصلات بقيم المجتمع وعاداته وتقاليده ويرتبط الى حد مابالنشاط الاقتصادي السائد الا ان هنالك صلات اخرى تتمثل في الوظائف التي يمكن ان تؤديها هذه الملابس فالمراة قد تضطر في بعض الاحيان لان تضع طفلها في ركن من ثوبها وقد تعلق مفتاح البيت او الصندوق في حطتها ، وقد تضع في جزء من شرشها أو ثوبها ماتلتقطه من النباتات البرية وقد تضع في داخله بعض السلع التي تبتاعها من السوق وعلى الرغم من تنوع نماذج الملبس في القطاعات الاجتماعية الثلاث التي يتالف منها المجتمع الاردني (البدوية ،

الريفية ، الحضرية)الا انه يحكمها جميعها اطار مستمر شبه موحد ويتمثل هذا التفاوت في جزء منه في اساليب الزينة واساليب التطريز التي تظهر .

اما الامثال الشعبية التي كان يتداولها الناس في مجتمعنا الاردني في الماضي والى حد ما في وقتنا الحاضر فقد عبرت تعبيرا صادقا عن حقائق الحياة الاجتماعية ، وصورت نماذج الحياة الاجتماعية في مختلف جوانبها وبخاصة ما يتعلق بنمط العلاقات والتفاعلات الاجتماعية بين الافراد والجماعات ، والمثل كما يعرفه الكسندر كراب هو تعبير عن حقيقة مالوفة صيغت في اسلوب مختصر حتى يتداوله جمهور من الناس(٥) والمثل الشعبي ليس مجرد وصف للحقائق الاجتماعية التي كانت تعيش في جسم المجتمع في الماضي وانما هو كذلك تعبير عن ديناميكية المجتمع وتطور خصائص حياته الاجتماعية فالمثل الشعبي الذي يقول (الجار ولو جار) او (اسأل عن الجار قبل الدار) وهو تعبير عن نمط محدد من العلاقات التي كانت تسود جماعات الجوار تقوم على اساس المحبة والتضامن والتماسك الاجتماعي وتقديم كل انواع العون والمساعدة ولكن عندما اخذت الروح الفردية تنتشر في الوسط الاجتماعي الجديد وتحل محل الروح الجماعية التي كانت سائدة في الماضي تطور هذا المثل الشعبي الذي يقول (يا جاري انت بحالك وانا بحالي)(٩) يتضح من هذا ان المثل الشعبي يتجدد بتجدد الحياة الاجتماعية ويتطور بتطورها فهو انعكاس لمضامينها ومحتوياتها وما فيها من انماط التفاعلات والعلاقات الاجتماعية .

وقد قامت بعض المحاولات لجمع لامثال الشعبية في مجتمعنا الاردني وتصنيفها على اساس ومعايير مختلفة ونذكر من هذه المحاولات على سبيل المثال لا الحصر الاستاذ روكس زائد العزيزي في كتابه (معلمة للتراث الاردني)(٧) وكتاب الدكتور هاني العمد (الامثال الشعبية الاردنية) وكتاب الاستاذ علي الخليلي (التراث الفلسطيني والطبقات) وفي الحقيقة فان الامثال الشعبية التي جمعت حتى هذه اللحظة من المجتمع الاردني تكاد تغطي معظم جوانب الحياة الاجتماعية وتصف انشطتها وجوانبها المختلفة غير ان هذه الامثال مازالت بحاجة الى دراسة علمية تحليلية من خلالها ثقافة المجتمع في ماضيه وحاضره . ، ومهما يكن من امر فان دارسي الامثال الشعبية بشكل خاص

يؤكدون على ان الامثال الشعبية تعتبر مداخل اساسية لدراسة احوال الشعوب واساليب معيشتها وطرق تفكيرها واتجاهات تقدمها الاخلاقي والحضاري ذلك لان المثل الحقيقي هو ما وضع بناء على حادثة وقعت فعلا او قصة شاهد الشعب احداثها فلخصت العبرة منها في عبارة سارت بين الناس هم يطبقونها في كل مناسبة تشبه المناسبة التي قيلت فيها[٨] فهي بهذا المعنى سجل ثقافي حافل بكل انماط الحياة وتفرعها وانشطتها المختلفة .

وفيما يتصل بالممارسات السحرية فلا احد ينكر ذلك الدور الخطير الذي تلعبه المعتقدات الشعبية في حياتنا الاجتماعية ، ذلك لانه خلف كل عادة اجتماعية وكل مظهر من مظاهر السلوك الانساني اسطورة او معتقد معين والممارسات السحرية وان كانت تضرب بجذورها البعيدة في أعماق التاريخ البشري الا انها مازالت تمارس في عصرنا وفي مجتمعنا في مختلف المجالات الحياتية بدرجات متفاوتة من الوضوح والغموض[٩] ويعرف السحر على انه الممارسة السلوكية القائمة على الاعتقاد في قوة خارقة للطبيعة تتركز في اشخاص معينين او في اشياء خاصة وتهدف هذه الممارسة السلوكية الى جلب الخير ودفع الاذى[١٠] ويعرف مالينوفسكي السحر بانه محاولة الانسان لضبط الواقع الطبيعي مباشرة عن طريق معرفة تقليدية خاصة وترتبط الممارسات السحرية ارتباطا وثيقا بعجز العقل البشري عن استكناه او معرفة القوانين العلمية التي تسيطر على حركة العالم ، ولذلك فيمكن القول ان هنالك علاقة قوية بين الاتجاه الى الممارسات السحرية وبين عجز الانسان عن اكتشاف حلول لمشكلاته المختلفة .

وقد ضرب مالينوفكسي امثلة كثيرة على توضيح هذه النقطة الاساسية ومنها على سبيل المثال قوله انك لوطلبت من شعب بدائي الا ينظم زراعته على نحو ما يفعل بل يستعين فقط بالوسائل السحرية لسخر منك ، ذلك لانه يعلم ان هنالك احوالا جوية يجب ان يراعيها في نشاطه الزراعي وانه يجب ان يتغلب على مشكلاته الزراعية بشكل او باخر كما انه يعلم ان هناك آفات زراعية تصيب مزروعاته وينبغي عليه ان يحاربها بخبرته التجريبية الى جانب استخدامه الطقوس السحرية[١١] ولهذا فان الممارسات السحرية في راي مالينوفسكي هي اختراع انساني لمكافحة القوى التي تهدد الوجود البيولوجي والاجتماعي للانسان فهو يقرر ان

الانشطة الانسانية عندما لا تكون في مواجهة اخطار محددة تكاد تخلـــو من الممارسات السحرية ، فقد وجد ان صيد الاسماك في جزر تروير بان فيمالييزيا عندما يتم بسهولة وبدون مواجهة اخطار من اي نوع فان السكان لا يمارسون اي نوع من السحر بينما في عمليات الصيد التي تمارس في البحار العميقة فان الجماعات تلجأ الى الممارسات السحرية لاتقاء الاخطار المتوقعـــة .

وتقوم الممارسات السحرية على مبداين اثنيين : ــ

اولا : ــ قانون التشابه اي ان الشبيه ينتج الشبيه او ان المعلول يشبـــه علته ، ومن هذا القانون يستنتج الساحر أن في استطاعته تحقيق الأهداف والنتائج التي يريدها عن طريق محاكاتها وتقليدها ، ومن امثلتها في مجتمعنا الأردني ، والتي مازال بعضها يمارس حتى يوما هذا ، ظاهرة اللجم عن الحيوان عندما يتأخر في المرعى اويفقد من الراعي ، وظاهرة الجرش بدون حب وظاهرة عمل العقـــدة (او الحجاب) وظاهرة فقىء عيون الدمى المنتشرة عند الاطفال .

ثانيا : ــ قانون الاتصال وهو تعبير عن ان الاشياء التي كانت متصلـــة بعضها ببعض في وقت ماتستمر في التأثير على بعضها عن بعد وبعد ان تنفصل ، وعلى أساس هذا المبدا يستنتج الساحر أن كل ما يفعله لاي شيء سوف يؤثر تأثيرا مماثلا على الشخص الذي كان هـــذا هذا الشيء جزءا منه او متصلا به في وقت من الأوقات ويسمى هذا النوع من السحر السحر الاتصالي ، ومن امثلة هذا النوع من السحر في مجتمعنا عمل العقدة او الحجاب الذي يشتمل على شيء من خاصية الشخص او كان هذا الشـيء يشكـل جزءا منه مثل الشعر او قطعـة قماش او نحوه .

لقد كانت الممارسات السحرية في الماضي تمارس لتحقيق اغـراض جماعية وقد كان هذا النوع من السحر يعكس طبيعة الروح الجماعـــية التي كانت تحكم علاقات الافراد ، وقد كانت تودى كذلك بطريقة جماعية، أما اليوم فعلى الرغم من تقلص اهتمامات الناس بالممارسات السحريـــة الا انها مازالت تمارس بطريقة فردية ولتحقيق اغراض فردية ، فقد كان

الناس في الماضي يمارسون السحر لاتقاء اخطار قد يهدد وجود الجماعة ككل ، كالممارسات السحرية الخاصة بالنشاط الزراعي وبتربية الحيوان وبالكوارث الطبيعية ونحوها اما اليوم فيمارس السحر لاتقاء الاخطار التي تحقيق بالفرد كفرد ولذلك تطورت أهداف الممارسات السحرية وغاياتها واصبحت تتركز على الفرد ، ومن امثلتها الممارسات السحرية الخاصة بالوظيفة والنجاح والحب والكراهية ونحوها ، كذلك فقد تطورت الأساليب المستخدمة في الممارسات السحرية حيث ظهرت اساليب وطرق جديدة مثل الفتح بالقهوة والكوتشينا (ورق الشدة) والفتح بالمندل والفتح بالكف وغيرها ، ويدعي اصحابها اليوم أن هذه الاساليب والطرق تقوم على أسس علمية ، وهذا يعني أن السحر يستجيب للروح العلمية التي أصبحت سمة من سمات هذا العصر ، ولذلك كان على هؤلاء السحرة ان يطوروا اساليبهم حتى تروج بضاعتهم ويكتب لها البقاء والاستمرار فالممارسات السحرية بشكل خاص والمعتقدات الشعبية عموما تكيف نفسها في نشأتها وتطورها وكذلك في ذبولها واختفائها للبيئة الاجتماعية التي تعيش فيها[١٢] .

وهكذا فان العناصر الاربعة التي تحدثنا عنها تشكل اركانا اساسية في التراث الاجتماعي الاردني ، وانها تعكس بدرجات متفاوتة من الوضوح خصائص الحياة الاجتماعية التي ميزت مجتمعنا الاردني في ماضيه وفي حاضره وأن الحاجة مازالت ملحة لدراسة هذا التراث دراسة تحليلية بقصد الكشف عن جوانب كثيرة في حياة مجتمعنا مازالت مجهولة او غير معروفة لدى البعض منا .

---

١ ــ ايكة هو لتكرانس :ــ قاموس مصطلحات الاثنولوجيا والفلكور ترجمة الدكتور محمد الجوهري والدكتور حسن الشامي .
ط ١ دار المعارف بمصر ، ١٩٧٢ . ص٨٨ .

٢ ــ المرجع السابق ص٨٩ .

٣ ــ المرجع السابق ص ٨٩.

٤ ــ آيكة هولتكرانس : ــ مرجع سبق ذكره ص١٩٩ .

٥ ــ الكسندر كراب : ــ علم الفلكلور ترجمة رشدي صالح دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة ١٩٦٧ ص٢٣٥ .

٦ ـ علي الخليلي : ـ التراث الفلسطيني والطبقات دار الآداب ، بيروت. ١٩٧٧ ص٧ .

٧ ـ روكس بن زائد العزيزي : ـ معلمة للتراث الاردني ، الجزء الاول. منشورات وزارة الثقافة والشباب عمان ١٩٨١ .

٨ ـ الدكتور هاني العمد : ـ الامثال الشعبية الاردنية . جمع وتصنيف. عمان وزارة الثقافة والشباب ١٩٧٨ .

٩ ـ روكس بن زائد العزيزي : ـ المرجع السابق ص٢٩ .

١٠ـ محمد الجوهري مجلة الجامعة ، المجلد التاسع ، العدد الاول يناير ١٩٧٢ ، ص٩٦ .

١١ـ الكسندر كراب ، علم الفلكلور : مرجع سابق ص٣٣٢ .

١٢ـ د . محمد الجوهري ، مجلة الجامعة ، مرجع سابق ص٩٦ .

المستشرقون والأمثال العربية

فريتاخ وموسوعته : امثال العرب

جليل العطية / باريس

يرجع اهتمام المانيا(١) بالاستشراق الى القرن السادس عشر الميلادي وقد وجدت اللغة العربية طريقها الى الجامعات الالمانية في النصف الثاني من القرن السابع عشر ، وكان يوهان كرايستوف فولف (١٦٨٣–١٧٣٩) من اوائل اساتذة العربية في جامعة هامبورك – اقتنى مكتبة للمخطوطات العربية ونشر العديد من الدراسات التي تتعلق بمبادىء اللغة العربية وطرق تعلمها

وقد ازدهرت الدراسات الشرقية في اعقاب الحرب العالمية الاخيرة واصبح لها في جامعات المانيا الغربية وحدها ٣٥ استاذا وتحتفظ المانيا بمجموعة نفيسة من المخطوطات الشرقية ، وتعد مكتبة برلين الوطنية

ومكتبات جامعات : جونجين ، وهايدلبرج ، وماينس من اغنى المكتبات بالمخطوطات الشرقية ولاسيما العربية ، ووضع المستشرقون الالمان فهارس دقيقة لهذه المخطوطات ، لعلها اكثرها اهمية فهرس الورد ، فهو فهرس وصفي لعشرة الاف مخطوط عربي ، يقع في عشرة مجلدات (برلين ١٨٨٧ – ١٨٩٩م) .

وعني المستشرقون الالمان بدراسة الشرق حضاراته تاريخه تراثه وتولى بعضهم نشر النصوص مع دراستها وصنع فهارس علمية لها،

ومن بين ألمع المستشرقين الذين قدموا خدمات جليلة لاحياء تراثنا العربي، وموروثنا الشعبي :

جيورج فيلهام فريتاخ(٢) (١٧٨٨ – ١٨٦١م)

ولد فريتاخ في لونبرغ Luneberg وتلقى مبادىء العربية في المانيا ورحل في سبيلها الى باريس حيث تتلمذ لسلفستر دي ساسي (١٧٥٨ – ١٨٣٨م) عميد المستشرقين الاوربيين ايامئذ . واتقن التركية والفارسية ، اضافة الى العربية واللاتينية وقد عينته جامعة بون استاذا للعربية فيها (١٨١٩) فوقف نشاطه عليها اذ كان يشتغل فيها احدى عشرة ساعة كل يوم ،حتى وفاته .

وقد بدأ حياته العلمية بشكل مبكر ، فنشر مرثية تأبط شرا متنا وترجمة وشرحا (جوتنجين ١٨١٤) ، ونشر قصيدة البردة لكعب بن زهير (بون ١٨٢٢) ومعلقة الحارث بن حلزة (١٨٢٧) ومعلقة طرفة بن العبد (١٨٢٩) .

واهتم فريتاخ بنشر النصوص التاريخية ، فنشر قسما من زبدة الطلب في تاريخ حلب لابن العديم – متنا وترجمة لاتينية (باريس ١٨١٩ بون ١٨٢٠) ،ونشر العصر الجاهلي من تاريخ ابي الفداء (١٨٣١) ، وفاكهة الخلفاء وفاكهة الظرفاء لابن عربشاه (بون ١٨٣٢ – ١٨٥٢م) ، ووصف فلسطين والشام للادريسي وتاريخ الحمدانيين (المجلة الشرقية الالمانية – المجلد العاشر ، ١٨٥٦ ، والمجلد الحادي عشر ١٨٥٧ – .

ومن آثاره الجيدة نشر ديوان الحماسة لابي تمام بشرح التبريزي في جزئين (بون ١٨٢٨ – ١٨٤٧)
ومن آثاره اللغوية :

المعجم العربي – اللاتيني ، يقع في اربعة اجزاء ،قضى في تصنيفه سبع سنوات ، ولايزال هذا المعجم المرجع الاساس لتعلم هذه اللغة المنقرضة ! واثناء دراسته الشعر الجاهلي وتحقيق نصوص هذا الشعر ، اكتشف عالما رائعا هو :

عالم الامثال !

وسرعان ماانهمك بالتهام كل مايصادفه من نصوص الامثال في المخطوطات أو المطبوعات وامتد ليشمل الامثال بانواعها : القديمة والمولدة والعامية ، وكذلك اطلع على مانشره المستشرقون في القرنين السابقين من نصوص ودراسات(٣) .

وكانت امثال « لقمان الحكيم » تحظى باهتمام دارسي الشرق ، ولهذا عكف على تحقيقها وترجمتها الى اللاتينية ، ولعله اختار احدى المخطوطات الموجودة منها في المكتبة الوطنية بباريس باشراف استاذه دي ساسي ، !

بعد ذلك بوقت وجيز شرع باعداد موسوعته الضخمة « امثال العرب» لقد كلفه هذا الكتاب الضخم جهدا استغرق سنوات ، تنقل خلالها بين المانيا وفرنسا وهولندا وغيرها مطلعا على المخطوطات والمطبوعات التي يحتاجها في مشروعه الموسوعي ، ولابد من التذكير ان المواصلات في ايامه كانت بدائية ، ولم تكن نعم الحضارة من كهرباء واجهزة تصوير وغيرها ، متوفرة ! ولهذا فانه عكف ينسخ بيده العشرات من المخطوطات ، بينها مجلدات كبيرة الحجم !

في تلك الفترة زاد اهتمام المستشرقين بمجمع الميداني ، وحدث مايشبه السباق بينهم للظفر بنشر النص كاملا ، وعندما ظفر فريتاخ بالنسخة التي اعدها صديقه هاماكر Hamaker للنشر ، وهي نسخة محققة،معارضة بعدة مخطوطات،فكر في نشره الا انه اكتفى بترجمة شرح الامثال الى اللاتينية ، ترجمة مختصرة ، ..

وفي عام ١٨٣٨ اصدر الجزء الاول من موسوعته في « بون » بعنوان امثال العرب

Arabum proverbia, vocalibus instruxit, Latine vertit, Commentario illustravit et sumtibus suis. edidit G.W. Freytag, Tom.

1. Inest a Meidanio collectorum proverbiorum pars prior.

صدر الكتاب عن دار مرقس Marcus ويقع في ٧٥٢ صفحة .
وفي عام ١٨٣٩ صدر الجزء الثاني ويقع في ٩٥٢ صفحة .
وصدر الثالث في عام ١٨٤٣ ويقع في ٦٠٠ صفحة مع عدة ملاحق وجداول.
ان موسوعة فريتاخ هذه ، تعد من المآثر العظيمة للاستشراق الالماني ، فلقد قدمت جزءا من تراثنا المتجسد بالامثال والحكم والاحاديث الشريفة ، وايام العرب وغيرها الى ايدي الدارسين الاوربيين بشكل مبسط .

وعلى الرغم من مرور نحو قرن ونصف من الزمن على نشرها فلاتزال هذه الموسوعة منهل الدارسين .

ولما كان المجلدان الاول والثاني مكتوبين باللاتينية .ويتضمنان دراسات في الامثال وتاريخ العرب ، فاننا سنوجه اهتمامنا الى المجلد الثالث وهو المهم في الموسوعة .

يتضمن القسم الاول من الجزء الثالث ٣٣٢١ مثلا جمعها فريتاخ من المصادر الاتية :

١ ـ كتاب الامثال لابي عبيد القاسم بن سلام(٤) (٢٢٤هـ ـ ٨٤٦ م) .

٢ ـ كتاب المستقصى من امثال العرب للزمخشري (٥٣٨هـ ـ ١١٦٠م) .

٣ ـ كتاب غاية الكمال لابن قدامة المقدسي (٦٢٠هـ ـ ١٢٤٢م) .

٤ ـ كتاب الامثال السائرة بين الناس (لمجهول من القرن الخامس عشر الميلادي ـ التاسع الهجري) .

٥ ـ تعليم المتعلم لمجهول (مجموعة في الحكم والاقوال المأثورة) .

٦ ـ أمثال « أصلين » (بخط الرحالة نيبور) .

ولابد من التنويه بأصالة هذه المصادر وتنوعها .. فكتاب ابي عبيد هو من اقدم المصادر الاصلية التي وصلت الينا بل هو ثالث اقدم النصوص التي وصلت الينا بعد كتاب « الامثال » للمفضل بن محمد بن يعلى الضبي(٥) صاحب المفضليات المشهور (المتوفى حوالي سنة ١٧٠هـ) . وكتاب « الامثال »(٦) لابي فيد مؤرج بن عمرو السدوسي (المتوفى سنة ١٩٥هـ) .

ومن حسن التوفيق ان تنشر طبعة علمية ، محققة له .

اما كتاب المستقصى فقد نشرته دائرة المعارف العثمانية في الهند بمجلدين (١٩٦٢) .

ويأتي كتاب غاية الكمال في سوائر الامثال لابن المقدسي في المرتبة الثالثة ، نظرا لاضطراب المخطوطة الفريدة التي وصلت الينا منه .

هذا بالنسبة للامثال العربية ـ اما بالنسبة للامثال العامية والحكم والاقوال المأثورة فقد اعتمد المؤلف على ثلاثة مصادر لاتزال مخطوطة حتى الان .

ويعتبر الامثال السائرة بين الناس من اهمها ، وقد درست هذا المخطوط بعد ان وقفت على عدة نسخ منه ، فتبين لي ، انه جمع في حدود القرن الخامس عشر الميلادي ـ كما اسلفت ـ ويبدو ان جامعه كان من المسيحيين ، نظرا لكثرة الامثال الخاصة بهم ، كما انه جمع في «حلب» أو في « ماردين » التي كانت تابعة لبلاد الشام (وهي اليوم ضمن الجمهورية التركية) .

« تعليم المتعلم » مجموع يتضمن طائفة من الحكم والاقوال المأثورة . ومصنفه مجهول ، من العلماء المتأخرين ولايزال مخطوطا ولا اهمية له من الناحية العلمية .

أما « امثال اصلين » فهي مجموعة من الامثال والحكم التي التقطها المستشرق والدبلوسي الفرنسي اصلين ، اثناء اقامته في مصر ، واهميتها محدودة ، وهي تمثل جهدا طيبا « للشيخ اصلين » الفرنساوي ، كما سمى نفسه في غلاف مخطوطة امثاله !

وتضمن القسم الثاني من هذا الجزء شذرات من كلام النبي (ص) تقع بين الصفحات ٦٠٧ ـ ٦١٧ وهي مختارة من كتاب الميداني ٤ : ٤٤ـ٤٧ (بتحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم) كما تضمن نبذة من كلام ابي بكر الصديق (رض)تقع بين الصفحات ٦١٨ ـ ٦٢٤ وهي موجودة في كتاب الميداني ٤ : ٤٨ ـ ٤٩ .

ومن كلام عمر بن الخطاب (رض) تقع بين الصفحات ٦٢٥ ـ ٦٣٢ ، وهي منتقاة من كتاب ـ الميداني ٤ : ٥٠ ـ ٥١ .

ومن كلام عثمان بن عفان (رض) تقع بين الصفحات ٦٣٣ ـ ٦٣٥ ـ وهي موجودة في كتاب الميداني ٥٣ـ٥٥ .

وطائفة من حكم الامام علي بن ابي طالب (رض) تقع بين ص ٦٣٥ـ ٦٤٤ موجودة لدى الميداني ص ٥٣ـ٥٥ .

ومن كلام ابن عباس (ص ٦٤٥ـ٦٤٦) وهي تقابل ص٥٦ في كتاب الميداني .

وهكذا نجد « فريتاخ » يعول كثيرا على ابي الفضل الميداني ، فينقل نبذة من اقوال كل من :

ابن مسعود ، المغيرة بن شعبة ، ابي الدرداء ، ابي ذر ، عمر بن عبدالعزيز ، الحسن البصري .

واورد طائفة من ايام العرب (٥٥٣ ـ ٦٠٦) مع تعريف موجز بها ومجموع هذه الايام ٢٢٨ يوما ،

ومن بين الايام التي اطال فيها التعريف .

يوم النشاش (٥٥٩) ، يوم جبلة (٥٥٨) ، يوم خزازى (٥٦٠) يوم الصفقة (٥٦١)واخر الايام التي ذكرها يوم نهاوند . وقد عول «فريتاخ» على الميداني الذي خصص الباب التاسع والعشرين من كتابه ٤ : ٣ـ٤٣ لذكر ايام العرب في الجاهلية والاسلام، غير ان المستشرق الالماني لم يفصل بين ايام العرب قبل الاسلام وبعده ، بل جمعها ، شارحا بعض هذه الايام وفي حالات قليلة ، يدرج بعض الابيات الشعرية بنصها العربي .

ويمكن القول ان «فريتاخ» وجد في مجمع الميداني ضالته المنشودة، فنقل معظمه في المجلدين الثاني والثالث ودرس مصادره قدر طاقته .

يتضمن كتاب الميداني ٤٧٦٥ مثلا ، تقريبا ، بينما يتضمن كتاب « فريتاخ » ٣٣٢١ مثلا .

وقد ادرجنا ــ قبل قليل ــ المصادر التي نهل منها « فريتاخ » ، وحال ضيق الوقت بيننا وبين وضع جدول محدد لمعرفة مجموع الامثال التي نقلها المستشرق الالماني من الميداني والمصادر الاخرى .

على اننا نرجح انه نقل نحو نصف مجموع الامثال التي احتجنها الميداني واذا علمنا ان ثمة مجموعة مشتركة بين امثال كل من الزمخشري وابن قدامة ادركنا ان النصف سيرتفع الى نحو ثلثي مجموع امثال الميداني !

واخيرا فاننا لسنا بصدد (تقويم) العمل العظيم الذي نهد به «فريتاخ» فقد قدم كتابه في زمن سابق ، مبكر ، يوم لم تكن الطباعة اخذت طريقها الى الوطن العربي ونحن نتفق مع المستشرق الالماني زلهايم بان :

كتاب « فريتاخ » يعد اليوم من الكتب التي استنفدت اعراضها من نواحي عدة ، ولايكفي اعادة النظر فيه وتنقيحه ، بل لابد من نشر نص « مجمع الامثال »[٧] للميداني ، نشرة علمية محققة ، غيرانه لا ينكر ماكان لهذا الكتاب من فضل في فهم الامثال العربية ، وفتح مغاليقها » .

هوامش

١ ــ عن الاستشراق الالماني انظر :

الاستشراق لادوارد سعيد (الترجمة العربية) ــ بيروت ١٩٨١ .
الدراسات العربية في اوربا لميشال جحا ــ بيروت .

المستشرقون لنجيب العقيقي . (الجزء الثاني) ــ دار المعارف ــ القاهرة .

٢ ــ رجحت الاسم الذي رسمه الزركلي، متخذا النص الالماني اساسا في رسم الاسم كاملا .(الاعلام ٢ : ١٤٩) ــ الطبعة الرابعة .

٣ ــ لمعرفة النصوص المنشورة في الامثال يستحسن الرجوع الى :

ببليوغرافيا شوفان : الجزء الاول (ليبج ١٨٩٢) والمستدرك على الكتاب الامثال العربية القديمة لزلهايم (الترجمة العربية) .

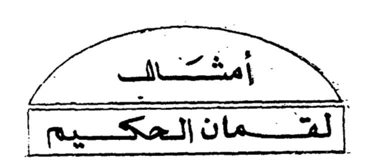
مقدمة كتاب الزاهر لابي بكر محمد بن القاسم الانباري ــ تحقيق د. حاتم الضامن (بغداد ــ ١٩٧٩).

٤ ــ نشر هذا الكتاب مؤخرا بتحقيق الدكتور عبدالمجيد قطامش ــ منشورات البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي ــ جامعة الملك عبدالعزيز ــ مكة المكرمة ١٩٨٠ ــ ١٤٠٠هـ

٥ ــ نشر بتحقيق الدكتور احسان عباس بيروت .

٦ ــ نشر بتحقيق د . احمد الغبيب بالرياض (١٩٧٠) وبتحقيق د . رمضان عبد التواب في القاهرة ١٩٧١ .

٧ ــ على الرغم من تعدد طبعات هذا الكتاب ، فانه لا يزال بحاجة الى من يعيد اليه نضارته ورونقه وقد وعد الدكتور احمد الغبيب الذي نال الدرجة العلمية عن دراسته الهامة حول الميداني ودراسة سفره (ليدز ١٩٦٦) ، بنشر مجمع الامثال للميداني ، نشرة علمية ، حقق الله الآمال !



الدكتور يوسف حبي
المجمع العلمي العراقي

تقديم

ان ادب الامثال والحكم قديم جدا . نلقاه في الآداب السومرية والاكدية والبابلية والكنعانية والمصرية والهندية وغيرها . وقد نسب التاريخ العديد من الامثال والحكم الى شخصية حملت اسم (لقمان الحكيم) ، دعي باسم (سليمان) في بعض المصادر ، كما جاء احيانا الخلط بينه وبين (احيقار) . وسليمان الملك شخصية معروفة ، فهو ابن داود الملك ، ينسب اليه سفر الجامعة ، وسفر نشيد الاناشيد . اما سفرا الحكمة والامثال ، من أسفار العهد القديم ، فالاول موضوع باليونانية أصلا ، والآخر منسوب الى يشوع بن سيراخ ويعرف باسمه . وجميع هذه الاسفار حكمية ، ترجع في الاصل الى جملة مؤلفين ، أو هي ثمرة عدة مصادر . فالامثلة والحكم تراث انساني قديم ، تتوارثه الشعوب والحضارات[1] . وجدير بالذكر ان ذكر الحكماء العرب وارد في اسفار العهد القديم ، كما ان صاحب سفر طوبيا مطلع على حكمة أحيقار . واحيقار مستشار الملك سنحاريب (٧١٤ ــ ٦٨١ ق م) ، وحكمته معروفة ومنشورة[2] .

اما (لقمان الحكيم) فيتقدم على سليمان واحيقار زمنا . وقد خصه القرآن الكريم بسورة مكية ، وجاء ان (آيات الكتاب الحكيم هدى ورحمة ...) .

ولا بأس ان يخترع الناس شخصيات ، ينسبون اليها الامثال والحكم ، ويتناقلون هذا الارث النفيس جيلا بعد جيل ولا عجب ان يدون البعض حصيلة هذه الحكمة ، وينسبونها الى علية القوم ومشاهير العلماء والمفكرين . ومن بين الاسماء اللامعة (لقمان الحكيم) ، لا يكاد كتاب من كتب التاريخ القديم يخلو من ذكره وسرد اضمامة من أمثاله وحكمه ، لو جمعت كلها لبلغت مجلدا ضخما ، متباين التفكير والتعبير ، لانه نتاج كثيرين واجيال ، أزمنة وامكنة عديدة ، حصيلة تجربة انسانية فريدة ، وقد يرجع في الاصل الى نواة نتمنى لو يصار الكشف عنها بجلاء .

المخطوطة وامثالها الحكمية

الامثال الحكمية المنسوبة الى لقمان الحكيم ، والتي ننشرها هنا ، محفوظة في مخطوطة عربية في المكتبة الوطنية بباريس تحت رقم ١٧٥ ، الاوراق ١٣٣ ـ ١٤٤ . وقد تم استنساخ المخطوطة عام ١٠١٦ للشهداء / ١٣٠٠ للميلاد . اما أوراق المخطوطة الاخرى فتشمل على كتاب « المعونة على دفع الهم » لايليا برشينايا مطران نصيبين(٢) . وكنت قد طلبت من الصديق د . كوركيس اسحق ان يستنسخ لي الاوراق التي تتضمن أمثال لقمان الحكيم ، ففعل مشكورا ، وذلك منذ أواخر ١٩٧٩ .

تأتي أمثال لقمان هذه على لسان أناس أو حيوانات ، تليها نصائح مستمدة من صلب كل مثل ونظن بان النصائح او المغزى الذي يلي كل مثل ، من وضع آخرين احدث عهداً . وقد وضعنا لكل مثل عنوانا ورقما ، لتسهيل امر الرجوع اليه ، بينما تركنا المقارنة بين هذه الامثال الحكمية وما نلقاه من امثال قديمة في مواضع اخرى ، الى فرصة اخرى ، باذن الله .

تاتي (امثال لقمان) في ذيل المخطوطة المشتملة على ١٤٤ ورقة من الحجم المتوسط ، ١٤ سطرا في كل صحيفة ، بحجم ١٧ × ١٢ سم . الذيل ، اي (امثال لقمان) مكتوبة بيد مختلفة عن قلم كتاب (المعونة على دفع الهم)، وقد وردت الامثال بعنوان (امثال ومعاني للقمان الحكيم)، فيبدو من العنوان عينه ان ثمة اخطاء نحوية، اصلحناها دون الاشارة عادة الى ذلك ، فنحن لا نتوخى هنا طبعة نقدية ، انما نشر هذه الامثال لتقديم مادة مفيدة في باب الامثال والحكم .

امثـال لقمـان

(١) الاتفاق والافتراق (فرق تسد)

قال اسد :

مرة خرج عليّ ثوران ، فاجتمعا جميعـا ، وكانا ينطحانه بقرونهما ولا يمكنه من الدخول بينهما . فانفرد باحدهما ووعده بان لا يعارضه ان تخلى عن صاحبه ، فلما افترقا افترسهما جميعا .

هذا يعني : مدينتين ، اذا اتفق رأي اهاليها ، فان لا يتمكن منهما عدو ، واذا افترقا هلكا جميعا .

(٢) الافتخار الطائش

أيل مرة عطش ، فأتي الى عين ماء ليشرب ، فنظر خياله في الماء ، فحزن لدقة قوامه وسر وابتهج لعظم قرونه وكبرها . وفي الحال خرج عليه الصيادون ، فانهزم منهم . وبينما هو في السهل(٤) فلم يدركوه . فلما دخل الجبل وعبر بين الشجر ، لحقه الصيادون فقتلوه .

فقال عند موته : الويل لي انا المسكين ، الذي ازدريته خلصني ، والذي رجوته اهلكني .

(٣) الكثرة بليـــة

ايل مرة مرض ، فكان أصحابه من الوحوش يأتون اليه ويعودونه . ويرعون ما حوله من العشب . فلما أفاق من مرضه ، التمس شيئا يأكل فلم يجد ، فهلك جوعا .

هذا يعني : من كثر اهله واخوانه كثرت احزانـه .

(٤) هـول الهوان

أسد مرة ، اشتد عليه حر الشمس ، فدخل الى بعض المغاور يتظلل فيها. فلما ربض، اتى اليه جرذ ومشى فوقظهره، فوثب (الاسد) قائما ، ونظر يمينا ويسارا وهو خائف مرعوب . فنظر الثعلب وضحك منه . فقال له الاسد : ليس من الجرذ خوفي ، وانما عظم علي احتقاره لي .

هذا يعني : ان الهوان على العاقل اشد من الموت .

(٥) عدم تصديق العدو

اسد مرة : اراد ان يفترس ثورا فلم يجسر عليه لشدة قوته. فمضى اليه ليحتال منه قائلا له : اعلم اني ذبحت خروفا سمينا ، واشتهي ان تأكل عندي في هذه الليلة خبزا ، فاجابه الى ذلك . فلما وصل الى الموضع ونظر ، فاذا الاسد قد استعد بحطب كثير وخلاقين كبارا ، فولى الثور هاربا لما عاين ذلك . فقال له الاسد : لماذا وليت بعد مجيئك الى هنا ؟ فقال الثور : لاني علمت ان هذا الاستعداد هو لأكثر من خروف .

هذا يعني : انه ما سبيل العاقل ان يصدق عدوه ولا يأنس به .

(٦) الانتبـاه

أسد مرة شاخ وضعف ، ولم يقدر على كسر شيء . فاراد أن يحتال لنفسه في المعيشة ، فتمارض والقى نفسه في بعض المغاور ، فكان كلما أتاه شيء من الوحوش ليعوده ، افترسه داخل المغارة وأكله . فأتى الثعلب عائدا له ووقف على باب المغارة مسلما عليه ، وقائلا له : كيف حالك ، يا سيد الوحوش ؟

قال له الاسد : لم لا تدخل يا ابا الحصين ؟ قال له الثعلب : يـا سيدي قد كنت عولت على ذلك ، غير اني أرى آثار اقدام كثيرة قد دخلوا ، ولا ارى قد خرج منهم ولا واحد .

هذا يعني : ان ما سبيل أحد ان يهجم على أمر أو يميز(٥) .

(٧) ليس في اليد حيلة

اسد مرة وانسان، اصطحبا على الطريق، فجعلا يتشاجران بالكلام على القوة وشدة البأس . فجعل الاسد يطنب في شدته وبأسه . فنظر الانسان الى حائط ، (ورأى) صورةرجـل وهو يخنق سبعا ، فضحك الانسان . فقال له الاسد : لو ان للسباع مصورين مثل بني آدم ، لمـا قدر الانسان ان يخنق سبعا .

وهذا معنى انه : ما يرى الانسان بشهادة أهل بيته .

(٨) عـدم الفطنـة

أيل مرة ، من خوف الصيادين انهزم الى مغارة ، فدخل اليه الاسد وافترسه . فقال في نفسه : الويل لي انا الشقي ، لاني هربت من الناس ، فوقعت في يد من هو اشد منهم باسا .

هذا معنى : من يفر من خوف يسير ، يقع في بلاء عظيم .

(٩) الغفلـــة

ايل مرة ، عطش فنزل الى جب ماء ، فشرب منه بشره . ثم رام الطلوع فلم يستطع ، فنظره الثعلب وقال له : يا اخي قد اسات في فعلك ، اذ لم تميز قبل نزولك كيف الطلوع ، وبعد ذلك نزلت .

هذا معنى : من ينفرد براي نفسه بغير مشورة .

(١٠) ذكـــاء

النسور والارانب ، وقع بينهم حرب . فمضت الارانب الى الثعالب يسومون منهم الحلف والمعاضدة على النسور ، فقالوا لهم : لولا اننا نعرفكم ونعلم من تحاربون لفعلنا ذلك .

هذا معنى : ان ما سبيل الانسان ان يحارب من هو اشد باسا منه .

(١١) ليست العظمة بالكثرة

ارنب عيرت اللبؤة قائلة لها : انا انتج في كل سنة اولادا كثيرة ، وانت انما تلدين في عمرك واحدا او اثنين . فقالت اللبؤة : صدقت ، غير انه ان كان واحد فهو سبع .

هذا معنى : ان ولدا واحد بازل اخير من الاولاد كثيرين عاجزين(٦) .

(١٢) عاقبـــة الجشع

امراة مرة : كان لها دجاجة تبيض في كل يوم بيضة فضة . فقالت الامراة في نفسها ، ان انا اكثرت علفها فهي تبيض في كل يوم بيضتين . فلما اكثرت علفها ، فشقت حوصلتها وماتت(٧) .

هذا معنى : ان اناسا كثيرين بسبب ربـــح يسير ، يهلكون رؤوس اموالهم .

(١٣) المباهاة المزيفة

بعوضة : وقفت على قرن ثور ، وظنت انهـــا قـــد ثقلـــت عليه . فقالت لـــه : ان كنت قد ثقلت عليك فاعلمني حتى اطير عنك. فقـــال لها الثور : يا هذه ، ماحسست بك في وقت نزولك ولا اذا انت طرت اعلم بك .

هذا معنى : من يطلب ان يجعل له مجداً وذكراً وهو ضعيف حقير .

(١٤) حــب الحياة

انسـان مرة : حمل على ظهره حطبا ، فثقل عليــه ، فلما ضجـر من حملها رمى بها عن كتفه ، ودعا على روحه بالموت . فشخص له الموت قائلا : هو ذا انا ، لماذا دعوتني ؟ فقال له دعوتك لترفع هذه حرزة الحطب على كتفي[٨] .

هذا معنى:انالعالم باسره يحبالحياة فيهذه الدنيا، وانما يملالضعف والشقاء .

(١٥) الطيور على اشكالها تقع

انسان مرة : نظر حيتين تتقاتلان وتتناهشان ، واذا حية أخرى قد أتت فاصلحت بينهما. فقال لها الانسـان : لولا انك اشر منهما لما دخلت بينهما[٩] .

هذا معنى : ان انسان السوء يصير الى ابناء جنسه .

(١٦) تربيـــة الام

بستاني مرة : كان يسقي البقل ، فقيل له : لماذا ، البقل البري غير مخدوم ، وهو بهي المنظر ، وهذا الجوي سريــع الذبول والعطب ؟ فقال البستاني : لان البري تربيه امه ، وهذا تربية امراة ابيه .

هذا معنى : ان تربية الام للاولاد أفضل من تربية امراة الاب .

(١٧) معيـــاران

انسان مرة : كان له صنم في بيته يعبده ، وكان يذبح له في كل يوم ذبيحة ، فافنى جميع مايملك علىذلكالصنم. فتراءى له الصنم قائلا : لا تفني مالك بسببي ، ثم تلومني في الاخرة .

هذا معنى : من ينفعه ماله في الخطيئة ، ثم يحتج ان الله أفقره .

(١٨) الطبيعة والتطبــع

انسـان : راى رجلا اسود وهو واقف في الماء يستحم ، فقال له : يا أخي ، لا تعكر النهر ، فانك لا تستطيع البياض ولا تقدر عليه .

هذا معنى ان المطبوع ما يتغير طبعا .

(١٩) اسداء المعروف

انسان : كان راكبا فرسا ، وكانت حامل . وفيما هو في الطريق انجبت ، فتبع أمه غير بعيد ، ثم وقف وقال لصاحبه : يا سيدي ، هوذا تراني صغيراولا استطيع المشي ، فان مضيت وتركتني ها هنا ، هلكت ، وان انت اخذتني معك ، وربيتني الى ان اقوى ، حملتك على ظهري ، واوصلتك سريعا الى حيث تشاء .

هذا معنى : انه يجب ان يسدي المعروف الى اهله ومستحقيه ولا يطرحوا .

(٢٠) لكل نصيبه

انسان مرة : حمل على بهيمة كبشا وعنزا وخنزيرا ، وتوجه الى المدينة ليبيع الجميع ، فاما الكبش والعنز فلم يكونا يضطربان . واما الخنزير فانه كان يعوص دائما ولا يهدا . فقال له الانسان : يا أشر الوحوش ، لماذا الكبش والعنز بسكوت ولا يضطربان ، وانت لا تهدا ولا ولا تستقر ؟ فقال له الخنزير : يا سيدي كل واحد يعلم داء نفسه انا اعلم ان الكبش لصوفه والعنز يطلب لبنها ، وانا الشقي لا صوف لي ولا لبن . وانا متحقق انه عند وصولي ارسل الى المصلخ لا محالة .

هذا معنى : ان الذين يغرقون في الخطايا والذنوب التي قدمت ايديهم ، ويعلمون سوء منقلبهم ، وماذا تكون آخرتهم(١٠) .

(٢١) الصمود يصنع النصر

سلحفاة وارنب : مرة استبقا ، وجعلا الحد بينهما الجبل يستبقان اليه . اما الارنب فلادلاله بخفته وجريه توانى في الطريق ونام . اما السلحفاة فلعلمها بثقل طبيعتها لم تستقر ولم تتوان في الجري فوصلت الى الجبل عند استيقاظ الارنب من نومه(١١) .

هذا معنى : ان طول الروح والمداومة اخير من الخفة .

(٢٢) ضعف الراي

ذباب مرة : اصابوا جلود بقر في نهر ماء تبل ، وليس عندها احد ، فاتفقوا كلهم على انهم يشربون الماء حتى تنشف لهم الجلود وياكلونها . فمن كثرة ماشربوا من الماء تفتقوا كلهم وماتوا ولم يصلوا الى الجلود .

هذا معنى : من هو قليل الراي ويعمل كما لا يجب .

(٢٣) من ياخذ بالسيف بالسيف يؤخذ

ذئب مرة : اختطف خنوسا صغيرا ، وفيما هو ذاهب بـه ، لقيه اسد ، فاخذه منه . فقال الذئب في نفسه : عجيب ان شيئا اغتصبته كيف يثبت معي .

هذا معنى ان : ما لا يكتسب من الظلم لا يقيم مع صاحبه ، وان هو اقام معه فلا يتهنأ بـه .

(٢٤) التجانس

الوز والخطاف : اشتركوا في المعيشة ، فكان مرعى الجميع مكانا واحدا . ولما كان ذات يوم اتاهم الصيادون . اما الخطاف فلاجل خفته طار جميعه وسلم ، واما الوز فادركه الصيادون وذبحوه .

هذا معنى : من يعاشر من لا يشاكله وليس هو من بني جنسه .

(٢٥) اهمية الجوار

العوسج : قال يوما لبستاني : لو كان من يهتم بي وينصبني في وسط البستان ، ويسقيني ويخدمني ، الملوك يشتهون النظر الى زهري وثمري . فأخذه ونصبه في وسط البستان في أجود الارض ، وكان يسقيه في كل يوم دفعتين. فنشأ وقوي شوكه وتفرعت اغصانه على جميع الشجر الذي حوله فجفت ، وامتدت عروقه في الارض ، وامتلأ البستان منه ومن كثرة شوكه ، ولم يكن احد يستطيع ان يتقدم منه .

هذا معنى : من يجاور انسان سوء فانه كلما اكرمه اشتد شره وتمرده ، وكلما أحسن اليه اهون الفعل معه .

(٢٦) الادعاء الكاذب

خنفسة : قالت مرة لنحلة العسل : لو اخذتي كي اكون معك ، لعملت العسل مثلك واكثر . فاجابتها النحلة الى ذلك . فلما لم تقدر على

مثل ذلك ، ضربتها النحلة بحمالها ، وفيما هي تموت ، قالت في نفسها : لقد استوجبت ما نالني من السوء اذ لم يكن لي بصيرة بعمل الزفت انما التمست عمل الشهد .

هذا معنى : من يتحلى بما ليس له ويدعي عمل ما يتوجب له .

(٢٧) عدم تقريع المنكوب

صبي مرة : رمى بروحه النهر ، ولم يكن يحسن السبح ، فاشرف على الغرق . فاستعان برجل عابر طريق ، فاقبل اليه وجعل يلومه على نزوله الى النهر . فقال له الصبي : يا هذا ، خلصني اولا من الموت وبعد ذلك تلومني[١٢] .

هذا معنى : ان لا يجب ان يلام الانسان عند وقوعه في الشدة في غير موضع .

(٢٨) ضرورة تمييز الامور

صبي مرة : كان يصيد الجراد ، فنظر عقربا ، فظن انها جرادة كبيرة ، فمد يده ليأخذها ، ثم فر عنها . فقالت له : اما لو كنت قبضتني، لكنت تخليت عن صيد الجراد .

هذا معنى : ان سبيل الانسان ان يميز الخير من الشر ، ويدبر لكل شيء تدبيرا على حدة .

(٢٩) بالتاني السلامة

حمامة مرة : عطشت ، فاقبلت تحوم في طلب ماء . فنظرت على حائط صورة صحفة مملوة ماء ، فطارت بسرعة وضربت بنفسها تلك الصورة ، فانشقت حوصلتها . فقالت : الويل لي انا الشقية ، لانني اسرعت في طلب الماء واهلكت روحي .

هذا معنى : ان التاكد والتاني على الاشياء اخير من المبادرة والمسارعة اليها .

(٣٠) الاسراف

قط مرة : دخل الى دكان حداد ، فاصاب المبرد المرمي ، فاقبل يلحسه بلسانه حتى انه يسيل الدم وهو يبلعه ويظن من المبرد ، الى ان انشق لسانه وفني .

هذا معنى : من ينفق ماله من غير الواجب ثم لا يحسب حتى يفلس وهو لا يعلم .

(٣١) التغافــل

حداد مرة : كان له كلب ، وكان لا يزال نائما ما دام الحداد يكل ، فاذا ارفع العمل وجلس هو واصحابه لياكلوا خبزا ، استيقظ الكلب . فقال الحداد ، كمن ياكل السوء ، لاي سبب صوت المراكب التي تزعزع الارض توقظك ، وصوت المضغ الخفي اذا انت سمعته فانك تيقظت[١٣] .

هذا معنى : من يسمع ما لا يصلح لشانه ويتغافل عن ما ليس بــه منفعة .

(٣٢) الاستهانة بالضعف

كلاب مرة : رأوا جلد سبع فاقبلوا عليه ينهشونه ، فنظرهم الثعلب ، فقال لهم : اما انه كان حيا لرايتم مخالبه أحد من انيابكم واطول .

هذا معنى : الذين يشتمون بقوم اجلاء المقدار اذا هم تضعضعت احوالهم .

(٣٣) اضاعــة الفرص

كلب مرة : خطف بضعة لحم من المصلخ ، ونزل يخوض في النهر ، فنظر خيالها فرمى بها ، فانحدرت شوحة فاخذتها ، وجعل الكلب يجري في طلب الكبير ، فلم يجد شيئا ، فرجع في طلب الذي كان معه فلم يصبها ، فقال : ماأعرف اقل رأيا مني ، لاني ضيعت ما كان معي ، وطلبت مــا ليس لي .

هذا معنى : من يترك شيئا قليلا موجودا ويطلب كثيرا مفقودا .

(٣٤) الخوف من الاقوى

كلب مرة : كان يطرد ذئبا ويفتخر بقوته وخفة جريه وانهزام الذئب بين يديه ، فالتفت اليه الذئب قائلا : لا تظــن ان خوفي منك ، وانمــا خوفي ممن هو معك يطردني .

هذا معنى : انه لا يفتخر الانسان الا بما هو له ، ولا يكون افتخاره بما ليس له .

(٣٥) التصديق الرخيص

كلب مرة : كان في دار أصحابه دعوة ، فخرج الى السوق ، فلقي كلبا آخر فقال لـه : اعلم ان عندنا اليوم دعـوة ، فامضي بنا لنقصف اليوم جميعا . فمضى معه فدخل به الى المطبخ . فلما نظره الخدام قبض احدهم على ذنبه ورمى به من الحائط الى خارج الدار ، فوقع مغميا عليه ، فلما افاق وانتفض من مصابه، فراه اصحابه له: اين كنت اليوم ؟ فكنت تقصف ؟ فاننا نراك ما خرجت اليوم وندري كيف الطريق(١٤) .

هـذا معنى : ان كثيريـن يتصلعون فيخرجون مطروديـن بعد الاستخفاف بهم والهوان .

(٣٦) المجاملـــة

كلب مرة : طرد ارنبا ، فلما أدركه ، قبض عليه واقبل بعضه بانيابه فاذا جرى الدم لحسه بلسانه ، فقال له الارنب : اراك تعضني كانـي عدو لك ، ثم تبوسني كأنك صديق لي .

هذا معنى : من يكون في قلبه غش ودغل ويظن اشفاقا ومحبة .

(٣٧) التعاون والمنافســة

الجوف والرجلان : تجادلا فيما بينهما : ايهما يحمل الجسم . فقالت الرجلان : نحن بقوتنا نحمل الجسم . قال الجوف : انا ان لم اكل من الطعام شيئا ، فانتما لا تستطيعان المشي ، فضلا عن ان تحملا شيئا .

هذا معنى : من يتولى أمرا ، فان لم يعضده الذي هو ارفع منه واشد منه ، والا فما له قدرة الى خدمته ولا منفعة لروحه ايضا .

(٣٨) اللين افضل من العنف

الحر والريح : تجادلا فيما بينهما : من يقدر ان يجرد الانسان من ثيابه . فاشتدت الريح في الهبوب وعصفت جـدا ، فكان الانسان اذا اشتدت هبوب الريح لم ثيابه والتف بها من كل جانب ، ولم تقدر الريح على خلع ثيابه عن جسمه رغم شدة عصفها .

فلما اشرقت الشمس وارتفع النهار ، اشتد الحر وحميت الرمضاء ، خلع الانسان ثيابه وحملها على عاتقه من شدة الحر .

هذا معنى : من كان معه الاتضاع وحسن الخلق . ينال صاحبه جميع ما يريد .

(٣٩) عاقبة الغرور

ديكان مرة اقتتلا ، ففر احدهما ومضى اختفى من وقته في بعض الاماكن .

اما الديك الذي غلب ، فانه صعد فوق سطح الدار ، وجعل يصفق بجناحيه ويصيح ويفتخر ، فنظر بعض الجوارح ، فانقض عليه ، ولوقته اخذته .

هذا معنى : انه لا يجوز للانسان ان يفتخر بيأسه .

---

(١) بشان هذا كله انظر :

Introduction à la Bible, 2, Introduction critique à l'Ancien Testament, Paris 1973, P. 531 s.

(٢) بشان حكمة احيقار ، انظر : احيقار الحكيم للمطران بولس بهنام ، بغداد ١٩٧٦ (مطبوعات مجمع اللغة السريانية الهيئة السريانية حاليا في المجمع العلمي العراقي) .

(٣) بشأن حياته وآثاره انظر : تاريخ ايليا برشينا، لكاتب هذه السطور، بغداد ١٩٧٤ .

(٤) عبارة ناقصة ولعلها كالتالية (لحقة الصيادون) .

(٥) نص غير مفهوم والمقصود : على المرء ان يميز الامور قبل اقدامه على العمل .

(٦) كلمة غير مفهومة ، وصيغة غير مستعملة (اخير) ، وقد تركت بعض الاخطاء الواضحة دون تصحيح ، حفظا على امانة النص .

(٧) في النص كله زيادة (فاء) على الافعال ، فضلنا عادة تركها على علاتها .

(٨) انها حزمة الحطب والضمير في (حملها) منسوب اليها .

(٩) أشر بدلا من : اكثر شراً ، وفي النص أخطاء في الافعال ، فقد وردت بصيغة المذكر .

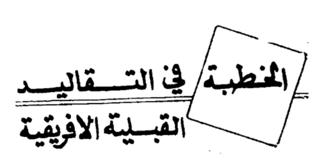
(١٠) وردت عدة اخطاء لغوية في هذا المثل .

(١١) وردت افعال (السلحفاة) بصيغة المذكر ، في الاصل ، فحولناها الى المؤنث .

(١٢) يبدو من هذا المثل كم ان اللغة ركيكة ، اقرب الى العامية منها الى الفصحى .

(١٣) ان املاء كلمات عديدة في هذا المثل مكتوبة بشكل غير سليم .

(١٤) لغة هذا المثل بحاجة الى تعديلات كثيرة .



الدكتور محمود زناتي
كلية الحقوق - جامعة اسيوط
جمهورية مصر العربية .

تجرى عادة القبائل الافريقية بأن تسبق الزواج خطبة · وللخطبة لديها اجراءات خاصة ينبغي اتباعها · وهي تمتد فترة قد تطول وقد تقصر وتترتب عليها اثار معينة · كما أن ثمة أسبابا معينة قد تؤدي الى فسخها ·

ونتناول فيما يلي الحديث عن كل من هذه الامور ·

أولا ـ اجراءات الخطبة :

تختلف اجراءات الخطبة باختلاف القبائل ·

ففي عدد غير قليل من القبائل الافريقية يعترف للفتاة بالحق في قبول أو رفض المتقدم للزواج منها · وفي هذه القبائل يسبق الخطبة ، عادة ، اتصال مباشر أو غير مباشر ، بين الراغب في الزواج والفتاة التي يريد الزواج منها · ويستهدف هذا اللقاء الاستيثاق من موقف الفتاة حتى لايواجه طلب الزواج بالرفض من جانبها ·

والقبائل التي يجرى العرف فيها بضرورة التعرف أولا على موقف الفتاة من طلب الزواج عديدة · منها قبائل رعوية وأخرى زراعية وثالثة تجمع بين الرعي والزراعة · ومنها قبائل أبوية تؤسس النسب على القرابة من جهة الاب وأخرى أمية تعتد أساسا بالقرابة من جهة الام ·

ونقتصر فيما يلي على ذكر بعض الامثلة :

لدى الهوتنتوت (وهم قبيلة رعوية في الجنوب الغربي من افريقية) عندما يرغب شاب في الزواج من فتاة معينة ، يسعى الى الحصول على موافقتها الرسمية ·

وذلك بأن يقدم لها عصا صغيرة ، فاذا تناولتها وكسرتها الى قطعتين وألقت باحداهما على صدره ، كان ذلك دليلا على موافقتها • وبعد تمام هذا الاجراء يتوجه عدد من قريبات الفتى المسنات الى أم الفتاة ، ويطلبن اليها الموافقة • وتقضي التقاليد بأن تمتنع الام عن اعطاء موافقتها • وبعد فترة من الزمن يقوم الفتى خلالها بتقديم بعض الهدايا الصغيرة الى والدي الفتاة يجدد طلب الزواج ، ويتم الاتصال هذه المرة بأبي الفتاة مباشرة • وأخيرا بعد مظاهر احجام من جانب الوالدين ، تطول مدته أو تقصر ، يحصل الفتى على موافقتهما •(١)

ولدى الكيكويو (وهي قبيلة رعوية زراعية تقطن جمهورية كينيا) اذا وقع فتى في حب فتاة فليس باستطاعته أن يخبرها مباشرة بأنه يحبها لان ذلك يعد في عرف الكيكويو « سوء أدب وعدم تحضر » ولذلك يبحث الشاب الامر مع واحد أو اثنين من أصدقائه المقربين • ويقوم الجميع بزيارة حوش الفتاة وعندما يصلون اليه يدخلون كوخ أمها فترحب البنت وأمها بهم ، ثم تخرج الام وتترك البنت بمفردها معهم • ثم يدخل أحدهم في مناقشة معها يتطرق منها الى موضوع الزواج • فاذا وافقت على الزواج من المتقدم لها ، طلبت اليه العودة مرة أخرى • وتتكرر الزيارة • وعندما توافق الفتاة يعود الشاب الى بيته ويبحث الموضوع مع والديه • فيعد الوالدان الجعة التي سيقدمانها لوالدي الفتاة • وتعرف هذه الجعة « بجعة طلب يد الفتاة » • ثم يبحث والدا الطرفين موضوع الزواج •(٢)

ولدى اللامبا (وهي قبيلة أمية تمارس الزراعة وتقطن في جمهورية زامبيا وجمهورية زائير) عندما يرغب رجل في اتخاذ زوجة يزور بضع قرى حتى يعثر على الفتاة التي يشعر نحوها بجاذبية ، وعندئذ يسأل أحد معارفه بالقرية عما اذا كانت متزوجة أم غير متزوجة • فاذا لم يكن لها زوج أفضى اليه برغبته في الزواج منها وطلب اليه أن يفاتحها في الامر • ويتحدث الصديق الى المرأة ويحثها على المجيء لرؤية الراغب في الزواج منها والحديث اليه • وفي بعض الاحيان ترفض المرأة حياءً الذهاب الى الراغب في الزواج منها والحديث اليه ، وفي احيان اخرى لاتمانع في ذلك • وعندئذ يعرض طالب الزواج اقتراحه بصراحة قائلا « أريد الزواج منك » • واذا قررت الفتاة قبول طلب الراغب في الزواج منها فانها في بعض الاحيان تسكت ولا تحير جوابا • ثم تنهض عائدة الى بيتها • ويتبعها صديق الراغب في الزواج الى بيتها ليحصل على كلمتها الاخيرة • وهي في العادة تقول له : « أوافق • في الصباح دعه يسأل أبي وأمي »(٣) •

ولدى قبائل أخرى لا يتطلب العرف موافقة الفتاة على الراغب في الزواج منها ، ويجعل من الزواج أمرا يخص أولا وأخيرا أولياءها وفي مقدمتهم ابوها في المجتمعات الابوية وخالها في المجتمعات الامية . وفي هذه القبائل لا تتطلب الخطبة اتصالا سابقا بين الراغب في الزواج والفتاة التي يريد الزواج منها . وفي بعض القبائل لا يتطلب العرف أيضا موافقة الفتى على الفتاة التي اختيرت زوجة له . وفي هذه الحالة لا يكون للفتى أو الفتاة شأن في خطبتهما . بل تتم اجراءات الخطوبة دون حاجة الى موافقتهما أو حتى دون علمهما .

ومن القبائل التي تنحو هذا المنحى في شأن الخطبة التسوانا (وهم قبائل رعوية زراعية يمثلون غالبية سكان دولة بوتسونا في جنوب افريقية). فلدى التسوانا اذا وقع اختيار والدي الفتى على فتاة معينة كزوجة مقبلة له بعث أبو الفتى أحد أقاربه الاقربين ومعه رجل اخر كشاهد الى والديها يطلب يد الفتاة لابنه . ويتحين الرجلان فرصة مناسبة لاطلاع أبي الفتاة على مهمتها . واذا كان أبو الفتاة موافقا قدّم اليهما بعض الطعام والشراب (الجعة) تشجيعا لهما . ثم يعود الرجلان لكي يعرضا على أبي الفتى نتيجة سعيهما . وخلال هذه الفترة يناقش والدا الفتاة طلب الزواج منها مع أقاربهما ، وقد يقررون قبوله أو رفضه . وعندما يعود المبعوثان لتجديد طلب يد الفتاة ، يطلب اليهما أبوها ارسال النساء اذا كان موافقا على الزواج . وبعد بضعة أيام تأتي احدى قريبات الفتى المسنات تصحبهما امرأة أخرى الى أم الفتاة لتأكيد طلب الرجال . وعندئذ يطلب اليهما العودة في يوم معين لتلقي الرد . وفي اليوم المحدد يحضر عادة كل أقارب الفتاة كما يحضر عدد كبير من أقارب الفتى ، من بينهم والداه والمبعوثان الاولان . ويقول أهل الفتاة لأهل الفتى : « ها هي الصبية ، يمكنكم أخذها ، خذوها حية واذا أعدتموها اعيدوها وهي مازالت على قيد الحياة ». ومعنى هذه العبارة أنكم اذا ضقتم بها ردوها دون الحاق أذى بها . ويرد أهل الفتى قائلين : « نجعلها تمطر (من أجلكم) » أي اننا نقدم اليكم شكرنا . وبهذا تنتهي المرحلة الاولى من الخطوبة . وتتحقق المرحلة الثانية ، وهي التي يقصد بها تأكيد الخطوبة ، عندما يبعث أهل الفتى حيوانا الى أهل الفتاة لذبحه أو عندما يبعثون اليهم بأشياء مثل بعض الاغطية أو الثياب وبقبولها تعتبر الخطوبة مكتملة .(٤)

ورغم أن العرف السائد لدى القبائل الافريقية هو ان يقدم طلب الزواج من قبل الراغب في الزواج نفسه ، أو من قبل والديه أو غيرهما من أقاربه ، فان من القبائل ما يسمح العرف فيه لابى الفتاة بأن يعرض يدها على من يرغب في اتخاذه صهرا له · بل أن من القبائل ما يسمح العرف فيه بأن تكون الفتاة هي البادئة بعرض لزواج على الشاب الذي ترغب في الزواج منه ·

فلدى البوندو (وهم قبيلة رعوية زراعية في أقصى طرف القارة الجنوبي) اذا لم يتقدم أحد من أجل الزواج الذي يتم على هذا النحو يعد عارا بالنسبة لابنة أحد رجال العامة · فاذا حدثت فيما بعد مشاجرة في حوشها قد يسبونها قائلين « لقد تجسسوا من أجلك » · أما اذا عرض شيخ القبيلة على اخر الزواج من ابنته ، فان مثل هذا العرض ليس من شأنه أن يلحق بالفتاة عارا ·(٥)

ولدى الانواك (وهم قبيلة رعوية زراعية في جنوب السودان) اذا كان لرجل فتاة يرغب في تزويجها من رجل يمكنه دفع مهر طيب ، ذهب الى الرجل بنفسه أو بعث اليه رسولا يعرض عليه الزواج من ابنته · واذا وافق الرجل المعني اجتمعت هيئة من كبار السن لتحديد مقدار المهر ·(٦)

ولدى النوير (وهم قبائل رعوية في الدرجة الاولى وتقيم في جنوب السودان) للفتاة أن تذهب ومعها بعض لداتها الى حظيرة الفتى الذي تحبه ، وتسوق بضع بقرات من أبقار أبيه الى بيتها · وعندما يراها أبوها عادت ومعها البقرات يدرك على الفور ما يدور في خلدها · واذا لم يكن راضيا عن الفتى أعاد البقرات · أما اذا كان الفتى موضع قبول منه ، لم يفعل شيئا · فاذا مضت بضعة أيام ولم ترد الماشية ، علم الفتى أن أهل الفتاة راغبون في مناقشة الامر ·(٧)

ثانيا : وقت الخطبة ومدتها :

ليس للخطبة وقت معين ، ومدتها قد تطول وقد تقصر تبعا للظروف ·

ففي كثير من لقبائل الافريقية يسمح العرف باجراء الخطبة في وقت يكون فيه كل من الزوجين المقبلين طفلا صغيرا · وفي مثل هذه الحالة يتقدم وليّ الزوج المقبل (في الغالب أبوه) الى وليّ الزوجة المقبلة (في الغالب أبيها) بطلب الزواج ·

بل أن من القبائل الافريقية ما يجرى العرف فيه بجوار خطبة طفلة لم تولد بعد ، طفلة مازالت جنينا في بطن أمها . ويتوقف مصير الخطبة عندئذ على كون المولود انثى أم ذكرا . فاذا جاءت به أنثى استمرت الخطبة ، أما اذا ولدته ذكرا انفسخت الخطبة .

ومن الطبيعي أن تستمر الخطبة فترة طويلة اذا كانت المخطوبة طفلة صغيرة . فالزواج ، في التقاليد القبلية الافريقية ، لايتم الا بعد وصول الفتاة الى سن البلوغ ، بل وبعد مرورها بشعائر الانتقال التي يجرى بها عرف القبيلة . أما في غير ذلك من الحالات فان فترة الخطوبة لا تستمر طويلا ، وتتفاوت مدتها تبعا لعدة ظروف ، أهمها : قيام الراغب في الزواج أو أسرته بدفع المهر المتفق عليه أو الجزء اللازم دفعه منه مقدما ، أو تقديم فتاة بديلة عندما يتم الزواج بطريق البدل .

والامثلة على القبائل الافريقية التي تمارس أو كانت تمارس خطبة الاطفال عديدة .

فلدى التسوانا كثيرا ما كان يحدث في الماضي أن يخطب الاب لابنه فتاة ما زالت صغيرة للغاية ، أو حتى فتاة لم تولد بعد . وعندما يوافق والدا الفتاة كان أبو الفتى يبعث اليهما بحيوان يذبح ويعلق الصفاق (غشاء الاحشاء المخاطي) حول رقبة الفتاة أو حول رقبة المرأة التي وعدت بابنتها التي لم تولد بعد . وكان هذا الاجراء يعد علامة على الموافقة الرسمية على الخطوبة .(٨) .

ولدى الازاندى (اهم مجموعة من القبائل الزراعية يقيم بعضها في جمهورية السودان ويقيم بعضها الاخر في جمهورية زائير) عندما تولد فتاة يأتي راغبو الزواج في طلب يدها . فيتجه الراغب في الزواج الى باب الكوخ الذي تقيم فيه الام ومولودتها الحديثة ويلقى أسفل المدخل ببعض الاوراق من نبات معين ويقول أنه أتى طالبا الزواج سواء لنفسه أم نيابة عن غيره . واذا لم يلق طلبه قبولا أزاحت المرأة الاوراق بعيدا عن الباب ، وانتظرت حتى يأتي طالب الزواج التالي . أما اذا كان الامر على ما يرام ووافق الاب على طلب الزواج أحضر الزوج المقبل هدية للطفلة هي عبارة عن سوار تضعه حول معصمها ويكون رمزا قانونيا على الخطوبة .(٩)

وفي بعض جهات الايبو (وهم قبائل زراعية في جنوب شرق نيجريا) اذا كان والد الفتى ميسور الحال عمد الى اتخاذ خطوات مبكرة لضمان زوجة لابنه . فعندما يصل الى سمعه أن زوجة أحد أصدقائه أو معارفه انجبت بنتا ، توجه اليه ومعه بعض الخمر ، وخطب اليه ابنته لابنه .(١٠)

ولدى القبائل التي تتكلم لغة الايدو في غرب افريقية قد يطلب الراغب في الزواج يد فتاة لايتجاوز عمرها بضعة أيام ، حيث يقوم بالاتصال بأبيها واطلاعه على رغبته .

واذا لقى طلبه قبولا من الاب ، حمل اليه قطعة من القماش ، أو بعضا من اليام (نوع من البطاطا) أو ماعزا أو هدية صغيرة أخرى .(١١)

ثالثا : اثار الخطبة :

تلقى الخطبة على عاتق كل من الطرفين التزامات معينة نحو الطرف الاخر .

فالخطيب (أو اسرته) يلتزم بتقديم بعض الهدايا الى عروسه المقبلة وأسرته . فالعرف يتطلب قيام الخطيب بتقديم بعض الهدايا الى مخطوبته وأقاربها الاقربين من الذكور والاناث على السواء . وتتمثل هذه الهدايا في بعض الحيوانات أو الاطعمة أو الثياب أو أدوات الزينة ... الخ . وتقدم هذه الهدايا بالاضافة الى المهر .

فلدى التسوانا مثلا يقوم أهل الصبى ، منذ اتمام الخطبة ، بارسال هدايا متنوعة الى الفتاة وأهلها بين حين واخر تتمثل في ثياب أو لبن أو لحم .(١٢)

ولدى الكمبا (وهم قبيلة رعوية زراعية في كينيا) لا يكفي دفع جزء من المهر حتى يسمح للرجل باصطحاب عروسه الى بيته . بل يجب أن يحصل أعضاء أسرتها ، وأمها بصفة خاصة ، على كثير من الهدايا التي لا تحتسب ضمن المهر . فقد تحصل أم العروس على ماعز وبعض الموز وقدر من الزبد وبعض قطع من اللحم ... الخ ويحصل اخوة الفتاة وأخواتها على هدايا مثل حبات من الخرز أو سلك يتزينون بها .(١٣)

وقد يلزم الخطب بمد يد المعونة الى أصهاره المقبلين بمساعدتهم في زراعة الحقول أو جلب الاخشاب أو بناء البيوت أو اصلاحها ... الخ .

ومن ناحية اخرى يكتسب الخطيب الحق في زيارة مخطوبته في بيت والديها ، والجلوس معها ، والحديث اليها ٠

فلدى التسوانا مثلا يؤخذ الفتى ، بعد تمام الخطبة ، الى بيت الفتاة ليلا ، في صحبة أحد أقاربه المسنين ٠ ويقدم بصورة رسمية الى والدي الفتاة ، والى الفتاة نفسها ، بوصفه زوجها المقبل ٠ ومنذ هذا الوقت يكتسب الفتى الحق في زيارة بيتهم في أي وقت يشاء ٠ وهو أمر لم يكن من حقه أن يفعله بصورة علنية أثناء اجراء مباحثات الزواج ٠(١٤)

كذلك تلقى الخطبة واجبات معينة على الفتاة المخطوبة فهي تلتزم باستقبال خطبها ، والامتناع عن الاتصال بالشبان الاخرين ، وتلتزم ، بصفة خاصة ، بالوفاء جنسيا لخطبها ٠

رابعا ـ فسخ الخطبة :

هناك أسباب معينة اذا توافر أحدها استتبع فسخ الخطبة ، كما أن هناك أسبابا أخرى قد تحمل أحد الطرفين على فسخ الخطبة ٠

١ ـ الفسخ الاجباري :

تنفسخ الخطبة بصورة اجبارية اذا مات احد الخطيبين أو ظهر مانع من موانع الزواج لم يكن معروفا وقت الخطبة ٠

فوفاة أي من الخطيبين تؤدي بطبيعة الحال الى فسخ الخطبة ٠ ومع ذلك يجرى العرف في كثير من القبائل الافريقية بجواز أن يحل شخص اخر محل الخطيب الذي وافته المنية .

ففي حالة وفاة الفتاة قد تحل محلها قريبة دنية لها كأخت أصغر منها أو ابنة أخ أو عم ٠

وفي حالة وفاة الخطيب قد يحل محله أحد أقاربه الاقربين، كأخ أصغر أو ابن عم ٠

ومثل هذا الاجراء يفترض موافقة الطرفين المعنيين ٠ فلا بد من موافقة أسرة الفتاة ، كما لابد من موافقة أسرة الفتى ٠ كذلك لابد من موافقة الفتاة البديلة أو الشاب البديل لدى القبائل التي يتطلب عرفها كل من المقبلين على الزواج ٠ ويتخذ هذا الاجراء عادة اذا كانت الاسرتان حريصتين على توطيد علاقاتهما عن طريق الزواج ٠

الزواج تنفسخ الخطبة بالضرورة اذا اكتشف مانع يحول دون الزواج . مثل اكتشاف أن ثمة قرابة بين الخطبين تحول دون اتمام الزواج . وان كان الغالب عدم الاقدام على الخطوبة الا بعد التأكد من عدم وجود مثل هذا المانع .

٢ ـ الفسخ الاختياري :

لأي من الطرفين فسخ الخطبة اذا لم يرغب في المضي في مشروع الزواج حتى نهايته . ولكل من الطرفين كامل الحرية في فسخ الخطبة . فالعرف لا يتطلب أسبابا معينة تبرر هذا الفسخ . ومع ذلك فثمة أسباب معينة من الشائع الاستناد اليها لفسخ الخطبة .

فقد يلجأ الرجل أو أسرته الى فسخ الخطبة لاسباب تتعلق بسلوك الفتاة . كما لو أصبحت الفتاة حاملا من علاقتها باخر ، أو أنها تكثر من الاختلاط بالشباب الاخرين ، أو لانها تهمل خطيبها ولا تبدي اهتماما به عندما يزورها . وقد يعمد الرجل الى فسخ الخطبة لان الفتاة لم تعد تروقه ، أو لانها تغالي في طلباتها .

والقاعدة أن الفسخ اذا حدث من قبل الخطيب (أو أسرته) وكان له من الاسباب ما يبرره ، جاز المطالبة باسترداد الهدايا التي قدمها لمخطوبته السابقة أو لاسرتها . أما اذا لم يكن للفسخ من الاسباب مايبرره ، لم يجز له المطالبة برد الهدايا ، وظلت هذه الهديا حقا للفتاة وأسرتها .

ومن ناحية أخرى قد تعمد أسرة الفتاة الى فسخ الخطبة لان الفتاة لا توافق على الزواج من الشخص الذي تقدم بطلب يدها والذي قبلته الاسرة . ويحدث ذلك بخاصة في حال خطوبة الاطفال . فعندما يتقدم شاب لخطبة طفلة قد يوافق أهلها على طلبه ، وبذلك يعتبر من الناحية القانونية خطبا لها . وعندما تكبر الفتاة وتقف على حقيقة الامر قد لا تشعر بميل نحو خطبها ، وعندئذ يكون من حقها رفض الزواج منه ، الامر الذي يستتبع فسخ الخطبة . وحق الفتاة في فسخ الخطبة لا يقتصر على هذه الحالة . ففي وسعها فسخ الخطبة ولو تمت الخطبة والفتاة بالغ . والقاعدة أن الفسخ الذي يتم في مثل هذه الحالات يستتبع التزام أسرة الفتاة برد ما قد تكون حصلت عليه من المهر حتى تلك اللحظة ، كما يستتبع التزامها عادة برد الهدايا التي قدمت بمناسبة اجراء الخطبة أو بعد اجرائها .

فلدى الكيكويو متلا قد يخطب رجل مسن موسر فتاة ما زالت طفلة صغيرة ، لكنها بعد بلوغها لا تلزم بالزواج منه الا اذا كانت راغبة في ذلك . وللفتاة الحق في فسخ الخطبة ولو كان أبوها قد حصل رؤس الماعز التي يجرى العرف بدفعها . غير أن على الاب عندئذ رد هذه الماعز .(١٦)

ولدى اللانجو قد يوعد رجل بفتاة وهي ما زالت طفلة ، وقد يحدث أن ترفض الفتاة عند بلوغها الزواج من الرجل الذي وعد بها . وهنا لاتبذل أية محاولة لاجبارها على الزواج منه . وعلى ابيها ان يرد الى الرجل ما حصل عليه من مهر .(١٧)

---

(١) Schapera, The Khoisan - peoples of South Africa, P. 244.

(٢) جوموكينياتا يتحدث عن كينيا ، ترجمة يحيى عبدالعظيم ، ص٥٨ .

(٣) Doke, The lambas of Northern Rhodesia, P. 161.

(٤) Schapera, A Handbook of Tswana law and custom, P. 132.

(٥) Hun ter (Monica), Reaction to conquest, P. 187.

(٦) Bac on, The Anuak, P. 121.

(٧) Evans-Pritchard, Kinship and marriage among the Nuer, P. 56.

(٨) Schapera, A Hand-book of Tswana law, P. 130.

(٩) Seligman, Pagan Tribes of the Sudan, P. 512.

(١٠) Meek, Law and authority in an african tribe, P. 268.

(١١)

Northcote, Anthroupological report on the Edospeaking peoples of Nigeria, P. 47.

(١٢)

Schapera, A Handbook, P. 130.

(١٣)

Lindblom, The Akamba, P. 74.

(١٤)

Schapera, A Handbook, P. 132.

(١٥) أنظر بالنسبة للتسوانا :

Schapera, A Handbook ,P. 134.

وبالنسبة لسرير الساحل الصغير :

Dulphy, Sérères de la petite-Côte, P. 250.

(١٦)

Routiedge, With a Prehistoric People, P. 124.

(١٧)

Driberg, The Lango : A Nilotic Tribe of Uganda, P. 155.



رقصة شعبية - للفرقة القومية للفنون الشعبية

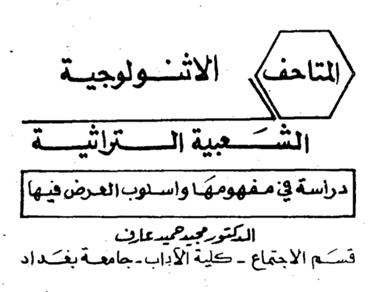




آلة موسيقية شعبية من قطر -



آلة شعبية من قطر ـ .



الفن لازم الانسان منذ نشوئه على الارض ، والفن يعطي معنى تجميل الشيء وتزيينه وانه يمكن ان ينطلق على كل شيء له شكل وجمال كالرسم والنحت والموسيقى والادب والعماره والدراسات الادبية الا ان مدلول الكلمة قد يختلف من عصر الى عصر ومن امة الى اخرى وذلك مرتبط باختلاف الانظمة السياسية والاحوال الاجتماعية والمؤثرات الاخرى التي تعمل عملها في حياة الامم ومسيرتها .

يؤكـد علمـاء الانثروبولوجيا الاهتمـام المتزايـد بالفـن البدائـي لالدوره الهام في التطور الثقافي فحسب ولكن بسبب بساطته النسبية كذلك ، فالفن يحاول ان يصف ويفسر ظواهر الحياة الفردية والاجتماعية ولعلم الانثروبولوجيا عون كبير في هذه الدراسة وتيسير فهم المعتقـدات الحضارية خاصة في المجتمعات البدائية حيث يبدا بجمع امثلة من فنون كل الشعوب لبدائية ومن ثم يحاول توضيح ومقارنة خصائصها الجمالية جملة وتفصيلا وذلك بغية ادراك المعاني والاحاسيس الخاصة التي يقصدها الفنانون البدائيون ثم ارجاعها الى مختلف انماط ومراحل التطور الثقافي . ان وحدة الفن البدائي ظاهرة تتعارض الى اقصى حد مع تنوع الشعوب البدائية فالاستراليون والاسكيمو مثلا مختلفون كل الاختلاف ولكن حليهم وزينتهم متشابهة في بعض نواحيها ، كذلك في رسـوم الصخـور عنـد الاستراليون وعند قبائل البوشمن الافارقة رغم الفوارق الرسية .

ان حب الفن البدائي اثر في تفكير الباحثين فعززت اخيلتهم عن الحياة البدائية وظلت الاهمية الاجتماعية والتهذيبية للفن في تعاظم مستمر كوسيلة لرفاهية المجتمع من ناحية ومن ناحية اخرى للتنمية الفردية . فللفن اهمية اجتماعية لا غنى عنها ، وواحد من اشد الاسلحة فعالية في الصراع من اجل الحياة وهو باق اليوم من اجل قيمته الاجتماعية غير المباشرة اكثر من اجل سحره الجمالي المباشر هذا كما ان حب الفن البدائي والحياة البدائية بعيدا عن الاعراف المتحضرة قد دفعت شبابا الى التنعم بالبيئة البدائية الخشنة ، فالاوربيون يزورون مجتمعات بدائية غريبة كسواح ويستمتعون بحياتها الغير تقليدية دون ان تخلى ذلك عن عقليتهم المتحضرة يحاول اليوم كثير من الانثرويولوجين احياء من القيم الشعبية (التراث) وفي الواقع ان هذه القيم يمكن ان تحقق بعض القيم الايجابية فالانسان كلما اقترب من الماضي من الناحية التاريخية او السايكولوجية او الجمالية اصبحت الاشياء اكثر بساطة ولانها كذلك فهي اكثر تشويقا واكثر اهمية واكثر قيمة (في بعض الاحيان) . فهناك من ينبذ نظرية التقدم ويسلم بان الفن والحياة كانا في الماضي افضل منها الان ويدعو الى الفن البدائي ويجسم حسنات الماضي والمغالاة في سيئات الحاضر ، غير ان من الصواب في كثير من الاحيان ان نتبين اخطاء معينة في الحياة الحاضرة كان الانسان القديم خلوا منها نسبيا .

ان الحاجة العلمية للفنون الشعبية الذاتية نبهت الى ضرورة انشاء المتاحف (١) الاثنولوجية لحفظه وقد ازدادت اهمية المتاحف هذه العلمية التربوية في الفترة الاخيرة ، حيث تعتبر كانها تقوم مقام ذاكرة الامة ، والامة التي تنسى ماضيها ترتبك في حاضرها ومستقبلها . ومن لايعرف ماضيه جاهل ضائع كما قال السياسي والكاتب الروماني « سيرواواشيشرون » . فالمتحالف بصورة عامة تعرض تراثنا باسلوب منسق ومتسلسل وتحفظها من الانقراض وتعتبر وسيلة من الوسائل التي يمكن من خلالها الاتصال بالجماهير وتثقيفها وتنمية الذوق الفني لديها .

لقد شهد القرنان السابع عشر والثامن عشر وخاصة بعد الثورة الصناعية في اوربا هواية جمع الاثار والتحف الشعبية التراثية اضافة الى جمع المواد الثمينة بين ابناء الطبقات المرفهة اقتصاديا والملوك والامراء وصارت مجاميع هذه الطبقات فيما بعد نواة المتاحف الاثنولوجية الشهيرة في العالم ، والسبب الرئيسي لجمع ابناء تلك الطبقات للتحف هذه هو

البحث عن النواحي المعنوية كالفنون والاثار كهواية لها، هذا من جهة اخرى فانهم كانوا بامس الحاجة الى ايجاد الدوافع التي توقظ فيهم النهضة وتنميها وتعطيها الزخم من اجل الاستمرارية والتطور السريع .

يلاحظ ان مهمة جمع المواد الثمينة المتالفة من الاحجار الكريمة والمصوغات الذهبية والفضية كانت على واقعة على الملوك والاثرياء حتى قبل هذا الوقت ومن الامثلة القديمة على ذلك محتويات المقبرة الملكية في اور وما عثر عليه المنقبون في قبور الفراعنة في مصر من مواد غالية الثمن اما في القرنين السابع عشر والثامن عشر وبعد ان صارت الحياة في اوربا اكثر تقدما ظهرت هواية جمع الاثار اضافة الى جمع المواد الثمينة ، هذا باضافة لذلك فقد لعب العامل الديني دوره في صيانة الاعمال الفنية التي كانت تخدم الاغراض الدينية وصار سببا في صناعة التحف الثمينة كما كان الحال عليه في المعابد والكنائس(٢) ومن الامثلة الحية القريبة لنا في في هذه الناحية ابنية المراقد المقدسة الاسلامية التي تضم نفائس التحف الثمينة والريازة الجميلة وتعرفنا بالحروف والصناعات والفنون الزخرفية الشعبية التي كانت في عصر ما ومازالت اثارها باقية الى عصرنا .

لقد كان للافكار الجديدة تدور حول تطور العلوم والمنتجات الحضارية الموافقة لفكرة التطور التي بدأت من البايولوجيا واعترت العلوم الاخرى دورها في الاهتمام بمنتجات الانسان الحضارية بما فيها تقاليده واعرافه التي تمثلها مخلفاته المادية والروحية فجميع عاداتنا وصناعاتنا ومنتجاتنا الفكرية ماهي في الواقع الا الحلقة الاخيرة ضمن سلسلة التطور التي مرت بها تلك العادات والصناعات والعلوم ، فعملية بناء المتاحف تمنحنا الفكرة العامة عن اسباب ظهور المنتجات الحضارية حيث يعتبر المتحف المختبر الذي يعتمد عليه الاجتماعي والانثروبولوجي في اجراء تجاربه .

ظهرت البدايات الاولى للمتاحف الاثنولوجية في شكل تراكم للمادة التي جمعها باحثون افراد هواة ، بعد ان نمت هذه المادة واصبحت في النهاية الاساس المنظم بطريقة رسمية حيث اوجدت المتاحف بمختلف انواعها بما فيها الاثنولوجية في معاهد البحث التي ترعاها الحكومات او الجمعيات في مختلف انحاء البلاد الاوربية وفي امريكا بعد ذلك ، فقد اسست متاحف قومية ومحلية لحفظ التراث الوطني وبعض انماط العادات الشعبية كرد فعل في بعض الاحيان و ـ الاماكن ضد التصنيع والنظم الاجتماعية والثقافية الحديثة في محاولة لانقاذ التراث الزراعي التقليدي .

كما ان نشاطات المبشرين والتجار في جمع نماذج التراث الثقافي التقليدي الغيراوربية (البدائية سابقا) كان لها دورافي ظهور المتاحف الاثنولوجية الاولى ومن ثم اعتناقها وتطويرها .

لقد اقتصر الاهتمام في المرحلة المبكرة لانشاء المتاحف الانثولوجية على عمليات الجمع او الحفظ على انواع معينة من الفنون وصناعتها بسبب اهتمامات الرواد الاوائل الانثوبولوجين(٣) ولكن حدث تطور كبير في اماكن واساليب حفظ التراث البدائي والشعبي منذ الحرب العالمية الثانية ، ومازال هذا التقدم مضطردا حتى الان ففي كل دولة اوربية يوجد الان اكثر من متحف من هذا النوع وقد ظهرت المتاحف الانثولوجية وتطورت حتى في بلدان العالم الثالث وتلقى دعما مباشرا من الجامعات والحكومات والمؤسسات الاخرى(٤) وقد حولت بعضا من بيوت القرى التي تتميز بالطابع التقليدي الى متاحف خاصة .

اسلوب العرض

لقد بينا في المباحث السابقة السبيل التي يقوم الاثنوغرافي باتباعه للحصول على البدائية او الشعبية التي تختلف من مجتمع لاخر حسب ظروفه . الا ان المرحلة التالية على ذلك هي كيفية حفظ المواد والتحف الفنية واسلوب عرضها على النحو الذي لايؤدى الى الاضرار بها . فالمواد المحفوظة لايمكن التعويض عنها اذا فقدت . فكل مادة فريدة ووحيدة لايمكن التعويض عنها اذا فقدت الا في الحالات النادرة فهذه هي حال كل المتاحف الانثولوجية في العالم ، فدرجة الحرارة والرطوبة والغبار والعفونة وعوامل اخرى كثيرة قد تسبب التلف للمواد المعروضة فلذلك يجب التحكم في البيئة التي تحفظ فيها المادة من أجل المحافظة عليها جيدا — ويتم ذلك عن طريق تكييف الهواء وتهويته تهوية جيدة او عن طريق حفظ المواد في دواليب عرض محكمة الاغلاق صيانة لها .

اما فيما يتعلق باستعارة الصور والافلام السينمائية وخاصة ان تعريض السوالب الملونة (السلايدات) للضوء الشديد مدة طويلة يفسد نوعية الالوان كما نعلم ، ويستحسن ان تتم عملية استنساخ الصور من خلال شعبة التصوير الملحقة بالمتحف وقد يمكن التسجيل الصوري بواسطة المكروفيلم ، وقد اصبحت من الضرورات اليوم تقديم هذه الخدمات في المتاحف الاثنولوجية وذلك نظير تكلفه زهيدة ، وهي امور

تضمن الحفاظ على النسخ الاصلية للمادة الشعبية او البدائية المحفوظة ـ ومـا يتعلق بالتسجيلات الصوتية فالاسطوانات توضع على ارفف في وضع راسي مع ترك فراغ مناسب بينها والا فسوف تضغط الاسطوانات بعضها على البعض الاخر وتتلف ، ومن الافضل اعارة شرائط وكاسيتات مسجلة من مضمون المادة المسجلة صوتيا يتم تسجيلها في شعبة خاصة بالمتحف وباشراف موظف فـني متخصص في الارشيف بهـذا المـجال وبعـدة نسخ .

يلاحظ ان المتاحف الاثنولوجية مستودع منظم تحفظ فيه كـل صور وانماط حياة التجمعات البشرية ففيها تعرض عناصر التراث ذات الطبيعية المادية كالسلاسل والاواني المنزلية والمصنوعات الشعبية التي تمثل خطوه لها اهميتها على سبيل تطور الصانع في انتاج نوع معين من السلع ، او تلك التي تستخدم في ممارساته الشعبية او تنم عن بعض معتقداته كالمبخرة مثلا ، ولاننسى هنا في هذا الصدد الاشارة بالطبع الى أدوات العمل بانواعها ، والازياء الشعبية والحلي وأدوات الزينة(٥) .

تختلف المتاحف الاثنولوجية في طريقة عرض وتنظيم محتوياتها وتلجأ الى طرق مختلفة الا ان اغلبها الى واحد من احد الطرق التالية : ـــ

١ ـ الطريقة التاريخية :

وذلك بعرض وتنظيم المعروضات على اساس تعاقب استعمالاتهـا خلال العصور التاريخية المختلفة ، فتبدأ بالادوات والالات التي استخدمت في عصور ماقبل التاريخ فالعصور التاريخية (القديمة ـ الوسطى ـ الحديثة ثم المعاصرة) .وتقسم المعروضات على قاعات متجاورة تبدأ بالاقدم وتتدرج بالصعود الى سلم التطور . والزائر في هذه الحالة يستطيع متابعة تطور الحضارة منذ الانسان(٦) .

٢ ـ الطريقة الجغرافية :

او ماتسمى (بالطريقة الافقية) اي عرض المعروضات على اساس القارات واستعمالات مجتمعاتها البشرية او على اساس النمط السكاني المعاشي مثـل (استعمـالات سكـان الجبـال او السهـول ، الاهـوار والبوادي ... الخ) . او على اساس القوميات فتخصص قاعة للتراث

العربي او الانكليزي او التركي ... الخ . وعـادة تهتم بهـذه الطريـقة المتاحف الاثنولوجية الوطنية للاعتزاز بالتراث القومي ولتعليم الاجيال الصاعدة في الامة الواحدة فكرة المصير المشترك لابناء الامة للحفاظ على اصالة ووحدة تلك الامة .

٣ ـ الطريقة التخصيصية :

هناك متاحف اثنولوجية تفضل العرض على اساس نوع المادة التراثية اي مبدأ التخصص النوعي في تقسيم المعروضات داخل المتحف الواحد في عدة قاعات تختص الاولى منها بالالات الحجرية والثانية بالفخاريات والثالثة بالتحف المعدنية والرابعة بالصور والرسوم والخاصة بالزخارف المعمارية والسادسة بالمسكوكات والسابعة بالمنحوتات وهكذا وبالرغم من ان هذه الطريقة تميل الى التخصص الدقيق في العرض الا انها تجزأ التراث الحضاري وتفكك عناصر الربط في حلقاته لانها تعرض المظاهر الحضارية مستقلة بعضها عن بعض .

٤ ـ طريقة العرض من الناحية الاجتماعية او الطبقية :

وتعرض فيها النماذج من اشكال التراث كالاثاث المنزلي والمزهريات والمنسوجات المطرزة بالنقوش والصور والرسوم لها صلة بالحالة الاجتماعية في فترة تاريخية وتلجأ الى هذه الطريقة بعض المتاحـف الاثنولوجية في الدول الاشتراكية لايضاح طريقة حياة طبقة معينة في فترة تاريخية معينة لبيان الحالة المعاشية لها ، وتناقضها مع الحياة المعاشية للطبقات الاخرى وتفسر قيام فلسفتها الوطنية في الحكم .

٥ ـ الطريقة البيئية :

بالاضافة للطرق الشائعة في العرض التي بيناها في صالات وقاعات وهذه عادة في المتاحف القليدية ، ولكن هناك نوع اخر من العرض ازدهر في الاونة الاخيرة في العالم وهو طريقة المتاحف المفتوحة او متاحف الهواء الطلق ، حيث تعرض مجموعة من المنازل والمباني العامة ، وغير ذلك على هيئة قرية طبيعية لها شوارعها ومحلاتها التقليدية، او مجموعة من القرى وانماط سكنية في منطقة تضاريسية متباينة تجمع بين السهل والهضبة والوادي والجبل... الخ وخير مثال على ذلك متحف هلسنكي الاثنولوجي

في الهواء الطلق في فلندة ومتحف تبليس في عاصمة جمهورية جورجيا في الاتحاد السوفيتي (المتحف الاثنوغرافي في الهواء الطلق) . ولابد فيها ان تكون المعروضات حقيقية مما يستخدم او استخدام في الحياة . اي تكون قطعا اصلية ، وليست مصنوعة خصيصا للمتحف وقد يصح ان تصنع خصيصا على اساس تقليد قطعة بالية غير صالحة للعرض او رسما لاداة قديمة وليس لهـا نموذج حي وهكـذا . ولكـن يجـب في ان يشـار الى ذلك بوضوح . ومما يميز طريقة العرض هذا هو ان الزائر يشعر بانه يعايش الحياة ويبعد عنه الضـجر في التجوال في صالات وتقربـه الى الواقع منها .

تزود المواد المعروضة ببطاقات تعريف تكتب فيها معلومات مختصرة ومركزة عن المادة المعروضة فعادة مايكتب على القسم العلوي من البطاقة عنوان بارز بحروف كبيرة تقرأ من بعد الاحصائيات المهمة التي تكتب اسفل العنوان وبحروف صغيرة تفصيلات اخرى يهتم بها المتحف ، اما مايتعلق بالمعلومات المفصلة فيمكن طبعها في كراسات تكون جاهزة لمن يطلبها من رواد المتحف . هذا وقد لجأت بعض المتاحف الاثنولوجية الى استعمال وسائل الايضاح الصوتية وذلك باستخدام ادوات التسجيل في شرح المواد المعروضة تزود بموسيقى ونغمات خاصة لكل عرض وكل مادة وخير مثال على ذلك ما اقدم عليه المتحـف البغدادي في الاونـة الاخـيرة في استعماله للادوات الصوتية في تقريب واقع الحياة البغدادية للزائر الى المتحف .

هوامش

الاثنولوجيا : علم الشعوب والاقوام ـ مصطلح Ethnoc ذات جذر لغوي اغريقي تعني شعب او قوم انظر بالتفصيل

د . مجيد عارف ـ الاثنوغرافيا والاقاليم الحضارية ـ بغداد ١٩٨٥ ص ٩ـ٦١

(١) يعتقد بن كلمة متحف (Museum) مشتقة من الكلمة الاغريقية (Museion) وتطلق على المكان الذي يوحي جوه العام بانه مكان للتفكير والتامل او انه المكان الذي يمكن ان يحصل فيه الفرد على العزلة والراحة النفسية من اجل التفكير والتامل ومن الاستعمالات الخاصة

لكلمة متحف في القرنين السابع عشر والثامن عشر اطلاقها على الكتب التي تبحث في نوع واحد من الانتاجات الانسانية اذ قام احد الدراسين الاوربين في حدود عام ١٧٨٤ م بتاليف كتاب خاص عن الاغاني والاشعار سمي بـ (Poetical Museum) وفي عام ١٩٠٦ ظهر كتاب (Museum of Dramatists) وكان يضم نصوص مسرحية فكلمة المتاحف كانت تطلق على كل شيء يعرض المعلومات عن اية معرفة من المعارف الانسانية .

انظر بالتفصيل : يوري سوكولوف ـ الفلكور ـ قضاياه وتاريخه ـ القاهرة ١٩٧١ ترجمة عن الانكليزية .

(٢) مثال على ذلك انه في ايطاليا بدأ بجمع المواد التراثية على نطاق واسع من قبل البابوات في قصر الفاتيكان ، والذي تطور الى ان اصبح متحفا في عهد البابا كلينمت الرابع عشر .

(٣) ظهرت اولى المتاحف الشعبية التي تضم ارشيف للفلكور في فرنسا عام ١٧٩٠ وفي فلندة عام ١٨٣٥ واضبح له كيان مستقل في عام ١٨٨٨ ويعد هذا المتحف اول متحف اثنولوجي على الاطلاق . اما في امريكا فقد ظهرت بعض المتاحف في بداية هذا القرن في المعاهد الانثرولوجية في واشنطن ونيويورك وشيكاغو واوتاوا واول متحف رسمي للاغاني الشعبية هو المتحف التابع لمكتبة الكونغرس وقد اسس في عام ١٩٢٨ ، اما في روسيا فقد اهتم بطرس الاكبر والامبراطورة كاترين بجمع التحف والاثار في الارمتاج (القصر الشتوي) ومن ثم في بناية صغيرة تابعة له في سنت بطرسبرغ (لينيغراد الحالية) ولابناء الطبقات الغنية دخولها للمتعة لا للثقافة وعند قيام الثورة السوفيتية حولت البناية الى متحف اثنوغرافي خصص الطابق الارضي منها الى فرع معهد الاثنوغرافيا في اكادمية العلوم السوفيتية والطوابق الاخرى للتحف الاثنولوجية التي جمعت من ارجاء المعمورة ومنذ ايام القياصرة . هذا بالاضافة لمتاحف الاثنوغرافي لشعوب الاتحاد السوفيتي في المدينة المذكورة ومتاحف عديدة اخرى في سائر انحاء البلاد تشرف عليها دائرة مركزية منذ عام ١٩٢١

انظر : ارشيف اكادمية العلوم السوفيتية ـ مجموعة دراسات في الاثنوغرافيا والفلكلور موسكو ١٩٧١ ص ٢١١ــ٢٢ (اللغة الروسية)

(٤) ظهرت بعض المتاحف الاثنولوجية في الوطن العربي لايجاد بعض الصناعات الشعبية المهددة بالانقراض، ومثال على ذلك متحف المنامه في البحرين الذي يقدم ضمن معروضاته جانبا بسيطا من جوانب صيد اللؤلؤ ، اما في العراق فقد ظهر في الفترة الاخيرة اكثر من بادرة صغيرة لانشاء متاحف اثنولوجية نذكر من بينها : ـ

١ ـ متحف الازياء والماثورات الشعبية ، وقد تم افتتاحه في احتفالات السابع عشر من تموز عام ١٩٧٢ م وتعرض فيه المواد التراثية المستعملة في مختلف مناطق العراق من ازياء وحلي والمواد الاخرى التي تستخدم في الحياة اليومية الشعبية كالمقاهي ونمط حياة البدو وسكان الاهوار والصناعات الشعبية .

٢ ـ المتحف البغدادي ـ وتأسس في عام ١٩٧٠ وهو لايختلف في معروضاته عن معروضات متحف الازياء والماثورات الشعبية ، الا انه تخصص لعرض تلك العادات والصناعات الشعبية التي كانت منتشرة حتى فترة ليست بعيدة في مدينة بغداد .

٣ ـ المتحف الحضاري في جامعة الموصل وتعرض فيه الكثير من الصناعات والعادات الشعبية التراثية لسكان مدينة الموصل ويعتبر بحق واجهة المدينة للسواح وزائري المدينة ويحمى الكثير من بوادر الحياة الموصلية من الانقراض .

(٥) تنظم سجلات خاصة في كل متحف اثنولوجي تضم معلومات عامة عن كل مادة معروضة تضمن :

١ ـ رقم المادة .

٢ ـ نوع الحيازة كان تكون بالشراء او التبادل او الهبة .

٣ ـ قيمة الشراء ان كانت المادة مشتراه

٤ ـ اسم وعنوان البائع والمبادل او الواهب

٥ ـ تاريخ الحيازة .

٦ ـ الوصف (تكتب خلاصة مختصرة عن المادة المعروضة .

٧ ـ القاسات ـ وتشمل الطول والعرض والارتفاع والوزن .

٨ ـ المنشأ : ويوضح فيه اصل المادة حسب الاقليم الجغرافي او الدور الحضاري .

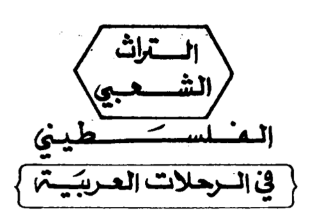
٩ ـ الزمن : ويكتب فيه التاريخ المضبوط بالسنوات او القرون واذا وجد شك في تاريخ الزمن تكتب علامة استفهام الى جانب الرقم .

١٠ ـ ارقام سجل سابقة ان وجدت

١١ ـ للاستزادة في هذا الموضوع انظر :

انظر بالتفصيل الدكتور تقي الدباغ الدكتور فوزي رشيد ـ علم المتاحف (الكتاب المنهجي المقترح لطلبة قسم الاثار ـ كلية الاداب جامعة بغداد) .

(٦) يستطيع الزائر في مثل هذه المتاحف ملاحظة التطور الحاصل في طرق الصناعة يوم كان العمل يدويا ومقارنة ذلك بنماذج الالي الذي يصنع على نطاق واسع



فؤاد عباس ابراهيم
جمهورية مصر العربية

تمتلىء المكتبة العربية - بكثير من كتب الرحلات مثل : (مروج الذهب ومعادن الجوهر) للمسعودي ، (واحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم) للمقدسي ، (وتذكرة الاخبار عن اتفاقات الاسفار) لابن جبير (معجم البلدان) لياقوت الحموي ، ورحلات ابن بطوطة التي لخصت في كتاب (تهذيب رحلة ابن بطوطة) وغيرها الكثير .

وفي الادب العربي الحديث رحلات خاصة ببر الشام ويشمل ذلك فلسطين او خاصة بفلسطين ذاتها ، مثل : رحلات عبدالوهاب عزام الى برّ الشام ، ورحلة المازني الى بر الشام وغيرها .

ونحن قد نجد في بطون كتب الرحلات الكثير من أخلاق وعادات المجتمع العربي ومعتقداته وأوابده وأساطيره ، بالاضافة الى أخبار الانبياء والاولياء والمزارات ، ونعثر على أحاديث عن الاعياد والمواسم والحفلات في الامصار العربية والاسلامية ، ووسائل التسلية وشغل أوقات الفراغ ، واشارات الى المآكل والمشرب والازياء ، والطب الشعبي ، والمآتم والافراح ، وأشباهها ، كما نطلع على تقاليد التجارة والزراعة والصنعة والاسواق ، وأشكال العمران والزخارف للمساجد والمنازل ، وهيئة الازقة والحواري والشوارع وملائمتها للاجواء الاجتماعية والشعبية ، كما يمكن أن نعثر على احاديث عن سائر

المهن الشعبية وطبقات المجتمع على اختلاف الانواع والضروب : كالفلاحين وعاداتهم ، والرعاة ومزاميرهم وأسـمارهم ، والبدو في حلّهم وترحالهم ، والندماء وألغازهم ، ومعلمي الصبيان وصبيانهم ، وعامة الشـّعَب وأهازيجهم وأمثالهم ٠

من هنا ، فاننا نتوقع أن الدائرة الاوسع التي يمكن تكوينها على ضوء دراسة كتب الرحلات العربية المشهورة انما هي دائرة التراث الشعبي بشكل عام لكل العرب أي التراث الشعبي العربي ٠

ولاشك ان كتب الرحلات العربية هي احدى تصانيف كتب التراث العربي التي عقدت الآمال على فرز التراث الشـعبي مـن محتواها ؛ لاغناء الدراسات العربية بمنابع التراث الشعبي العربي الاصـيل ٠

في دائرة أضيق يمكن ان نعثر على جزئيات من نماذج التراث الشعبي كما هي في بر الشـام ، وفي دائرة أضـيق أيضا يمكن العثور على جزئيات تلتصق بالمدن والقرى والبوادي الفلسطينية ٠

فنحن اذن يمكن أن نستخلص التراث الشعبي الفلسطيني في الرحلات العربية المشهورة من ثلاثة أُطُر :ـ

١ ـ اطار التراث الشعبي العربي بعامة ، فنكتشـف مـا يمكن اعتباره جذوراً عربية للتراث الشعبي الفلسطيني كما هو في هذه الرحلات ٠

٢ ـ اطار التراث الشعبي لبر الشام فنرى من ما يطبق بالفعل في فلسطين باعتبارها جزءاً من بلاد الشام ٠

٣ ـ الجزئيات الخاصة بفلسطين مباشرة ٠

ويهمنا في هذه الدراسة العجالة ان نسهم في كشف بعض الجزئيات المباشرة الخاصة بفلسطين في أمهات الرحلات العربية المشهورة ، نذكرها على سبيل الامثلة لا على سبيل الحصر ٠

واذا كانت رحلات بعض الادباء في الازمنة الغابرة قد أوحت لهم بكتب الرحلات والجغرافيـة كما فعل ابن جبير ، وابن بطوطـة ، والمسعودى ، وغيرهم مع تفاوت العصور ، فان رحلات أدباء آخرين قد أوحت لهم بكتابة التاريخ والسير كما فعل ـ البلاذرى ـ في كتابه (فتوح البلدان) ، وهو الذي كان قد قام قبل وضعه الكتاب برحلة الى الشام سنة ٢١٨ هـ ، وينبىء عن ذلك تكراره القول : روى مشايخ البلاد كذا وكذا ٠٠ في كتابه (فتوح

البلدان) ، وفي معرض حديثه عن فتح المدن الفلسطينية على أيدي الرعيل الاول من القادة العرب تحدث عن طاعون (عمواس) سنة ثمان عشرة للهجرة وذكر انه توفى بطاعون عمواس عدد كبير من المسلمين منهم : أبو عبيدة بن الجراح ، ومعاذ بن جبل ، والفضل بن العباس ، وشرجيل بن حسنـة ، وسهيل بن عمرو . والجدير بالذكر هنا أن الطاعون ترك بصماته على فلكلور (عمواس) والمنطقة المجاورة لها من حيث الامثال الشعبية ومن حيث التأريخ بالاحداث الجسام وليس بالسنين في بعض الاحيان ٠

ونفتح كتابا آخر ٠ انه كتاب [المسالك والممالك] ألفه سنة ٩٣٤م الرحالة ابو اسحق ابراهيم بن محمد الاصطخري ، تحدث عن موقع في فلسطين سماه مدينة (زغر) القديمة ، والتي كان موقعها قرب غور الصافي على شاطىء البحر الميت ، ويستشف من حديثه ارتباط الموقع بأخبار النبي لوط[١] ، وتحدث عن الاثار الاسلامية والمسيحية فوصف مسجد القدس وكنائس بيت لحم وما ارتبط بها من العادات والاخبار فقال ان في كنيسة منها قطعة من النخلة التي اكلت منها مريم وهي أي النخلة مرفوعة عندهم يصونونها[٢] ٠

ومن رحالة القرن الرابع الهجري ايضا نعثر على عليّ بن الحسين بن عليّ المعروف بالمسعودي ٠ وتفصيلات رحلته جاءت في الامور كتابه (مروج الذهب ومعادن الجوهر) الذي تضمن بعض الاساطير ٠

تحدّث المسعودي عن الانبياء الاُوَل ومدى اتصال سيرتهم بفلسطين مثل ابراهيم وأبناء ابراهيم ، وداود ، وسليمان ، وموسى ، وعيسى عليهم السلام ٠ وتحدثّ عن الاوائل وكيف سار (يعرب) الى اليمن (وعاد) الى الاحقاف ، وكيف كانت (ارم ذات العماد) بدمشـق ، وكيف نـزل (ثمود) الحجر ، وكيف اتجهت (طسم) نحو البحرين (وجديس) الى اليمامة ، ثم كيف ان بعضا من ملوك (العماليق) كانت بفلسطين[٣] ٠ ثم عاد المؤلف فاوضح بما لا يدع مجالا للشك بأن كنعان بن حام نزل بلاد الشـام ، فهـم الكنعانيون ، ، وبهم تعـرف تلك الديار ، فقيل : بـلاد كنعان[٤] ٠

ولم يغفل المسعودي ذكر فلسطين حتى في الاساطير التي ذكرها عن أنواع الجن ٠٠ وعن العنقاء : « وهي طائر خرافي غريب الشكل والحجم والتصرف » ، واضاف : « ان هذا الطير نشأ في انحاء بيت المقدس ، ثم انتقل من هناك الى نجد والحجاز في ديار قيس عيلان[٥] ٠

ولم يغفل المسعودي أخبار فلسطين واحوال أهلها من خلال حديثه عن رحلة الشتاء والصيف ، وسنحاريب ، والاسكندر الاكبر ، وقادة الرومان ، والغساسنة من بني جفنة ، والفتوح ، والممالك العربية الاسلامية ٠

أما أبو عبدالله محمد بن أحمد المقدسى ، فقد عاش في القرن العاشر الميلادي عندما كان بنو حمدان يسيطرون على شمالي بر الشام والفاطميون يسيطرون على جنوبي بر الشام ومنه فلسطين ، واتم تدوين كتابه (احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم) في عام ٦٨٥ م ٠

وذكر المقدسي من اسماء البحر الميت بفلسطين : بحيرة لوط ، والبحر الميت ، والبحيرة المقلوبة ، ولكنه لم يفسر لنا سبب تسميتها بالمقلوبة[٦] ٠

وتحدث عن رغيف العيش كما يخبز في (عاقر) من قضاء (الرمله) بفلسطين[٧] ، وعن جميز عسقلان ، وعن ذرية أصحاب أبي هريره المدفونين في قرية (يبنه) جنوبي يافا[٨] .

وكانت رحلة الفيلسوف أبى حامد الغزالى (١٠٥٩ ــ ١١١١ م) الى فلسطين قد أوحت اليه بكتابة أجزاء رئيسية من كتابه (أحياء علوم الدين) ، ففي مدينة القدس كتب الجزء الخاص بقواعد العقائد من كتابه . ومن القدس توجه الى الخليل لزيارة مقام سيدنا ابراهيم ، وشاهد في القدس والخليل الاحتفالات الدينية ، لقد أوحى اليه المكوث في فلسطين ، أرض المقدسات الطاهرة ، من خلال النفحات الروحية ان الطريق الصوفي هو الموصل الى المعرفة اليقينية ، والسعادة الحقيقية ، بعد أن تبين له ان العلوم الدنيوية التي درسها لم تكن كافية ٠

أما الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني الاندلسي فقد وضع كتابه (تذكرة الاخبار عن اتفاقات الاسفار) المعروف لدينا بأسم (رحلة ابن جبير) ، وكانت رحلته قد استغرقت اكثر من ثلاث سنوات (من ١٩ شوّال سنة ٥٧٨ هـ حتى ٢٢ محرّم سنة ٥٨١ هـ ــ الموافق ــ من ٣ فبراير سنة ١١٨٢ م حتى ٢٥ نيسان ابريل من عام ١١٨٥ م) ٠

وقد لاحظ ابن جبير احترام نصارى بر الشام للمسلمين فهم اذا رأوا بعض المنقطعين منهم جلبوا لهم القوت ، وفي ذلك لفتة صادقة الى تعاون المسيحيين من العرب مع المسلمين من العرب ضد الغزاة الاجانب في الحروب الصيلبية ، وقد أفرد ابن جبير فصلا بهذا المعنى وضع له عنوانا هو : (الحرب واتفاق النصارى والمسلمين)[٩] ٠ ولاشك أن تفسير ذلك انما يعود الى انتمائهم الى ارض واحدة وتراث شعبي مشترك

ويصف ابن جبير أحد مساجد مدينة (عكا) ، ويذكر ان عند محرابه قبر النبي صـالح عليه السلام ، ويذكر في شرقي (عكا) عينا باسـم عين البقر ، عليها مكان مسجد ، ويقدّسه السكّان المسلمون والنصارى على السواء ، وانه يقال ان الله أخرج من تلك العين البقر لآدم(١٠) .

أما ياقوت الحموي (١١٧٨ ــ ١٢٢٩ م) فقد كتب (معجم البلدان) بعد أن رحل للتجارة ومعرفة البلدان ثلاث مرات اتبعها بأخرى لم تنقطع الاّ قبل وفاته بعامين فقط .

تحدث (ياقوت) عن حمامات (الحسينية) قرب (طبرية) وقال : ان فيها اثنتي عشرة عينا يختص ماؤها بعلاج مرض معين اذا اغتسل منـه المرء شفي من مرضه(١١) .

وعندما ذكر (راس الناقورة) في اقصى شمالي فلسطين اكد ياقوت انه رأس جبل زعموا ان الاسكندر نقره ليسلك الى طريق شمالية فسمي بالناقورة(١٢) .

واما محمد بن عبدالله بن محمد ابراهيم اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطة فقد قام برحلاته في القرن الرابع عشر الميلادي ، وهي ثلاث رحلات ، وكان بر الشام بما فيه فلسطين قد ورد في رحلته الاولى ؛ (بين عامي ١٣٢٥ ــ ١٣٤٩ م) .

وصف ابن بطوطه مسجد الجاولي بمدينه غزة بفلسطين كما وصف أسواقها ، ووصف مسجد مدينة الخليل وارتباط الجن ببنائه ، وتحدث عن قصة اسراء الرسول صلى الله عليه وسـلم الى القدس ، وان جبريل مرّ بالرسول على قبر ابراهيم في الخليل ، وعلى مهد عيسى من بيت لحم ليصلي عند كل منهما قبل ان يأتي به الى الصخرة في القدس . وخاصة ابن بطوطه في الحديث عن قبور الانبياء بمواقع مختلفة من فلسطين ، كما تحدث عن ديار قوم لوط ، وذكر كثيراً من مزارات الاولياء الصالحين في منطقـة (الخليل القدس البحر الميت) والاخبار المتعلقة بهم ، وكذلك عن مدينـة القدس نفسها ؛ فوصف المسـجد الاقصى بالتفصيل والمشاهد المباركـة فيه .

وتحدث ابن بطوطه عن مشـهد سـيدنا الحسـين بن علي في أرض عسقلان بجنوبي فلسطين ، وعن وادي النمل الذي بظاهر عسقلان ، ولكنه لم يخبرنا بشيء عن موسم وادي النمل الشعبي في تلك البقعة . وتحدث عن شهرة أهل نابلس بصناعة الحلويات ومنه الحلواء الشعبي المصنوع من لبّ الخرّوب .

وثمة رحلات في عصرنا الحديث الى بر الشام بشكل عام أو الى فلسطين على التحديد ، بعضها نشر في كتب ، وبعضها نشر على شكل مقالات . ومن هذه الرحلات المشهورة رحلات عبدالوهاب عزام في عام ١٩٤٠ ، ورحلة الشام لابراهيم عبدالقادر المازني في عام ١٩٣٦ .

وفي (رحلات عبدالوهاب عزام) حديث عن غار لشمشون الجبار في الطريق بين اللد والقدس بفلسطين[١٣] ، وعن كنافة نابلس[١٤] ، وعن محتويات التكية البخارية في القدس ودلالاتها[١٥] .

---

١ ـ (المسالك والممالك) ، الاصطخري ، طبعة القاهرة ، ١٩٦١ ص٤٥ .

٢ ـ المصدر نفسه (ص : ٤٣ ـ ٤٨) .

٣ ـ (مروج الذهب ومعادن الجوهر) ، المسعودي ، المكتبة العصرية ، بغداد ، ج٢ ص٥٢ .

٤ ـ المصدر نفسه ـ ج٢ ، ص ٦١

٥ ـ المصدر نفسه ـ ج٢ ، ص ١٢٥

٦ ـ (أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم) أبو عبدالله محمد بن أحمد المقدسي ، طبعة ليدن ، ١٨٧٧ م ، ص ٢٢

٧ ـ المصدر نفسه ، ص ١٥٣

٨ ـ المصدر نفسه ، ص ١٧٤

٩ ـ (رحلة ابن جبير) ، دار صادر ، بيروت ، طبعة ١٩٦٤ ، ص ٢٥٢ ـ ٢٦٠

١٠ـ المصدر نفسه ص٢٧٠

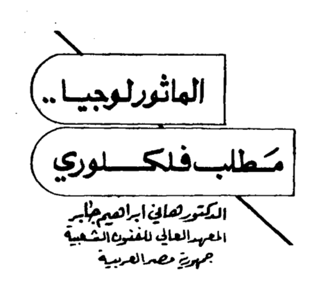
١١ـ (معجم البلدان) ، ياقوت الحموي ، ج٣ ص ٣١٢ ـ ٣١٣

١٢ـ المصدر نفسه ، ج٤ ، ص ٣٩٢ ـ ٣٩٩

١٣ـ (رحلات عبدالوهاب عزام) ، مطبعة الرسالة ، ١٩٥٠ ، ص٤

١٤ـ المصدر نفسه ، ص ١٠

١٥ـ المصدر نفسه ، ص ٤٠٦



أثيرت مناقشات عديدة في ندوة التخطيط للثقافة المادية والصناعات والحرف الشعبية ، التي عقدت في الدوحة في الفترة من ٢ الى ٦ شباط الماضي ١٩٨٥ . بدعوة من مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية . وكان من أخص خصائص نواتج تلك الندوة من أراء متباعدة ومتقاربة ، أن تتطلب البعض منها مراجعة رصيدنا المتواضع من الفولكلور كمناهج ووظائف ، وأن تتطلب البعض الاخر ترتيب أوراقنا المبحثية ترتيبا يشوبه الحذر العلمي ، وقلة من الاراء اعادت التوازن الاكاديمي كضرورة لمثل هذه الندوة واهميتها ، وكانت لها شأوها في تحديد مسارها وبلورة نتائجها لتحسب في النهاية كقيمة يعتد بها بعد ذلك في اعداد أي مؤتمر آخر يختص بالمأثور الشعبي . وقد شارك في اعداد هذه الندوة قبل انعقادها مجموعة من خبراء ودارسي الفولكلور في كل من مصر والسودان والبحرين وقطر وخبراء من مركز التراث الشعبي الخليجي . أما عن الندوة فكان المشاركون فيها من ثمانية اقطار عربية شقيقة ، مصر والسودان والعراق والسعودية وتونس والامارات العربية وسلطنة عمان وقطر والبحرين وبحاث مركز التراث الشعبي هناك .

ويمكن ان نشير في البداية الى ان موضوعات البحث والتي أعدتها اللجنة التحضيرية مسبقا ، قد ارتكزت على عدد من رؤوس الاهداف الضرورية وهي :

١ ـ ماهية الثقافة المادية كمصطلح علمي .

٢ ـ عناصر الثقافة المادية في البيئات : البحرية ـ والصحراوية والزراعية . (وقد اغفلت المجتمعات العمالية) .

٣ ـ استلهام وتوظيف التراث الشعبي في الفنون والاداب وكيفية الربط بين الاصالة والمعاصرة .

٤ ـ الجدوى الاقتصادية والاجتماعية لاستثمار التراث الشعبي .

٥ ـ اعداد ببلوغرافيا وصفية بالمراجع التي تحتوي معلومات عن التراث الشعبي .

٦ ـ أساليب حفظ وارشفة عناصر الثقافة المادية .

٧ ـ الاعداد العلمي والفني للجامعيين الميدانيين .

وقد طالب كاتب هذه السطور بضرورة اعداد اطالس فولكلورية اقليمية عن موضوعات الدراسة وميدان البحث العلمى ، تمهيدا لاعداد أطلس فولكلوري عربي يكون مستندا للاجيال القادمة . الا ان هذا الاقتراح وجد معارضة من بعض اعضاء الجانب المصري بحجة اننا لم نقدر في مصر على اعداده على الرغم من دورنا الريادي في المنطقة العربية وخبرتنا الطويلة في هذا المجال (اعترض كل من أ . صفوت كمال[١] د . اسعد نديم) . ولذلك حذف هذا الاقتراح بعد ذلك من قائمة الموضوعات . ثم فوجئنا كما فوجيء معي الوفد المصري بان قدم هذا الاقتراح كتوصية من عضو الوفد البحريني الفنان عبدالكريم العريض بضرورة الاهتمام بعمل الاطلس الفولكلوري لمنطقة الخليج العربية كضرورة حيوية .

ومن الملاحظ أن أهم الجلسات على الاطلاق امتاعا واثراء للحركة الفولكلورية العربية منها جلسة التخطيط لجمع وتدوين المأثور المادي الشعبي ودور الباحث التشكيلي المؤهل علميا وفنيا لهذا المجال . ومنها ايضا جلسة تعريف ماهية الثقافة المادية ومدلولاتها الانسانية والعملية . وبوجه عام كان التركيز في الندوة على ضرورة الحفاظ على التراث الشعبي وحماية المأثور الشعبي المتداول حاليا من طغيان التنمية والتحديث في الدول الناميه . ومحاولة الاستفادة بالامكانيات التكنولوجية المعاصرة في

تحريك الثقافة المادية نحو المعاصرة بالشكل الذي يحافظ على آصالتها ، وان لـم تأخذ حقها في البحث والنقاش لضيق المساحة المخصصة لها في الندوة .

وأمام الكم المثار من الاراء نتوقف عند ما يعتقده البعض ــ وهــذا ما أوضحته بعض البحوث المقدمة من دول الخليج ــ من الذين يعملون في حقول ثقافية وعلمية مختلفــة وخصوصــا الاثريون منهم . أن التراث الانساني معنــى مرادف للمأثــور الشعبي ذلــك لأن التراث الانساني والحضارة والمعبر عنها بعض المخلفات الاثرية والتي اكتشف على مراحل لعصور قديمة تعود في جذورها ــ الى بداية الارهاصات الثقافية الاولى كالمسمارية ــ الى قمم الحضارات الشامخة ــ كالاسلامية ــ تعد انتاجا شعبيا يمكن أن يندرج بالدراسة تحت مناهج الفولكلور وبالاخص تحت ما يسمى بالثقافة المادية . وهم في ذلك ــ الاثريون ــ يرتكزون على منطق التاريخ وحده كمنهاج تحليلي يتعرفون به على الشواهد الاثرية والتي هي بمثابــة ميراث لشعب . وقد أكدت معترضا على هــذا الاتجاه لاسباب عديدة اهمها المنهج البحثي والمنهج التحليلي الخاضعان للتاريخ والاثار يعتبران جزئية في حدذاتها وليست كل الجزئيات التي يعملبها ولها علم الفولكلور. كماان هذاالاتجاه وحده طريق يبتعدبنا تدريجيا عن نقطةالالتقاء والغاية والتي نهدف اليها كفولكلوريين. وهذه النقطة تعتبر في عملنا بؤرة منتعشة تتجمع عندها حقول ثقافية عديدة وتشع منها بعد ذلك كمنهج موحد داخل اطار الفولكلور الذي استطاع ان يجمع تحت لوائه لوم اخرى كالنفس والاقتصاد والاجتماع والانثروبولوجيا والجمال بجانب التاريخ والاثار

واضفت مؤكدا ايضا اذا كان لمعنى التراث مفهوما انسانيا فهــو يشير الى ماضي الانسان الذي تحور من خلال مجل المعطيات الانسانية لشعب محدد والتي توقفت بعد ذلك لاسباب عديدة عن العطاء في لحظة تاريخية معينة . كان من نتائج هذا التحور ان احتوى الماضي في كيانه صفات عصره وتوحدت في ذاته لتخلق معها اشكالا من الطراز أو النمط او الاسلوب ، ولها تتجسد في اشكال حضارية كالثقافة والفن والعمارة ...

الخ . ومما يؤكد ذلك اننا نستعين بتلك الاشكال للدلالة على مرحلة تاريخية في حياة اي شعب على المستوى القومي .

والتراث والميراث هما التاريخ والتركة التي خلفها الاجداد والوديعة التي أودعتها الاجيال السابقة كأمانة عند أحفادها لتكون بينهم شاهدة على ماكان عليه تاريخهم في الماضي والذي اصبح مع الزمن وصبروتـــــه رمزالهم .

وفي هذا المقام يشير الباحث الصديق صلاح الراوي (ج.م.ع.) :
ـ « من هنا نجد أمامنا نوعين من المادة الشعبية نطلق على احداهما التراث الشعبي وعلى الاخر المأثورات الشعبية ، وان كنا نجد هناك ممن يسمون انفسهم خبراء في الفنون الشعبية من يخلط بينهما على الرغم من وضوح الفرق . فالتراث مادة تدخل عالم التاريخ بينما تدخل المأثورات الشعبية عالم الحياة الاتية المتجدد » . (بحث مقدم لحلقة الفنون الشعبية بالاسماعيلية ـ الثقافة الجماهيرية من ٨ : ١٠ يونيو ١٩٨٣) .

لقد ارتبط هـذا المفهوم المزدوج فترة انعقاد الندوة بالدوحة ، باصحاب الاتجاه التاريخي المعنون بالاثار . وكادت الندوة ان تتحول الى قضية الاثار والتراث والحفاظ عليهما ، وبالتالي كادت أن تجعل من ماهية الثقافة المادية والبحث فيها « قضية متحف » . والخطوة التالية التي يؤكدون بها وجهة نظرهم تتصل بالبحث عن الاصالة . وعدت أؤكد للمرة الثانية ان الاصالة في الاثار تعتبر هدفا معنويا يرتبط بالاشارة الى تاريخ شعب والى عظمته الحضارية ومدى استمرارهما على حدود مساحته الجغرافية والفضائية . كأن نشير مثلا الى اصالة الشعب المصري باعتباره مؤسسا بالثقافة الانسانية منذ سبعة الاف عام مضت والشاهد على ذلك آثار اجداده العظيمة ، او ان نشير الى الشعب العراقي واصالته بان تشريعات حمورابي هي اولى التشريعات في الممالك القديمة والتي تعود الى حوالي ....٥ الالف عام مضت ولدليل على ذلك كذا وكذا .. وهكذا. وهكذا .

ومن هنا كان لابد من وقفة موضوعية أمام هذا التيار لتوضيح الفارق بين الأهداف والغايات علميا وعمليا في كل من علم الاثار كتنقيب وحفريات عن ثقافة الماضي ونواتجها . وعلم الفولكلور كمتصد للمأثور الشعبي والمتعامل مع المادة الحية الممارسة في بيئة اجتماعية محدودة داخل اطار الثقافة القومية كثقافة اجتماعية للحاضر . ويوضح هذا المعنى بشكل آخر

الباحث عبدالمجيد لطفي في مقالته بعنوان التراث الشعبي هل هو شيء منعزل ؟ يقول فيها : ولكن ثمة نظرية لا تزال بحاجة الى مزيد من التوضيح يلاقينا بها التاريخ القديم ، فان ماتعرف من اثار الاقوام الماضية المندرسه او المتواصلة نسلا وارومة لا يشمل شيئا معينا يجعل لتلك الشعوب عبر خمسة الاف سنة ق.م على نوعين ذلك اننا ننظر الى تراثها كوحدة واحدة في جميع ما ترك وما وصل الينا ولا نقول هذا تراث شعبي وهذا تراث آخر ارفع قدرا . وعندي اننا حين لم نقل هذا او يقل غيرنا إنما يرجع الى ان التراث المتبقى من تلك الشعوب البعيدة كان بمستوى واحد بكل مافيه من مادي ـ ادبي وقوال او انماط تعبيرية، بينما ظهر الآن شرخ فاصل علىمستويين منالثقافة المنتجةللتراث بنوعين فأنصرف الاهتمام كلية الى التراث الحضاري الاكثر جدة وتطورا بينما اهمل النوع الاخر الذي سمى بالتراث الشعبي عهدا طويلا حتى نهض بعض علماء الغرب للاهتمام به عندما وجدوا ان بعض دراساتهم الاجتماعية يجب ان تعزز بأمثلة ووقائع وآثار م ن لم يكتب أو يؤلف فيه شيء فظهر هذا الاهتمام الكبير بما اطلق عليه التراث الشعبي .. ومن مواد هذا التراث تعرفوا على احوال شعوبهم إبان ظهور ذلك التراث ومستواه الثقافي . (مجلة التراث الشعبي ـ العراق ـ رقم ١٢٢١١/١٩٨٤)،

وقبل ان نعبر هذه النقطة يهمني ان اطرح تصورا عن الثقافتين كتبه الباحث الاستاذ عبد الحميد حواس ج . م . ع : ـ وقد حدث أن تولد عن تطور التنظيم الاجتماعي نمو بعض الفئات من الجماعة على حساب فئات اخرى واستمر ذلك الى ان انتظمت هذه الفئات في شكل طبقتين ، طبقة سائدة وطبقة مسودة ، وبالمثل الثقافة (بما فيها الفنون) التي كان يتشارك فيها كل ابناء الجماعة الى ثقافتين ، ثقافة السادة وثقافة المسودين ، وهو وضع طبيعي لان ثقافة اي جماعة هي تعبير عن وجود تلك الجماعة وصياغة له . وقد أتاح هذا التمايز الاجتماعي للسادة الاستئثار بالعرفة المنظمة التي طفقت تنميها على ايدي افراد منها ،معتمدة لى ماتهيأ لها من فراغ وفره تقسيم العمل ، وماتحصله من فائض انتاج الجماعة .... وفي نفس الوقت واصل المسودون حياتهم وكل مااعتراها من تطوير في الفكر والعمل يتم بمعدل ابطأ بكثير من المعدل الحادث لدى الطبقة السائدة . واحتفظت الطبقة المسودة بوسائلها التقليدية في تناقل المعرفة والخبرة ولذا سميت ثقافتها بالثقافة التقليدية أو الثقافة الشعبية .

ومن منظور آخر كان للوفد السوداني حضورا مؤكدا ، فقد اشترك في الندوة عدد من البحاث الذين لهم مكانتهم العلمية في هذا المجال منهم ، أ . د . احمد محمد علي الحاكم الاستاذ بجامعة الخرطوم الذي اشترك ببحثه « تجارب السودان في دراسة التراث المادي » وفيه يستعرض تجاربه الشخصية وقت ان قام ضمن وفد بتسجيل العمارة وفنونها في النوبة ، ويقول عن ذلك « اثرت السرعة التي ساربها خزان السد العالى تأثيرا مباشرا على حركة التنقيب الاثري في المنطقة النوبية باسرها ، فعندما بدا للعالم ان هذه المنطقة ستغمرها المياه الى الابد ، سارعت بعثات التنقيب من كل بقاع العالم ملبية نداء اليونسكو وبترحيب من حكومة السودان في محاولة يائسة لانقاذ ما يمكن انقاذه . فبعضها ينقب ويحفر عن مواقع أثرية جديدة ، وبعضها يحاول نقل بقايا الاثار المهمة الى اماكن الامان (عن مقدمة كتاب الزخارف المعمارية وتطورها في منطقة وادي حلفا . جانب حديث من الفن النوبي ـ تأليف احمد محمد علي الحاكم) اما عن البحث المقدم في الندوة وضع فيه منهاجه العلمى على أساس الاستفادة بالمعطيات الاثرية التي حصل عليها داخل اطار مناهج الانثربولوجيا والفن التشكيلي في محاولة منه تأصيل الحياة النوبية المعاصرة واشكالها المأثورية والثقافية عبر العصور التاريخية . وقد كان واضحا من قضية التراث والمأثور والفرق بينها ، مؤكدا على ان المأثور الشعبي ظاهرة حية من أهم خصائصها اقليمية الثقافة وحدودها داخل بيئة متميزة لها عاداتها وتقاليدها المتوارثة . ولكن السعادة والعرف قد يزولان ويتغيران الا اذا اتخذا شكلا عقائديا . وقد تداخلت هذه العادة النوبية واتخذ هذا الفن العرفي شكلا عقائديا في المجتمع الحلفاوي مكنها من العيش وجعل لها خاصية الانتقال والانتشار عبر الاجيال الكثيرة . (نفس المصدر السابق)

وفي مرجع آخر اشارت به الباحثة د . سلمى عبدالعزيز سليم ج . م . ع الى دور علم الفولكلور كنهج جديد له أسلوبه الخاص في البحث الميداني . وقالت : « لقد بدأت اغلب العلوم التي تحيط بناالان بمثابة معارف جزئية محدودة في نطاق دراسة الثقافة المادية والمأثور الشعبي ، وايضا في نطاق رصد الانتاج الشعبي العربي ودراسة ما يدور حوله من معتقدات سيارة والتي انعكست على بنية الثقافة العربية . سواء كان ذلك

في الانتاج المادي او الشفاهي وسواء كان ذلك في تقنية الانتاج او في اهداف المنتج ووجوده الشعبي . و ليه يجب ان نفرق بين اداء علم الفولكلور واداء العلوم الاخرى .

وفي جلسات تعريف ماهية الثقافة المادية كمصطلح علمي،فقد امتلأت قاعة المؤتمر بعدد من البحوث عكست الاتجاهات الثقافية والعلمية لاصحابها وكذلك شاعت معها عدد من الاراء المتصارعة كلها تبحث عن مدلول وتعريف يمكن الاعتماد عليه عربيا في العمل الميداني ، وقد أوضح كاتب هذه السطور تحفظا يجب مراعاته عند تحديد حدود المصطلح باعتبار ان الثقافة المادية لا تعتبر مجموعة من الانعكاسات العقائدية فحسب ، ولا هي مجموعة من التقاليد الحرفية المتوارثة فقط ، وانما هي مجموعة من حلقات التواصل الابداعي والتفاعل الانساني والتناسق التاريخي والبيئي. وبالتالي فالعنصر العضوي في حدود الثقافة المادية ، يتمثل في القدرة على مواصلة الابداع والقدرة على الاحتواء من ناحية والقدرة على ترسيخ الاصالة وتحقيق التواصل من ناحية اخرى .

وكان في البداية من توضيح المعنى من الثقافة والصفة في المادية وبعدها يمكن صياغة التعريف بشكل اوثق واوضح من الزاويتين العلمية والعملية ، باعتبار أن الثقافة تعتمد على الجانب التطبيقى منها في صياغة مدلولها العلمي ولهذا فهي تحتاج الى صفة تحدد ابعادها الحركية وتعطيها نوعيتها . وفي مجالنا هذا كانت الصفة للثقافة بالمادية .

وضح من خلال النقاش ان هناك اتجاها يتزعمه د . اسعد نديم ، مصر ، المشجع للانتاج الحرفي — ان الثقافة المادية هي الاشكال الانتاجية التقليدية في التراث . ودلل على ذلك بأشغال الخشب والتي سماها بالارابيسك (إستغلال هذه الكلمة للدلالة على هذا النوع من الانتاج فيه خطأ ، لان الكلمة تعنى بالعربية الرقش العربي او الزخرفة العربية). كالمشربيات أو ما يصنع حاليا منها في أغراض مختلفة كالاثاث والبرافانات والبلاكارات وغيره ، كما أكد أن ما يقوم به من خلال معهده المسمى بالمشربية هي إستغلال التراث في المعاصرة ، كما اكد أن الاتجار في رأيه شيء والتجارة شيء اخر . وقد اثار حديثه كثيرا من علاقات الاستفهام وخصوصا وأن الباحث لم يجعل للثقافة التقليدية والشعبية دورا في تعريف ماهية الثقافة المادية كما أحدث نوعا من البلبلة في استخدامه

« معهد » بدلا مـن « ورشة » وخصوصا ونحن امـام دراسة للانتاج الحرفى . وفي هذا المقام تساءل الباحث التونسى محمد المصمودي : ما هو دور معهد المشربية وكيفية تشكيله ونظام الدراسة والتدريب وتساءل ايضا هل يمنح المعهد دبلوما أو شيئا من هذا القبيل . كما تساءل كاتب هذه السطور : كم ورشة في مصر تقوم بهذا العمل ونوعية الزبون وسعر التكلفه وحجم المبيعات في مصر وحجم المبيعات في دول الخليج ؟ .

والحقيقة كانت آراء د . اسعد نديم معبرة جدا عن أهداف مشروعه من الناحية الانتاجية والتجارية والاستغلالية ومسايرة تماما للضروف التي ساعدت على تكوين مثل هذه الورش.ومسايرة للظروف التي ساعدت على مسخ مفهوم المأثور الشعبي مكانة ودورا . واصبحت العملية شطارة من بعض القادريـن للاتجار بهذا التراث تحت مسميات عديدة . ولكن اغربها أن يقال أن هذا العمل هو نوع من الفن الشعبى وايضا مضمون في إطار الثقافة المادية . واحب ان اذكر في هذا ، مقولة كتبها الباحث محمد الجزائري يقول فيها : « ولان الثقافة مواطن ، وكائن تاريخي فلابد ان يكون إنتاجة حصيلة تاريخية وثقافة ونشاطية اجتماعية وممارسة وفعالية وخصائص موروثة ومكتسبة » . (الفن منتوج عمل ، مجلة افاق عربية، العدد ٧ سنة ١٩٧٦) . وفي لجنة الصياغة أصر د . أسعد نديم على عدم الربط بـين الثقافة الماديـة بالعادات والتقاليد ولا بوظيفتها النفعيـه والترويحيه وعلى ذلك جاءت التوصية الى حـد كبير في صالح نظريـة « التقاعلامية » التي سبق وان كتبت عنها والسائدة في حركتنا الثقافية الان .

وعند طرح هذا التصور أمام أعضاء الندوة تعجب الدكتور طارق حسون . العراق من عدم وجود العادات والتقاليد في صياغة الماهية وكذلك أيده وفد الامارات والبحرين والسودان ومن مصر د . سلمى عبدالعزيز وكاتب هذه السطور الذي إقترح أن تكون الصياغة بهذا الشكل « الثقافة المادية هي مجمل الممارسات اليدوية والمنتوجات الشعبية المعبرة عـن العادات والتقاليد في بيئة اجتماعية محدودة والمحققه للاهداف النفعيه والترويحية له »وقد اوضحت بعد ذلك ان الثقافة المادية هي البنـاء العملى المنظم لكل التقاليد واشكالها في المجتمع المحدود ، والذي لا نظير له من حيث التعبير عن المدركات والدوافع االنفعيه والرحيه والترويحيه

وكذلك من حيث التعبير عن الابعاد العقلانيه الشعبية والمتأثرة في اشكالها الشفاهية بواقعها الديني والقصصي .

وعلى الجانب الاخر من البحوث المقدمة في الندوة . بحث تطبيقي تقدمت به السيدة نجلاء اسماعيل العزي ج . العراق ، والباحثة بمركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية ، قوامه الازياء الخليجية ، تختص منه هذه الفقرة والتي تحدد لنا ابعاد اسلوبها الفني « بعيداً عن الالتزام بالاصل اللغوي وبعيداً كذلك عن التحديدات والتعريفات التي تصدر عن التزامات فكرية او مذهبية او اجتماعية . يمكن القول ان التراث الشعبي كما اتفق عليه غالبية علماء التراث والفولكلور (؟ !) هو عبارة عن مجموعة من العناصر الثقافية المادية والروحية للشعب تكونت على مدى الزمن وانتقلت من جيل الى آخر بكافة أشكالها وعناصرها المادية والشفاهية المدونة » . ومن الواضح أن الباحثة ارادت أن تبتعد عن « فذلكة » المصطلحات الجاهزة في تحديد هوية المصطلح ، الا أنها أعطتنا في النهاية تحديدا له أبعاده في محوره الاجتماعي ومحوره المذهبي أيضا . ونريد في هذا المقام أن نوضح بعض ما دار حول هذا المبحث من مناقشات كانت من الاهمية من حيث واقعها الميداني كدراسة ، وايضا من حيث رصد العينة المأثورية وطريقة تحليلها ثم الكشف عن العناصر الدخيلة على مقومات الزي الاصيل . وبعد كما سبق وان اشرنا في البداية ان البحث قوامه الازياء النسائية في منطقة الخليج من واقعها الحي والممارس الى الان . الا ان الدراسة جاءت تعالج المظهر فقط دون الظاهرة اي دون البحث عن قيمتها التاريخية ودورها المتوارث والتي تنعكس بدون شك على شخصية المرأة في الخليج . والسؤال الذي يفرض نفسه بعد ذلك هو مدى تأثر أزياء الخليج بشكل عام وأزياء المرأة بشكل خاص بالثقافات المحليه والوافدة وذلك على امتداد مساحتها الجغرافية من العراق الى سلطنة عمان بدءا من ثقافة الرافدين الى الحضارة البيزنطية والعثمانية عبورا بالثقافات الاخرى كاليمنية والعبرانية ، وناهيك عن المد الثقافي الاسيوي . بل يجب ان نقف طويلا امام ازياء الخليج بعد عام ١٩٤٠ ثم بعد عام ١٩٧٥ ، حتى نصل بعد ذلك الى الحقيقة التي تنعكس على شكل الدراسة علميا . وقد جسد الفنان الكويتي المشارك في الندوة « ايوب حسين ايوب الاجابة على هذا السؤال بقوله «الحقيقة لا اعرف . . هل هذه الازياء والتي تفضلت بعرضها الاخت نجلاء هي ازياء قديمة واصيلة في منطقة الخليج ؟ فاننا مثلا واغلب

الحاضرين لم نر الامهات والاخوات يستعملن مثل هذه الازياء في طفولتنا (يزيد عمره عن ٥٠ عاما اطال الله فيعمره) اعتقد انهذه الاشكال وفدت الى المنطقة بعد ان انعم الله علينا بخير البترول » .

اما الوجه الثاني لذات العملة نجد ان الباحثة تؤكد على ضرورة إستخدام المنهج الاجتماعي في مجال الدراسة والتطبيق فتقول في ذات المصدر « وقد دفعنا ذلك لدراسة الاحوال الاقتصادية والاجتماعية للمنطقة كلها لمعرفة مصادرها ومراكز صناعتها وزخرفتها . ودراسة العادات ولتقاليد التي تحكمت في لبسها ونقشها وجمل حياة اهل الخليج عامة ومصدر رزقهم الرئيسي واحوالهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية لمعرفة ما انطبع منها على زيهم وطريقة لبسهم ونواحي اخرى فطناها في الدراسة » . ومن المملكة العربية السعودية إشتركت في الندوة السيدة ليلى البسام وكان عنوان اطروحتها للماجستير الازياء في المملكة العربية السعودية . وواضح ان الباحثة بذلت جهدا مشرفا ومخلصا في الناحيتين التجميعية والتحليلية .

وبين هذا وذاك يقع المبحث الذي تقدم به الباحث د . نبيل درويش ج . م . ع . وعنوانه شبابيك القلل ، وعلى الرغم من ان حرفة الفخار في مصر لها مكانتها الشعبية والتاريخية الى درجة التغنى بها (القلل القناوي) الا ان الباحث لم يدخل الى مبحثه من منطلقدراسة فولكلورية بل اختار مجال التكنيك الفني لحرفة وصناعة الفخار والتطوير العلمي المصاحب لحركة الحرفة والاضافات الجديدة التي استحدثها الباحث عليها .

يبقى الدينا من حصيلة البحوث الضخمة التي قدمت في الندوة ثلاثة تدخل في نطاق مناهج البحث واساليب الميدانيين الجامعين ونوعية الادوات الوسيطة اللازمة في العمل الفني .

● البحث الاول : بعنوان تدريب جامعى البيانات للدكتورة نوال محمود المسيرى ج . م . ع . واتجهت فيه الباحثه ناحية كيفية الاعداد العلمى للجامع الميدانى واهم الطرق التي يجب أن يتبعها ، كما أوضحت دور كل من « الوسيط » و « الاخباري » في تحقيق نتائج تامل الباحثة من ورائها تكامل الاسلوب الميداني والتحليلى ، وقد إستعانت عند مناقشة البحث السعودية ليلي البسام لكي تقدم تجربتها الميدانية فيجمع المادةعند

اعداد اطروحة الماجستير . وماهو جدير بالملاحظة ان الباحثة استعملت صفتين جديدتين على العمل الميداني هما الوسيط والاخباري كترجمة عربية لكلمتي . "infermant او reporter" -, "Mediator".

اما عن البحث الثاني فكان من الباحث د . مصطفى مبارك من ج . السودان وفيه ركز الباحث على دور فن التصوير الضوئي باشكاله المتقدمة في تسجيل المأثور الشعبي عامة والمادي منه خاصة . واسترشد ببحوثه المسبقة التي قام بها أثناء عمله في السودان . وقد ناقش الباحث التونسى محمد المصمودي هذا الموضوع قائلا « ان التصوير الفوتوغرافي مهما كان دقيقا فهو لا يعبر بكل الصدق كما هو في مجال فن التصوير اليدوي (الرسم) . واضافت الدكتورة نوال المسيري ــ مصر ــ قائلة ان تجربتها والتي استمرت حوالي سنتين في منطقة النوبة المصرية اكدت لها على اهمية فن التصوير اليدوي (الرسم) في مجال تسجيل المأثور الشعبي وأن الفنان التشكيلي جعل من العمل المادي صورة حية عند تسجيله لمأثور لم تستطيع ان توجده في عملها على الرغم من تكامل اسلوبها الميداني .

وعند هذه المقولة تنتقل الى المبحث الذي عالج موضوعا في غاية يختص بدور الفنان التشكيلي عند تسجيل التراث الشعبي والمأثور المتداول ، قدمته الباحثة الدكتورة سلمى عبدالعزيز سليم من ج ٠ م ٠ ع وعنوانه « الاساليب العلميه والعملية لتسجيل المأثور الشعبي ودور فن التصوير تاريخيا وجماليا في هذا المجال » . وقد نهجت الباحثة نهجين احداهما يتصل بدور الفنان التشكيلي العربي في تسجيل الحياة الاجتماعية الشعبية بكافة مظاهرها بالاضافة الى تجسيد المعتقدات السيارة في المجتمع . وضربت أمثلة عديدة عن تاريخ المصورين العرب الذين قدموا لنا التراث القصصى والخيالي الشعبي بصورة تشكيلية متكاملة بالاضافة الى ان الاعمال جاءت تسجيلا حيا لحياة عاصروها .
والنهج الثاني عالجت فيه موضوع اعداد الباحث التشكيلى إعدادا فنيا تبعا للمناهج العلمية لفن التصوير ومفرداته بجانب تدريب الباحث بعد ذلك على اعمال البحث الميداني وكيفية اختيار العينة المأثورية وفقا لمناهج علم الفولكلور . ومن مقدمة البحث ننقل هذه الفقرة : « ولعل اكثر الأمور اهمية ودلالةعلى ضرورة توثيق اسلوب العمل الفولكلوري بالمعطيات الفنية لفن التصوير أن نتذكر دائما أن معرفتنا بالثقافة المادية للشعوب القديمة

جـاء نتيجة للدور الكبير الذي قام بـه المصور في مجال تسجيل نمطيه المعيشة واحوال إنتاجها وابراز كل ذلك بفن التصوير ، وايضا جاء معرفتنا به نتيجة للدور العظيم الذي قام به المصور لتجسيد الاشكال المختلفة التي عاشت مع الانسان عبر حياته العريضة . وكان هذا هو الدور المسئول في عمل الفنان المصور ، ومازال هذا الدور يفرض وجوده في مجال تسجيل معيشة الانسان وحولياته كاملة طبقا لقوانين تحكم تلك العلاقات التوثيقية بعضها لبعض كقانون الثقافة التقليدية وكقانون الجماعة » .

ومع خطوات العمل الميداني نجد الباحثة تؤكد على أن عملية الجمع للمأثور تبدأ بخطوة تتلوها خطوات متتالية وفي تسلسل منطقي وفي وحدة متناسقة بداية منمرحلة التحقيق والتحقيق لتحديد واختيار العينة الى التوفيق والمقارنة وهي مرحلة الدراسة والتحليل ثم التوثيق والتبرير وهي بمثابة منح الهوية الشعبية للعينة ، وبعدها التنسيق والتنظيم والفهرسة والتدوين ثم المرحلة الاخيرة وهي الاستنباط والتحريك .

كما اكدت الباحثة كفنانة مصورة أن عملية الاستلهام مـن الفن الشعبي اصبحت في أغلب الاحوال عملية إستلخام ، واختلط معها الحابل بالنابل ، والتربية والاشغال الفنية بالانتاج الحرفي والتخصصي الشعبي وغيرها وتضـيـف : أن بلادا كثيرة اقـل منا كثافة تراثيـة ومأثوريـة « نحن العرب » تضع حدودا فاصلة وحادة بين الاستلهام والاستلخام . وبالطبع ينعكس هذا على الاداء الفني لكل من الحرف الشعبي والفنان المستلهم للحفاظ على المقومات الفنية لكل منهما . فهناك مثلا في المجر واليونان او فيتونس فنانون لهم مكانتهم ووضعهم المتميز فنيا،يستلهمون من التراث مادتهم الفنية ويعالجونها كل بأسلوبه وفكره ولكن .. فهم يعرضون انتاجهم في قاعات خاصة تعرف « بالفوند بلاستك » وليس في محلات الارتيزان . فهناك فارق .

يبقى في نهاية هذا العرض ان نتطرق الى موضوع فرض نفسه على ساحة الندوة دون ان يكون مقررا او مدرجا تحت بنود المناقشات ولـم يعلن عن نفسه صراحة . وأن متواجدا حضوريا وفارضا نفسه بكل ثقل على أفئدة وعقول أغلب المشاركون في الندوة كما انه إحتل مقعدا رئيسيا على منصة الرئاسة في كل الجلسات . الا وهي قضية « الغوص » في منطقة الخليج كحرفة ومهنة وكتراث وتاريخ ، مهنة لها مكانتها كمورد رزق رئيسي عاشت عيه عوائل كثيرة لها حضورها كمهنة اجتماعيـة ظلـت سائدة

ومسيطرة على الحياة العملية في الخليج . كما انها مهنــة ترتبط بصيد اللؤلؤ ، وهذا اللؤلؤ له مواقف بطولية تحدى بهاالهجمات العديدة الشرسة والتي قادها اللؤلؤ الياباني كمنافس غير شريف لحرفة شريفة .

اقول ان هذا الموضوع على اهميته وحيويته لم يقدم فيه اى بحث علمي يعالج هذه القضية برمتها وطرق الربط بينهمــا كحرفة تراثيــة وبين الحياة المعيشية المعاصرة . واستمح لنفسى أن انقل أجزاء من قصة المهلب للباحث د . يعقوب يوسف حجى من دولة الكويت : « لا شك في ان اكتشاف البترول قد وضع حدا للحياة البحرية التي تميزت بها تلك الدولة الصغيرة » وعن تاريخ هذه الصناعة (المراكب) بقوله . « شعر الحاج تنبان القائم وأخوه محمد وهما من تجار الكويت المرموقين بالحاجة الى سفينة شراعية إضافية لمساعدتهم في تجارتهم والتي أخذت في التوسع والازدهار ، ففي احد ايام ١٩٣٧ اتفق الاخوان مع الحاج محمد بن عبدالله الاستاذ ، أحد صناع السفن المشهورين في الكويت واحد تلاميذ الحاج احمد بن سلمان الاشرم ذلك الصانع الاسطورى على صنع سفينة شراعية من نوع « البوم » وكانت الاخشاب اللازمة لصناع السفينة قد أحضرها من الهند الاخوان قائم بعد أن إختراها بعناية » .

وفي موقع آخر كتب د. يعقوب «انه لم يبق» او يحفظ منها سوى « المهلب » شاهدا على تراث الكويت البحرى الذي ذهب الى الابد » . وعند الى الابد نتوقف كثير حيث انها جملــة قاطعة ولا تجعل للتفاؤل مكانا في تخيل المرء .

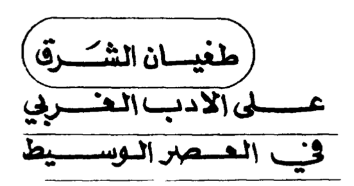
وبعد ماذا يجب ان نعمله من أجل أن يبقى المهلب والتراث البحري حيا معاصرا لجيلنا ولكل الاجيال القادمة . وهذا هو لب الدراسة التي يجب أن نعدها ضمن العديد من الدراسات لمجالات اخــرى في تراثنا . والمهلب أو قصته حرفة شعبية كان لها دورها في حياة الصيادين تعاونهم وتشكل أدوارهم في الحياة . كما انها تذكرنى بحياة البحر والصيد في عزبة المرج في راس البر (البر الشرقي) محافظة دمياط ج . م . ع كانت فيها الحياة بمثابة عملية كاملة تعتمد في صناعتها على عديد من الحرف الاخرى المعاونة ، ولذلك فهى صناعة شاملة بمعنى أن السفينة الواحدة التي كانت تصنع في عزبة المرج تمثل انتاجا لعدة ورش صناعية صغيرة مثل الحدادة والنجارة والنقاشة والخيوط النسجية والفلين وغيرها . لذلك جاءت السفينة بمثابة عالم ضخم لجزئيات تتحد بعضها لبعض في تناغم عظيم ، أما مــن الناحية الاجتماعية فقد كانت تشكل معها مجتمعا لــه أشكاله التنظيمية العلمية والحرفية ، تتوارث المهنة جيل بعد جيل حتى اصبحت هناك عوائل تعرف بتخصصاتها حسب كل مهنة. اما عن الاشكال المعمارية

السائدة في البلدة فقد كانت عمارة فريدة في طرزهـا وأشكالها فبعضها يطل على فرع النيل الدمياطي بلونها الابيض وبزخارفها البيئية ، والبعض الاخر يطل على أرض خضراء محيطة بالبلدة وتسير بينها القوارب الصغيرة سعيا وراء الرزق الذي يلبي الاحتياجات اليومية يوما بيوم بل طاقة بطاقة كما يقول الشعبيون في مصر . كما كانت الدرافيل تتخذ « الخورنقات » بين البيوت المطلة على النيل سكنا ومعيشة لها واحيانا كنا نـــراها في صبانا تقفز فوق سطح الماء تتراقص وتتمايل فرحا حتى سميت بصديقة الصيادين علاوة على اللهجة الخاصة بهم واغانيهم ورقصاتهم السواحلية بعد ذلك تعرضت هذه الحرفة لصدمات متتالية ومتعددة تبدأ مع الانتهاء من بناء السد العالي ليقل محصول السردين الاخضر (وهو يماثل عند صيادي مصر اللؤلؤ عند إخوانهم الصيادين الخليجيين ، ثم جاء عدوان ١٩٦٧ ليضع حدا لنشاط هذا العالم الخاص الشعبى وتتوقف معها الحرفة وتستهلك المراكب الضخمة (كانت لا تقل عن ٣٠٠ مركب ضخم للاعماق واكثر من ٤٠٠ مركب متوسط خلاف مايسمى بالفلايك الصغيرة وعددها كان لا يحصى) من تأثير البطالة والتعرية الجوية ، وليضطر عـــدد مـــن الصيادين والحرفيين للهجرة للعمل على مراكب اجنبية طالبا للرزق وحبا في البحر . أقول هذا وأتحسر ألما لاننا لم نسجل هذا التراث الشـــعبي تسجيلا علميا منهجيا وضاع معه أحد معالمنا في الثقافة المادية .

واختم هذا العرض بمقولة كتبها الاستاذ الدكتور أحمد علي موسى في كتابه القيم الفولكلور والاسرائيليات ، « إننا اذا لم نجمع تراثنا وندرسه دراسة علمية فسيجمعه ويدرسه غيرنا وسيأتي وقت نقرأ فيه ما لانحب، ونسمع منه لا نود » .

---

(١) جمع العناصر الشعبية ــ بحث مقدم من أ صفوت كمال الخبير بوزارة الاعلام الكويت هذه العملية اطالس فولكلورية هي الشكل النهائي للعمل العلمي في معرفـــة العناصر الشعبية وتصنيفها (المأثورات الشعبية م ٦٠) ص ٤٨٣ .



بقلم : جان ريشار
ترجمة : الدكتور أكرم فاضل

بوسع تمحيص للأدب الغربي ، بين القرن الحادي عشر ونهاية القرن الرابع عشر ، أن يتيح ، ولاشك ، تعيين المكانة التي احتلها الشرق والشرقيون في المؤلفات المكرسة للجمهور الأدبي للمسيحية في الغرب — هذا اذا طرحنا جانبا « النصوص المكتوبة لتثقيف رعاة الكنيسة او العلمانيين ، وهي غالبا » ماتكون باللاتينية . ولعلها لم تصل الى علم « السواد الأعظم » في العصر الوسيط . ويبدو في الواقع امكان رؤية مدى تطلع الغربيين صوب الشرق والطريقة التي اتبعها مؤلفو العصر الوسيط في البحث عما ينفع الناس .

ان اغنية رولان ، وهي اقدم الاغاني البطولية الفرنسية ، لاتتجاهل الشرق . ولكن المنزلة التي احلته فيها ذات طابع خاص للغاية . فالشاعر حين يروي المعارك الاسطورية التي واجهها المسيحيون والمسلمون في اسبانيا يجهد نفسه على الخصوص بايجاد أسماء معينة للرجال والاقطار ، لكي يعزوها الى خصوم الفرنج . والكثرة من هذه الأسماء خيالية ، بقدر ماهي خيالية المفاهم المعزوة الى اخلاق المسلمين ومعتقداتهم . ومع ذلك فالجمهرة الكبيرة من هذه الأسماء تلوح صدقاً من اصل شرقي ، وهي تعيننا على تمييز ذوق الجمهور الذي كان ينصب الى اغاني الشعراء المتجولين تنسما « لنغمة غريبة بعيدة . ومع الحملة الصليبية الاولى ،

وبموازاة ازدهار حكايات شهود الحملة ، التي اتخذت شكل رسائل او حكايات تاريخية ، تظهر اغان تروي قصة الحرب الصليبية على اسماع جمهور اوسع من جمهور الاكليروس (اغنية اورشليم ، اغنية انطاكية) . وتعنى هذه التاليفات بأمجاد محاربي الغرب ولكن زهاء عام ١١٤٠ ظهرت في انطاكية « اغنية المساكين » التي تحكي لنا مغامرات بعض الصليبيين الذين اسرهم الأتراك ، أثناء اقامتهم القسرية في آسيا الصغرى ، مع امداد كبير بالوقائع العجيبة. ومن تلك الاونة لاح موضوع الشرق في الادب الغربي ، الشرق بلد العجائب ، كما ظهر العالم الخالي الذي تموج فيه الحكايات الكلتية الاصل .

وتتعدد أغاني المجازفات وقصصها التي استثمرت هذا الموضوع ، واضعة في الشرق ، الشرق الذي لا مضمون جغرافياً دقيقاً له ، أمجاد أبطالها .

وقصة « زيارة شارلمان لأورشليم » تتحدث ، وهي تغرب في الخيال ، عن الرحلة المزعومة للامبراطور الى اورشليم والقسطنطينية ، وتمتد الى عجائب قصر « ملك الروم » ، مع اناسيه الاليين المشهورين على نطاق عالمي . ويقال ان ثمة اغنية انطمست معالمها ، ولكن يرن صداها تحت قلم جان ماندفيل ، قصة كيف ان شارلمان واوجيه ملك الدانمارك فتحا آسيا بتمامها . ومعظم القصص تقف جهودها عند استغلال لحمة روائية بالغة البساطة ، اذ نرى عادة « فارسا » يبحث عن مغامرة في شرق يسبح في الخيال ، وهو يغزو قلب اميرة « وثنية » وسط وقائع خارقة رغم كل الرقي والتعاويذ والعجائب . وبين هذه التاليفات التي تتخذ من الشرق اطاراً حسبنا ان نذكر قصص هون دي بوردو، فلور وبلانشفور، انيئيس القرطاجي .

وليس العصر الوسيط هو الذي تخيل أن يعجل من الاقطار الشرقية موطناً للعجائب . فمنذ العهود السحيقة كانت قصة الاسكندر الاكبر ذريعة للتنميات الاسطورية حول مغامرات غازي تخوم الارض المسكونة وعن عجائب الهند . واستقى الغربيون ، كما استقى الشرقيون انفسهم بغزارة من هذا التراث الذي أوحى بقصص الاسكندر . ولكن يخيل لنا ان نصا « من بيزنطة جاءنا يعيد روايات هذه الاساطير : ففي منتصف القرن الثاني عشر ظهرت رسالة القسيس جان الى الامبراطور مانويل كومنين ، التي ترجمت الى عدة لغات وعرفت رواجا » هائلا . اذ انها كانت تصف عجائب الهند ، مع القص في الوقت نفسه على وجود عاهل

مسيحي قوي في هذا القطر . كل هذا تردد صداه في واقعة تاريخية حقيقية ، عرفها الغربيون عبر قالات المسيحيين الشرقيين : انتصار خان قره خطاي على السلطان سنجر الذي صور الخان وكأنه القسيس جان ملك الهند ، وهو بلاريب ملك اثيوبيا .

لعبت بيزنطة كذلك دورها في ادخال العناصر الشرقية في أدب العصر الوسيط ، على الاقل اكد ذلك الشاعر ايمون دي فارن ، عام ١١٨٨ ، وهو الذي جمع لفيليب وبولي موضوع قصة فلوريمون . ولا مرية ان الحرب الصليبية الثالثة هي التي أدخلت الى عالم أبطال القصة شاخصاً جديداً ، في شخص صلاح الدين . فصلاح الدين الامير المسلم المشهور باستقامته وروح الفروسية فيه ، ظهر للفرسان الغربيين وكأنه خصم جدير بتقديرهم ، فزين للشعراء ان يتخذوا منه أبنا « لاميرة مسيحية محمولة الى الشرق على ايدي قراصنة ، ثم غدت زوجة ملك مسلم (ابنة الكونت مونتيو) . وثمة سيراكون وهو اسم بطل رواية آخر ، أي اسم عم صلاح الدين . شيركوه . فالقصة تجعل منه اميرا « فرنسيا » خطفه بحارة افضوا به الى الهند ، حيث توج ملكا » . ولكن مع الحرب الصليبية الخامسة (١٢١٤ ـ ١٢١٩) تقدمت معرفة الشرق تقدماً ملحوظاً . انها الفترة التي اخذ فيها البابوات وزعماء الحرب الصليبية يبحثون عن معلومات بخصوص الأحوال الحقيقية التي تتواجد عليها الاقطار الشرقية التي تدور فيها رحى الحملة . واستخدام المسيحيون الملكيون واليعاقبة والنساطرة كوسطاء ، ولا مشاحة أن حضارة الغرب مدينة للنساطرة بالمعلومات الأولى عن المغول في آسيا الوسطى والغربية ، تلك الفتوحات التي عزيت ، كما حدث ذلك قبل قرن من الزمن بالنسبة لانتصار جيوش قره خطاي ، الى أمير مسيحي هو «الملك داود» . وقصة داود التي تروي وقائع هذا الملك والتي عرفت انتشارا لا بأس به في الاوساط الأدبية ، لوجودها في عدة نصوص محررة كلها باللاتينية ، هي أهم هذه التراجم . وسنرى بعد ذلك ظهور أعمال تكتسي هي ايضا بطابع رؤيوي ، رغم الشكوك الكثيرة التي تدور حول وجود اصول لها في اللغات الشرقية ، كما كانت الحالة بالنسبة لتلك التي ترجمت في أيام الحرب الصليبية الخامسة .

لقد هدد المغول باكتساح أوروبا الوسطى والشرقية على الأقل وشيكاً . وكان اسمهم المتخذ لفظة « التارتار » قد أصبح بسرعة مالوفاً لدى كل الطبقات الاجتماعية وعند كل شعوب الغرب : فاقيمت الصلوات

العامة رجاء صرف التهديد ، ونوقشت المعالجات الواجب اتخاذهـا في المجامع المسكونية والمجالس الكنسية ، وكثر الجدل حولها .

ولحمل المغول على عدم مهاجمة اوروبا ارسل اليهم اينوسان الرابع سفراء أعقبهم سفراء آخرون . وكثرت هذه السفارات ابتداء من التفكير بامكان اعتناق (التاتار) للديانة المسيحية وتوخي مساعدتهم في الصـراع الذي تخوضه المسيحية ضد سلاطين مصر .

وتبعث تقارير هؤلاء السفراء ، ولاسيما السفراء الاوائل ــ وكذلك حكايات الأسفار المتأخرة (التي وصفت اخلاق المغول وتاريخهم) تطلعاً كثيفاً .

ففي عـام ١٢٥٠ ادرج فنسان دي بوفيـه في كتابـة « المـرآة » (انسكلوبيديا العصر الوسيط العظمى) مقتطفات اضافية من قصة المغول الذي كتبه بلان كاربان ومن التاريخ المغولي ليسمون دي كانتادي ضامنين على هذا المنوال الانتشار الواسع لهذين المصنفين . وقصة رحلة غليوم دي روربروك كتب لها بدورها الانتشار العميم . والتقرير الموجـه الى مجمع ليون المسكوني من قبل الدومنيكاني داود اشبي الذي عاش سنوات طويلة مع مغول فارس كان موضع ترجمة فرنسية لاتعرف لها الا مخطوطة وحيدة كتب لهـا الاختفاء ، وكان عنوانها بالفرنسية : وقائـع التاتار . وحسبنا ان نعلم انه حينما كان يريد أستاذ في جامعة باريس اثارة قضية من قضايا الساعة امام تلاميذه زهاء عام ١٢٦٨ ، كان يتحدث اليهم عن الزواج الحديث لأميرة بيزنطية من ايلخان فارس .

واخيراً ، من العقم التذكير بالنجاح الباهر الذي احرزته في القرن الرابع عشر قصص ماركو بولو وأودوريك دى بورد نون العجيبة . والشاهد على هذا النجاح ، وعلى نجاح الأعمال المماثلة ، العدد الكبير من المخطوطات الجميلة التي حفظت هذه النصوص ، تلك المخطوطات التي كانت في الأغلب مخصصة للمكتبات الأميرية . وماركو نفسه انشأ طبعة ثانية لكتابه بناء على رجاء تينو دى شبوا ، الكاهن العام لشارل دى فالوا ، واسرع آل شبوا لاستنساخه بغية تقديمه الى الكونت دى فالوا . وكتاب العجائب المشهور المحفوظ في المكتبة الوطنية ربما يكون أجمل المخطوطات : انـه يمثل هدية جان سان بير الى عمه الدوق دى بيرى ، ويؤلف مدونـة حقيقية مما كان معروفاً عن الشرق والمغول .

وعلاوة على ذلـك فأن بعض الأمـراء اجهدوا انفسهم في تأسيس « مكتبة » لأنفسهم متخصصة في الشؤون الشرقية : كان ذلك حين واجهوا فيه القيام بحملة صليبية . فانهمكوا بجمع اكبر كمية ممكنة من المعلومات عن مسرح حملتهم والظروف العسكرية والدبلوماسية الجديرة بالمساهمة في انجاحها . لهذا الهدف دبج الأمير الأرمني هيتون كتابه « زهرة قصص الشرق » في مطلع القرن الرابع عشر ، في حين أن مؤلفي مشاريع الحرب الصليبية ، وهم عديدون في تلك الحقبة كرسوا محلا واسعا في اعمالهم لتحقيقات جغرافية وتاريخية عن الاقطار الشرقية .

وفي القرن الخامس عشر كذلك ، لم يكتف دوق برغونيا فيليب لبون ، بارسال مستعلمين يكتبون تقارير له ، مثل برتراندون دى لابروكبير ، أو بتلقي كتب تكريم مثل كتاب بيلوتي الهندقي ، وانما أوفد رسلا يبحثون من جميع النصوص القادرة على مساعدته في اعداد حملته ونسخها للالمام بشؤون الشرق .

والدليل على نجاح الاسفار هذه لدى سواد الشعب تاليف كتـب خيالية بل كتابة حكايات مزيفة . فهناك قصة انكليزية من القرن الرابع عشر ، هي « ملك طرسوس » تروي كيف ان سلطان دمشق وقع في غرام ملكة « طرسوس » المسيحية ، فاستولى على قلبها بعد جهود مضـنية ، ولكنها ارغمته على اعتناق الديانة المسيحية ــ وهي قصة ملفقة ذاع صيتها عبر الغرب باسره ، ولا مناص من التنقيب عن جذورها في كتاب هيتون ، الذي يسمي طرسوس بـلاد التارتار ، ويدعونا الى افتراض ان الخان غازان قد اعتنق المسيحية . وقصة رحلة جان دى ماند فيل قصة خيالية ، مؤلفة بمعونة حكايات حقيقية ، والف كتاب الضمير المكتوب بالاسبانية نحو منتصف القرن الرابع عشر ، على نفس المنوال . وقريباً من هــذا التاريخ الف جان هيد لسيم قصص وقائع ثلاثة ملوك ، حيث نجد كـل المأثورات المتعلقة بملوك المجوس واحفادهم ، وذلك بتجويدها ماوسعه التجويد . لاقى الكتاب نجاحا عظيما يشـهد عليـه ترجمته الى عـدة لغات ... كل هذه الكتابات تدل على شغف الجهور الذي يقرأ او يطلب من الآخرين ان يقرأوا عليه هذه المؤلفات التي تطلعه على أحوال الشرق بل حتى الشرق الاقصى وكذلك موجة (الاستشراق) الدائمة لـــدى جمهور العصر الوسيط .

ومما لا ريب فيه ان العناصر التي راجت آنذاك بوصفها شرقية لدى اولئك الذين كانوا يصغون الى اغاني البطولات أوالى قصص المغامرات ، بل حتى الى قراء المخطوطات الجميلة التي تمثل منمنماتها المغول مرتدين

على الطريقة الغربية ، لم تكن كلها حقيقة . ففي نظر الغالبية لم يكن الشرق الا ذريعة للفرار الى العالم العجيب . وقد جلب الرحالون معلومات ذات قيمة عالية جدا ولكن حتى في الكتب الخيالية نفسها لم يكن من المستحيل العثور على أثر للمعارف الوفيرة عن جغرافية الشرق وتاريخه ، تلك المعارف التي استطاع بعضها الوصول عن طريق زوار الأماكن المقدسة او عن طرق اخرى : ونحن نعتقد عدم الاستهانة بتقدير الاتصالات التي حصلت في الأماكن المقدسة بين الغربيين والشرقيين التي جاء بعضها ممن جاءوا من اثيوبيا وجورجيا أو آسيا الوسطى للتبرك بقبر المسيح . ولكن مابدا لنا على الاخص قيما بالملاحظة هو الاهتمام الذي لا سبيل الى نكرانه بشؤون الشرق الذي يشهد عليه كل هذا الادب ، وكذلك التأثير الذي ولده ظهور المغول ، الذي جدد هذا الاهتمام ، وادى الى تنامي هذا « الاستشراق » في العصر الوسيط .

المعجم الميثولوجي

لطفي الخوري

ـ القسم الثامن ـ

(تابـع حـرف الباء)

بيس ـ Bes

قدم بيس الى مصر من السودان في عهد السلالة الثانية عشرة ،وتدل على أصله الاجنبي المنحوتات التي تمثله من الامام بوجه كامل ، على عكس بقية الاهة المصرية التي تصور نصفيا من الجانب ، ولعله بالاصل كان اله اسد . اذ له بعض مظاهر الاسد ، وصور في مصر دوما على شكل قزم بشع ضخم الراس ، بعينين واسعتين وخدين ناتئين ، لـه لحيـة كثـة ويتدلى لسانه الضخم من فمه المفتوح ، تغطي رأسه حزمة من ريش النعام ويرتدي جلد فهد الذي يتدلى ذيله خلفه ويبدو واضحا من بين ساقيه المشعرتين . ويقف ثابتا عادة ، ويداه على خصره ، وان كان احيانا يثب مرحا بطريقة خرقاء ، ويعزف على القيثار او يضرب على الدف ، او يلوح احيانا بخنجر عريض بطريقة مخيفة وخطرة .

كان بيس في البداية حاميا للبيت الملكي وعلى سبيل المثال ، كان احد الالهة التي حضرت ولادة حاشيبوت ثم تبنته عامة الناس واصبح احـد المعبودات الاكثر شعبية ، ويجلب بيس السعادة الى البيوت على اختلاف مستوياتها الاجتماعية، ويحرس العائلة ويشرف على الولادات والحمامات وادوات زينة النساء ، اذ كان اكبر صديق لهن يساعدهن عند الولادة ويحمي الطفل المولود حديثا ويصور غالبا راقصا حول الام الجديدة ، قارعا على طبل صغير او على دف ، ويرمي من وراء صراخـه والضوضاء التي يفتعلها ، اخافـة الارواح الشريرة . وكان حارسـا للنوم ايضـا مطاردا للاحلام المزعجة مرسلا النائم الى احلام لذيذة وهادئة .

لم يكن بيس حاميا ضد الارواح الشريرة فقط ، بـل كـان ضـد الحيوانات الخطرة ، كالاسود والافاعي والعقارب والتماسيح ، فمجرد وضع تمثاله في الدار ، تتجنب العائلة لدغات ولسعات هذه المخلوقات المهلكة .

بالاضافة الى هذا ، فقد كان بيس الاها مرح وفرح ، وكدلالة على ذلك ، فان عزف الموسيقى كان جزءا هاما في عبادته ، واخيرا صار حاميا للموتى جالبا لهم السلام .

(الميثولوجيا المصرية ــ (J. Viau : Egyptian Mythology.
(Veronica Ions : Egyptian Mythology

بيشامـــون ــ Bishamon

احد الهة الحظ السبعة ، وهو من اصل بوذي ، ويعرف احيانا بأسـم ملك الشمال الحارس ، وتمثله المنحوتات قابضا على رمح بيده اليمنـى وممسكا بمعبد صغير بيده اليسرى وهو واقف فوق قـوى الشـر) ان مايحمله بيديه يمثلان الرغبة في الجمع بين الحماسة في التبشير وصفات المقاتل .

(الميثولوجيا اليابانيـة ــ (Juliet Piggott : Japanese Mythology

بيشما ــ Bhishma

تجسيد لفاسو ، وتذكر ملحمـة المهابهاراتا بانـه الابـن الثامـن لشانتاني من زوجته كانكا ، وكان شانتانو ملكا على هاسيتينابور (دلهي) ومن سلالة سومافانسا (السلالة القمرية) .

نشأ بيشما تحت رعايـة ابيه بعـد ان تركته امـه كانكا ، ولمـا بلغ مبلغ الرجال أبدى مهارة عظيمة بفن الحرب .

وبعد مضي بضع سنوات رأى شانتو ساتيافاتي ابنة ملك الاسماك ، وكانت بارعة الجمال ، فوقع بحبها ، الا ان اباها لم يوافق على زواج ابنته الا بشرط أن يصير أبنها وريثا للعرش ، وهو شرط رفضه شانتانو اذ انه كان يحب ابنه بيشما حبا عظيما .

وذات يوم لاحظ بيشما اكتئاب والده وعندما استفر من حرس الملك عن حقه في العرش ، وعلى هذا يمكن ان تتزوج ابنته ساتيافاني من شانتانو الا ان ملك الاسماك لم يكن يريد ان يظهر أحد مدع بالعرش ذات يـوم وطلب من بيشما ان يظل اعزبا فوافق بيشما واقسم على ذلك عندئـــذ سلمت سيتافاني الى بيشما الذي جاء بها الى ابيه ، الذي قدر له هـذا العمل الكبير النبيل ، ودعاله بان لا يقهر ابدا .

ترك شانتانو ، بعد موته ، ابنا واحدا مات حالا بعد زواجـــه ، واستنادا الى تعاليم اليوگا ، اتصلت زوجتاه امبيكا وامبايكا مع الحكيم فياسا ألذي كان يتعبد في الغابة ، فولدت امبيكا دهريتار اشترا الاعمى اذ انها اغمضت عينيها عنـد اتصالها بالحكيم لبشاعـة شكلـه ، امـا امبايكا فقد شحب لونهـا عنـد اتصالها بالحكيم فولدت ابنها بانـدو الشاحب . وبعد موت پاندو الشاحب . وبعد موت پاندو كان ابناؤه صغارا فاصبح دهريتار اشترا وصيا عليهم وبيشما مستشارا .

ويلاحظ في المعركة التي دارت بين الباندافيين والكورافيين قـرب دلهي آن بيشما قاد جيوش الكورافيين ، واستنادا الى الاسطورة فـان بيشما لا يمكن ان يقتل الا على يد آرجونا اوكريشنا ، وكما كان كريشنا لا يمكن ان يحارب بسبب قسم كان قد اداه ، فلم يبق سوى آرجـونا ليؤدي هذا الواجب المؤلم ، وهكذا كان وصعدت روح بيشما الى السموات العليا .

(الميثولوجيا الهندية
(P. Thomas : Epics, Myths and Legends of India

بيشـــو Baishu

لاحظ شاب مثقف يدعى بيشو بركة جديدة اقيمت في ساحة معبد آماديرا في مدينة كيوتو وقرب منبع الماء الذي اعتاد الشرب منه ، كما لاحظ ، ولاول مرة ، لوحـة وضعت بالقرب من البركة وقد كتب عليها « مياه الولادة » ، وكذلك معبدا جديدا مكرسا للالاهة بينتين وبينما كان يفكر في هذه الحوادث ، رفرفت قطعة من الورق في الهواء واستقـرت عند قدميه وقد كتب عليها بخط انثوي جميل قصيدة حب مألوفة لديه .

اخذ بيشو قطعة الورق ودرسها بعناية ، كانت الكتابة متقنة للغاية واستنتج منها ان الكاتبة بارعة ومتمكنة ، فقرر الكشف عن شخصيتهـا

وان يتزوجها ، ولما كانت الورقة قد جاءت اليهعندما كان قرب معبد بينتين ذات مياه الدلالة في ساحة معبد آماديرا ،ذهب الى هناك ليطلب مساعدتها، ولم يكن هو اول من يصلي لها بحثا عن زواج سعيد ، ولم يكن كذلك آخر واحد .

وفي المعبد الذي كان اصغر من بناية آماربرا ، اقسم ان يصلي يوميا ولمدة اسبوع ، وان يقضي ليلة اليوم السابع ساهرا وقبل ان يبزغ فجر اليوم السابع ، سمع احدا يروم الدخول الى ساحة المعبد الرئيس ، ثم سمع صوت وقع اقدام تقترب من معبدبينتين الصغير ، واذا برجل عجوز وقر المظهر ينضم اليه ، ثم ظهر بعد ذلك شاب جميل انيق من خلف ستارة الحرم الداخلي ، وتكلم الشاب مع الرجل العجوز قائلا انه يريد مساعدته في سبيل زواج المعلمين المخلصين ، وبدون ان ينطق العجوز بكلمة ، تناول خيطا احمر من كمه وربط احدى نهايتيه حول بيشو المتعجب ووضع النهاية الثانية في لهب احد قناديل المعبد ، وعندما احترقت ذرها في الهواء ، وحال انتهائه من ذلك اذ بفتاة تدخل المعبد الصغير وتجلس بجانب بيشو ، كانت الفتاة تضع مروحتها على وجهها، لكنه استطاع ملاحظة جمالها الفاتن ، وتكلم الشاب مع بيشو مباشرة ولاول مرة قائلا له ان بينتين قد استجابت لصلاته وانه استعان بالرجل العجوز لتحقيق الزواج ، ثم اضاف ان الفتاة التي بجانبه هي كاتبة القصيدة التي عثر عليها ، ثم اختفى كل من العجوز والشاب والفتاة . وبقي بيشو وحيدا ، وكان النهار قد طلع ، ان هذه الكائنات الملائكية التي استخدمتها بينتين لهذا الغرض ليست شيطانية وليست من مملكة البحر .

وبينما كان بيشو في طريقه الى منزله ، تقابل مع فتاة عرف فيها انها الشبح الذي انضم اليه في المعبد ، فحياها لكنه لم يذكر اي شيء عن رؤيته لها قبلا ، وكانت الفتاة غير وجلة من ان يكلمها شخص غريب عنها وردت التحية بصورة طبيعية ، وسارا سوية نحو مسكن بيشو دون ذكر مقابلتها في المعبد ، ويبدو واضحا ان الفتاة لم تكن خائفة مما يجري ، بينما كان عقل بيشو يدور حول احداث الليلة الفائتة .

عند اقترابهما من بوابة منزله ، اعلنت الفتاة فجأة ان بنيتين قد جعلت منها زوجة له ، وعاشا سوية لبضعة اشهر كزوج وزوجة ، ولم يلاحظ جيرانهما اي تغيير في حياة بيشو ، وكأن الفتاة كانت غير مرئية

لهم ، اما بالنسبة الى بيشو فقد كانت حقيقة ، وكانا منسجمين تماما ، وقد أرضته بمفاتنها ورجاحة عقلها ، وكان هو مثقفا فكانا متناسبين تماما .

ذهب الخريف وحل الشتاء ، وبينما كان بيشو يتجول وحيدا في مناطق كيوتو التي لا يعرفها جيدا ، تقدم منه خادم طالبا منه المجيء معه لمقابلة سيده ، ولم يكن بيشو يعرف الخادم ولا سيده ، لكنه ذهب معه ، وتعجب بيشو عندما اخبره السيد بأنه يعرفهبكونه الزوج المستقبل لابنته ، وشرح له كيف ان رغبته في ايجاد زوج مناسب لابنته الوحيدة جعلته يرمي القصائد التي نسختها ابنته على جميع المعابد المكرسة لبنيتين في كيوتو ، بعد ان صلى للالاهة طالبا مساعدتها ، ثم ظهرت له بنيتين في الحلم قائلة له انها وجدت الزوج اللائق لابنته وان عليه ان يقابله في الشتاء القادم ، وقد ظهرت له بينتين ثانية في الليلة الماضية بينما كان نائما قائلة له ان زوج ابنته المستقبل سيمر قرب داره في اليوم التالي وان عليه ان يرسل بطلبه ، وقد وصفت له بدقة شكل الزوج ، وان الوصف يتطابق تماما مع بيشو ، وقبل ان يستطيع بيشو اخبار الرجل بانه متزوج ، فتح هذا بابا يؤدي الى الغرفة المجاورة ، وكانت هناك العروس منتظرة ولم تكن سوى الفتاة التي اتخذها زوجة له في المعبد .

اقيمت لهما حفلة زواج وكان زواجهما سعيدا تاما كما كان زواجهما الروحي ، ويلاحظ ان الفتاة لم تذكر اي شيء عن علاقتها السابقة مع بيشو ، اذ ان تلك العلاقة كانت علاقة روحها مع بيشو ، روحها المجسدة ، اما في زواجهما الثاني هذا فقد تم اتحادهما تماما ، روحا وجسدا، ومما لا شك فيه ان الالاهة بينتين كانتتريد اختبار بيشو كزوج قبل ان تزفه تماما الى الفتاة . اما السؤال حول كيفية تصرف الفتاة في بيت ابيها بينما كانت روحها متزوجة من بيشو ، فهو سؤال لا يمكن الاجابة عليه .(انظر بينتين)

(الميثولوجيا اليابانية ــ المصدر السابق)

البيضة الدنيوية

هي البيضة الذهبية وتصف لنا اليها كياتا البيضة .

الدنيوية كما يلي : «يقال ان البراكريتي (أي الطبيعة) هي اساس السجايا الثلاث ، ساتوا وراجاس وتاماس التي كانت بالاصل في حالة سلبية كامنة، لكن عن طريق اثارتها بواسطة قدر المخلوقات الذي لا يقاوم ، اشرف الشخص الاول على البراكريتي وكالا (اي الزمن) وجاء منشأ الماهاتاتوا الى الوجود ، ومنه وبعد عمليات طويلة ظهر التانماتراس ، وعندما توحدت

هذه القوى الالهية ، ولدت البيضة الذهبية ، ورقد رب الكون على تلك البيضة لاكثر من الف سنة ، وكان الكون خاليا من أي مخلوق حي وهو مضطجع على سطح البحر . وبينما كان الرب مضطجعا بذات نفسه ، انبثقت من سرته زهرة لوتس ذات لمعان براق يساوي لمعان بريقها الف شمس سوية ، كانت زهرة اللوتس هذه هائلة الحجم بحيث يمكن ان تستوعب جميع المخلوقات ، ومن زهرة اللوتس هذه برز براهما للوجود ، المخلوق بذاته، ولما كان قد وهب سلطات الواحد المبجل المضطجععلى الحياة خلق براهما جميع الكائنات واختار لكل منها شكلا واسما . (انظر براهما) (الميثولوجيا الهنديــة ـــ

(P. Thomas : Epics, Myths and Legends of India

بيليروفون ـــ Bellerophone

كان لسيسنوس ابنا يدعى كلوكوس اساء الى أفروديت ، وخلال مراسيم جنائزية ، داسته خيوله التي اهاجتها الالاهة انتقاما فقتلته ، بعد هذا ظل كلوكوس يخيف الخيول . وكان لكلولوس ابنا يدعى هبيونوس الذي اشتهر بأسم بيليرونون بعد قتله لبيلبروس الكورنتي ، وتكفيراً عن هذه الجريمة، ذهب بيليروفون الى قصر بروتوس ملك التيريتيين، فوقعت ستينيبيا زوجة الملك بحب البطل ، لكن بيليروفون سخر منها ، فاخبرت زوجها بانه حاول اغرائها . لم يستطع الملك قتل الرجل الذي هو ضيفه ، بدلا من ذلك ارسله الى والد زوجته ايوبيتز مع رسالة مقفلة تحتوي على حكم اعدامه . قام ايوبيتز بارسال بيليروفون في مهام شاقة متعددة ، على أمل ان يهلك في محاولاته تنفيذها . فأمر بيليروفون اولا مقاتلة المسخ كيميرا كان لدى بيليروفون حصانا مجنحاً عجيبا يدعى بيكاسوس مولد من دم الكورگون والذي نجح في ترويضه بواسطة لجام ذهبي وهبته له الالاهة اثينا فأمتطى بييروفون بيكاسوس وطار فوق كيميرا ثم ملأ فك المسخ بالرصاص فانصهر الرصاص في اللهيب الذي قذفه كيميرا واهلكه .

ثم انتصر بيليروفون علــى قبيلتي السوليما والامازون المتوحشــة وتجنب بنجاح اثناء عودته كمينا نصبه له ايوبيتز ، فأعجب هــذا كثيرا بالبطلوزوجه ابنته. كانتنهاية حياة بيليروفون مأساوية، فقد قتل والداه لاوداميا واساندروس ، قتلت ارتيميس الاول ، وقتل اريس الثاني ان بيليروفون نفسه حاول الوصول الى الاليميوس على حصانه الطائر ، لكن زيوس قذف به الى الارض واصبح اعرجا نتيجة سقطته. وصار بيليروفون

مكروها من قبل جميع الالهة ، وهام على وجهه في الارض ، وحيدا يأكل قلبه البؤس والتعاسة ، متجنبا مساكن البشر .
(الميثولوجيا الاغريقية ـ (F. Guirand : Greek Mythology

بيمبيسارا ـ Bimbisara

ملك راجاكربها ، من المدن التي زارها بوذا وسكن فيها لفترة من الزمن ، حيث قام الملك بأحاطة بوذا بحاشية من مائة وعشرين الف رجل ، واعتنق الملك واغلب حاشيته البوذية ، وبقي بيسمبيارا صديقا لبوذا طيلة حياته ، وكان حاميا للبوذية .

(الميثولوجيا الهندية ـ (P. Thomas : Epics, Myths and Legends of India

بينتين ـ Benten

هي الانثى الوحيدة بين آلهة الحظ ، وتنسب لها العديد من المآثر ، بالاضافة الى مركزها المرموق باعتبارها الآهة البحر ، كما انها راعية الاداب والموسيقى ، هذا وباضافة الى ذلك فانها تعتبر مانحة المغنى والسعادة العاطفية . وازدادت عبادة بينتين شعبية منذ القرن الثاني عشر ، وكان ذلك على الاغلب نتيجة مقابلة كيوموري لها في البحر ، يبـدو ان البحر كان موطنها ، ويعتقد انها ابنة الملك التنين في شكله البشري مرتديا تاجا تعلوه أفعى . ولاشك أن صراع توارا تودا مع الملك التنين ، تلك الحكاية التي تضم ابنه الملك لها علاقة وثيقة مع بينتين ، ولم يتزوج البطل البشري من الابنة ، الا انه تلقي الكثير من الفوائد والمساعدات بعد قتله ام سبعة وسبعين العملاقة .

لمدنيتي كيوتو وكاماكورا وخاصة جزيرة اينوشيما التي تقع على مقربة من الساحل قرب عاصمة يوروتومو ، علاقة وثيقة مع بنيتين ، كما لها معبد مقام على الجزيرة او (شبه الجزيرة عند المد) ، ويبدو ان ارتباط بينتين مع التنانين والبحر بلغ وجه في اينوشيما ، وبالواقع ان مظهرها ممتطية التنين او يحرسها تنين له علاقة بحكاية اينوشيما اكثر من علاقته بابيها . وهناك حكاية تقول ان تنينا كان يسكن على الساحل قرب الرمال التي تربط الآن الساحل مع الجزيرة اثناء المد وقبل ظهور اينوشيما ، كان معتاداً على أكل اطفال القرية التي تعرف الآن باسم كوشيكو .

وفي القرن السادس تسببت هزة أرضية في انفجار ابنوشيما، وظهرت بينتين في الفضاء ، ثم وقفت على الجزيرة وتزوجت من التنين ، وتسبب هذا الزواج في توقف التنين من اكل لحم البشر ، وفي نص آخر نجد انها تزوجت احد الملوك التنانين بلد تودده لها بصورة مخلصة ومتواصلة وكان قبيحا جدا وله شكل افعوان . كما يقال ان الكهف الموجود الآن في انيوشيما هو مسكن التنين او زوج بينتين الافعوان ، ويقال ايضا ان هناك نفقا تحت الارض يربط الكهف وقاعدة جبل فوجي .

تمثل الرسوم والصور بينتين ولها ثمانية اذرع كل اثنين منها مطوين للصلاة ، وتمثل في شكلها هذا كوانون الآهة الرحمة وتظهر بعض الصور أذرعها سوية في المعابد على هذا الشكل ولها مظهر رحيم لاشك فيه ، وتستخدم بينتين أفعوان ابيض كرسول لها .

(الميثولوجيا اليابانية ـ Juliet Pigott : Japanese Mythology)

بينو ـ Bennu

طائر مقدس ، وبالرغم من انه طائر خرافي الا ان الاقدمين لم يشكوا في حقيقته ، وعبد بينو في هليو بوليس باعتبار روح اوزيريس ، كما ارتبط بعبادة رع ايضا ولربما كان شكلا ثانويا لرع واعتبر مشابها للفضاء الا ان الامر غير مؤكد ، ويشبهه هيرودوتس بالعنقاء الذي يشبه العقاب شكلا وحجما ، بينما شكل بينو أقرب الى مالك الحزين أو طائر الزقزاق .

وبينو تجسيد الشمس كما ظهرت في لحظة الخليقة واستقرت على صخرة البينبين ، وترمز صخرة البينبين هذه الى اشعاع الشمس وهي الموقع الاكثر قداسة في معبد رع في هليوبولنيس ، نمسك اوجهها المطلية بالذهب شمس الصباح وتعكسها ، ويقال ان موقع المعبد هو في التل الاصلي نفسه ، وان بيت البينبين كان في مركز التل .

خلق بينو من النار التي اشتعلت عند الفجر في شجرة الغار في هليو بوليس ، وهناك قول يقول انه انبثق من قلب اوزيريس ، اوقيل بينو على شكل صقر ذهبي هائل الحجم له راس مالك الحزين ، وشبهه الاغريق بالعنقاء وهو عقاب له اجنحة حمراء وذهبية ، واستنادا الى ماذكره هيرودوتس كان طائر البينو ولد في مراعي المعبد ، لكنه نادرا مايشاهد هناك ، اذ لا يظهر الا مرة واحد كل خمسمائة سنة ، جالبا معه جثمان والده الى المعبد داخل بيضة مصنوعة من المر .

ويقال ان العنقاء لايظهر في مصر الا مرة واحدة كل خمسمائة سنة وعندما ولد العنقاء في اعماق البلاد العربية طار بخفة الى معبد هليوبوليس ومعه جثمان والده مضمخاً بالمر حيث دفن هناك بكل سلام .

(الميثولوجيا المصرية ـ

(Veronica Ions : Egyptian Mythloogy

(J. Viau : Egyptian Mythology

بيهولا ـ Behula

زوجة لاكشمبندرا بن جافد التاجر ، كانت بيهولاذات جمال نادر، وجهها كزهرة لوتس منفتحة ، وينسدل شعرها حتى كاحلها ، له نهايات ذات عفص جميلة ، لها عينــا غزال وصوت عندليب ، ترقص احسن من اية فتاة في مدينة جامباكاناكار . (انظر لاكشمبندرا وجاند) .

(الميثولوجية الهندية ـ)

(P. Thomas : Epics, Myths and Legends of India

بيوولف ـ Beowulf

ملحمة شعرية انكلو ـ ساكسونية كتبت حوالي سنة ١٠٠٠ بعد الميلاد ، وهي قصيدة كاملة تحكي قصة الملك البطل بيوولف الاسكنديناڤي وما آل اليه مصيره ، وتتضمن معلومات عن الماضي البطولي واسلوب الحياة في شمال اوروبا قبل المسيحية ، وتحكي القصيدة عـن الصراع الذي نشب بين بيوولف والتنين المرعب الذي قام بحرق بيوت الناس على رؤوسهم بنار تخرج من منخريه ، وتمكن بيوولف من انقاذ شعبه بعــد أن قتل التنين الا انه مات بعد ذلك متأثرا من انفاس التنين الحارقــة وانيابه الحادة (الميثولوجيا الاسكنديناڤية ـ

(H.R. Ellis Davidson : Gods and Myths of Northern Europe)

(H.R. Ellis Davidson : Scandinavian Mythology

(حرف الـ « پ »)

پــابيل ـ Pabil

ملك اوروم (او آروم المدينة التوراتية التأريخية كما يظن بعض الباحثين) وتقول الاسطورة ان كيربت ملك هوبور (أوخابور) فقــد زوجته واولاده وقصره ، وأخذ يندب حظه ، فأمره الاله ايل في الحلم ان يكف من العويل ويرتقي برجا عاليا ويقدم ضحية للاله ، وان عليــه

ان يغزو مدينة اوروم وسيقوم ملكا بابيل بمحاولة شرائـه مقابل ثروة ضخمة وان عليه ان يرفض هذا العرض ويطلب تزويجه من (حرية ـ هوريا) ابنة بابيل ، ونجح كيريت باجبار بابيل وتزوج من ابنته . (انظر كيريت)

(الميثولوجية الاوگاريتية ـ
(S.H. Hooke : Middle Eastern Mythology

پاپسوگــال ـ Papsukkal

وزير الالهة العظام الذي اعلن مايسببه غياب عشتار في العالم السفلي اذ سوف تتوقف الخصوبة الجنسية لدى البشر والحيوانات على الارض (انظر عشتار) .

(الميثولوجية البابلية ـ المصدر السابق .

پاتوبكيا ـ Patobkia

كبير سحرة مملكة الموت في اساطير امريكا الجنوبية ، الذي يستقبل الموت ويتجول بهم في مملكة الموت ويعلمهم كيفية العيش فيها .

(ميثولوجية امريكا الجنوبية)
(Harold Osborne - South American Mythology

پا چاياچاچيك ـ Pachayachachic

الخالق في لغة الهنود الحمر في امريكا الجنوبية وفي اساطيرهـــم وترجمته (معلم العالم) ، كما يطلق عليـــه اسم تيكي فيراكوچا ويعني (الآله الذي فوق معرفة البشر) (ميثولوجية امريكا الجنوبية ـ المصدر السابق) .

پاراسورامــا ـ Parasurama

تجسد من تجسدات فيشنو العشرة الاكثر شهرة ، ويشير هذا التجسد الى الصراع الطائفي بين الابراهمينيين والكشاتريا ئيين وكان النصر فيه حليف البراهمينيين ، ويقال ان فيشنو ولد كبراهميني ليبـــيد الكشاتريائيين الذين تجبروا وبدأوا بأضطهاد البراهيميين (انظر تيشنو)

(الميثولوجيا الهندية
(P. Thomas : Epics, Myths and Legends of India

پــارفــاتي ـ Parvati

زوجة شيفا ، ولدت ساتي مرة اخرى باسم أما (او پارفاتي ، ابنة هاميڤان (الهملايا) ومينا وكانت بارعة الجمال كثيرة الوثوق من زوجها الذي

حزن لموتها حزنا شديدا ، ولهذا انصرفت للغناء والرقص وقضت معظم وقتها في تزيين نفسها بالازهار والحلي على امل ان يتودد لها شيفا في الوقت المناسب الا ان ظنها قد خاب ، فالاله العظيم الجالس على جبل كيلاس ظل مستغرقا في التأمل ، لقد فقد كل رغبة في صحبة النساء ، وكان كثير السرور بحياة التنسك والزهد التي يعيشها ، وعندما رات اما ان جمالها لم يجذب انتباه شيفا ، عملت على الفوز بعطفه عن طريق التقوى، وبدات بعبادة تمثاله بكل اجتهاد وفشلت في هذا ايضاً اذ بقي شيفا غير ملتفت الى كل هذه الابتهالات الصادرة من متعبدته . عندها تركت العالم مزدرية بالجمال المادي وبدات تمارس اعمال التكفير بشدة وتصوم عن الطعام ، وعاشت على الهواء وظلت في الماء المثلج لايام وليال وفعلت اشياء اخرى كثيرة وذات يوم وبينما كانت واقفة على ساق واحد رافعة ذراعها اليسرى ، ظهر امامها براهميني قصير القامة وسألها ، لماذا تعذب جسمها الجميل هكذا ، فاخبرته انها تحب شيفا وتريد الزواج منه ، وضحك منها ابراهميني وسألها عما اذا كانت تعلم ان شيفا قبيح الوجه وشحاذ متجول لا مسكن له ، وانه ذو عادات قذرة وساكن مقابر ، وانه بالاضافة الى ذلك إله عجوز سيء الخلق . فكانت اما انها تعرف كل ذلك واكثر منه ودافعت عن عظمة شيفا ، لكنها لم تكن صنواً للبراهميني الذي وصف عادات شيفا بكثير من الفضاعة بحيث لم تستطع اما الاستماع اكثر لمثل هذا التجديق فسدت عينيها بيديها وصرخت بالبراهميني ، وفي هذه اللحظة وقف البراهميني امامها بشكل شيفا وهو يبتسم ، فركعت اما وتعبدت له ، فاخذها من يدها قائلا لها لاحاجة بعد للاستمرار بالتأمل وارسلها الى ابيها ، وذهب شيفا الى هيمافان وتزوج من اما حسب الشرائع السائدة .

عاشت اما مع زوجها على جبل كيلاس ، ووصفتها البورانات بانها زوجة مثالية اسعدت شيفا بصحبتها السارة جدا واحاديثها العذبة ، وكان يحدث بينهما احيانا خصام عائلي ، فذات يوم على سبيل المثال — وبينما كان شيفا يقرأ لزوجته ويفسر لها بعض المسائل الفلسفية العريقة، شعرت أما بالنعاس وعندما سألها الاله العظيم عن استحسانها لتفسير النص التفت ناظرا اليها فرآها وقد احنت راسها من النعاس ، فوبخها على عدم انتباهها الا ان اما تظاهرت بانها كانت منتبهة اليه وانها اغلقت عينيها للتمعن اكثر بمعاني كلماته ، عندها سالها شيفا ان تكرر آخر الكلمات التي فاه بها فلم تستطع پارڤاني المسكينة ان تفعل ذلك وضبطت بالجرم المشهود ، فلعن الاله الغاضب زوجته بان تصير امرأة صياد سمك، فسقطت پارڤاتي حالا من كيلاس الى الارض كفتاة صياد سمك .

قرر شيفا نسيان مثل هذه الزوجة غير المهتمة ، فواصل ممارسة حالة اليوگا وبدأ بالتركيز في التأمل انه وجـد صعوبـة في الاستغراق بتأملاته وراحت افكاره نحو پارڤاتي ، وعاود المحاولة ثانية للتركيز الا انه فشل ، واخيرا بدات افكاره نحو پارڤاني تعذبه فقرر استعـادة زوجة المفقودة ، فطلب من خادمه ناندي ان يتحول الـى سمكة قرش ويمزق شباك الصيادين الذين تعيش پارڤاني بينهم .

التقط كبير صيادي الاسماك پارڤاتي عند سقوطها على ســاحل البحر بشكل فتاة صغيرة ورباها كأبنة له ، وكانت غاية في الجمــال وعندما اصبحت في سن الزواج ، تمنى كل الصيادين الشباب الزواج منها ، وفي هذا الوقت اصبحت تصرفات ناندي لا تطاق ، فاعلن كبير الصيادين بانه سيزوج ابنته للشخص الذي يستطيع الامساك بالقرش ، وكان شيڤا في انتظار هذه الفرصة فتقمص شخصية صياد سمك وقبض على القرش بكل سهولة عندها تزوج من بارڤاني وعادا معا الـى جبل كيلاس .

اتفقت جميع الروايات التي وردت في البورانات على الاخلاص المتبادل في الحياة الزوجية لكل من شيڤا وبارفاتي ، وبأنها مثال لمستوى العائلة البشرية ، وكانت پارڤاتي اما رؤوماً وزوجة حصيفة وان كانت حازمة احيانا ، وكغيرها من النساء كانت حكيمة وحمقاء في نفس الوقت (انظر شيڤا) .

(الميثولوجيا الهندية ـ المصدر السابق) .

پاريجاتا ـ Parijata

شجرة اسطورية نبتت من بحر الحليب وزرعها انيدرا في حديقة، كان لحاء الشجرة من الذهب مزخرفة باوراق ذات براعم صغيرة بلون النحاس ، تحمل اغصانها العديد من عناقيد الاثمار العطرة :

پاريــس ـ Paris

بينما كانت الالهة مجتمعة ذات يوم فوق جبل الاولمب ، لم يدع لهذا الاجتماع الآلهة ابريس ، فغضب وقذف الى قاعة الاجتماع بتفاحة ذهبية كتب عليها :، « الى أجمل واحدة » فادعت كل من هيرا واثينة وأفروديت ان التفاحــة لها ، ولحل الخصام بينهن أمر زيوس ان يحكم

بينهن واحد من البشر ، فاستقر الراي على باريس ابـن الملك بام ملك طروادة ، فصحب جميس الالهات الثلاث الى فريجيا حيث كان باريس يرعى ماشية والده على سفوح جبل ابدا ، فارتبك باريس ارتباكا شديدا وحاول الرفض ، لكن كان عليه ان يخضع لارادة زيوس كما اخبـره بذلك هيرميس ووقفت الالهات الثلاث الواحدة بعد الاخرى امامه ، وحاولت كل منهن التأثير على قراره وذلك باستغلال قواهن السحرية ووعودهن الخلابة ، فقالت هيرا : « ان منحتني الجائزة فساجعـل منك سيدا على آسيا باجمعها ، ووعدت اثينة ان تجعل من الراعي الشاب منتصرا في جميع المعارك ، اما افروديت التي لاتستطيع تقديم السلطة او الانتصار ، فقد عمدت بكل بساطة على فك المشبك الذي يربط ردائها وحلت زنارها ثم وعدت باريس ان تزوجه اجمل امراة على الارض عندها صدر القرار ومنح راعي جبل ابـدا التفاحة الشهية لافروديت وبهذه الطريقة حصل باريس على هيلين زوجة مينيوس ، الا ان كل من هيرا واثينة لم تغفر له الجرح الذي اصاب كرامتهما ، وانتقمتا لنفسيهما شر انتقام وذلك بتسليمهما بلاده وعائلته وشعبه للهلاك ، وعملتا ان يقع هو نفسه تحت اسنة حراب الاغريق .

(الميثولوجية الاغريقية ـ)
(F. Guirand : Greek Mythology

پارياكاكا ـ Pariacaca

في عهد حاكم بدائي يدعي پورونپاچا الذي جاء بعد الطوفان ،وعندما لم تكن هناك سلطة مركزية ، بل تختار كل جماعة الرجل الاقـــوى من بينها كزعيم لها ، ظهرت خمس بيضات كبيرة على جبل يدعى كوندور كوتو ،وفي احدى هذه البيضات كان الآله پارياكاكا .

خرجت من هذه البيضات خمسة صقور تحولت الى رجال ، فكانوا پارياكاكا واخوته ، وتجولوا صانعين الاعاجيب ، من بينهـــا ماقام به پارياكاكا الذي أثار عاصفة وطوفانا دمرر تامتانامكا وعائلته .

قرر پارياكاكا ان يجرب قوته ضد منافسه الاله هولا لو كارينچو فذهب باحثا عنه كانت قوة پارياكاكا تتمثل بالريح والمطر والطوفان ، وفوكارينچو بالنار ، واجتاز في طريقه قرية تدعى هو گهوسا متنكـرا بزي رجل فقير ، فلم يستقبله اهلها سوى امراة فتية قدمت له شراب الچيچا ، وعلى هذا فقد دمر القرية بالامطار والفيضان بعد ان حذر المرأة

وعائلتها الذي تخلصوا من الكارثة ، ثم قهر هولا لو كارينچو وجعل يهرب نحو غابة الافرون .

الا ان كارينچو الذي تظاهر بالهروب نحو الغابة ، فقد حـول نفسه الى طير واختفى على جرفي جبل تاسيلوكا ، وفي هذه المرة قام ابناء پارياكاكا الخمسة باكتساح الجبل بعاصفة قوية وببرق ورعــود مما اضطر كارينچو للطيران ثانية ، الا ان ترك خلفه افعى ضخمة ذات رأسين حولها پارياكاكا الى صخرة واشرت مطاردة كارينچو مما اضطره الاحتماء بالغابة فعلا ، وعاد ابناء پارياكاكا الى جبل لامالاكو حيث استدعوا جميع الناس اليهم واسسوا هناك عبادة پارياكاكا .

(ميثولوجية جنوب امريكا

(Harold Osborne - South American Mythology

پان ـ Pan

انتشرت عبادة الاله پان في اقليم اركاديا ، ولهذا فقد جعل ابنا لهيرميس الاله الاركاري العظيم ، واما والدته فهي اما انها كانت ابنة الملك دريوپس الذي رعى هيرميس ماشيته او بينيلوب التي تقرب منها وهو على شكل ماعز ، وقد جاء پان نفسه الى العالم بساقي ماعز وقرنيه ولحيته .

اقترحت العديد من التعاليل لاصل اسم پان وربطته الاشعار الهومرية بالنعت الذي يعني « جميع » بحجة ان مظهر پان في الاليمب كان يسر « جميع » الخالدين ، واستشهد بنفس التعليل الميثولوجيون من اتباع مدرسة الاسكندرية الذين اعتبروا پان رمزا للكون ، ووجد موللر ان هناك علاقة بين پان والكلمة السنسكريتية « پافانا ـ Pavana اي الريح معتقدا ان پان كان تجسيدا للنسيم الهادي ، وفي رأينا ، على كل حال ، يبدو ان الاسم في الغالب جاء من الجذر الذي يعني « يأكل» والذي اعطى للغة اللايتنية الفعل « پاسيري ـ Pascere » اي « يرعى او كلأ » . ومما لاشك فيه ان پان كان اله راع قبل كل شيء الاله الغابات والاعشاب وحامي الرعاة والمواشي ، وقد عاش على سفوح جبل مينالوس او جبل بيكارس في الكهوف حيث يأتي رعاة اركاديا لعبادته وكان يجعل من ماعزهم وانعاجهم كثيرة النسل ، ويمكن الصيادين من اقتناص الحيوانات الوحشية ، وعندما لاينجحون في الصيد كان يسوطون قتاله انتقاماً منه ويبتهج پان بالتجوال في الغابات يمرح مع الحوريات اللواتي يفزعن من منظره ، وذات يوم كان يطارد فيه الحورية سيرينكس واوشك

على الامساك بها ، عندما صرخت منادية والدها لادون اله النهر ليحولها الى قصبة واستجيبت صلاتها ، وداس پان نفسه بقطع بضع قصبات صنع منها مزمارا من نوع جريد مسحبا اياه سيرينكس او مزمار پان ، الا انه نجح مع الحورية بيتيس التي فضلته على بورياس اله الريح الشمالية القاسي الذي غضب منها ومسك بها راميا اياها على صخرة حيث تحطمت احلامها ، فاشفقت عليها الالاهة جيا وحولتها الى صنوبرة ، ويقال ان پان نجح باغواء سيليني الالاهة القمر ، اذ تخفى في جزة صوف شاه شديدة البياض واخذها معه الى الغابة ، او انه اتخذ شكل كبش ابيض .

اقتصر وجود پان على اركاديا لفترة طويلة ، ثم تسلل الى اتيكا خلال حروب الفرس ، وقبل فترة قصيرة من معركة ماراثون ظهر للسفراء الذين ارسلهم الاثينيون الى سبارطة ووعدهم بانه سيهزم الفرس ان وافق الاثينيون على عبادته في اثينا ، وكعرفان للجميل اقاموا له معبدا في الاكروبوس فانتشرت عبادة پان في بلاد الاغريق كلها منذ ذلك الحين .

(الميثولوجية الاغريقية ـ
(F. Guirand : Greek Mythology

پانچالي (او دروپادي) ـ Panchali (Draupadi)

هي الزوجة المشتركة لجميع الپانداڤايين ، وقد اشتق اسمها پانچالي من اسم مملكة ابيها پانچالا (أو الخمسة) ، كما ترويها الاسطورة التالية :

ربح ارجونا زوجته دروپادي (پانچالي) في سباق رمي خمسة اسهم من خلال خاتم ، وقد اقيم اجتماع في بلاط پنچالا لغرض ان تختار دروپادي زوجها الذي يشترط فيه رمي خمسة سهام من خلال خاتم ، وقد فعل ارجونا ذلك وذهب بها الى امه كونتي التي طلبت منه ان يشاركه فيها اخوته كما جرت العادة ان يشارك الجميع فيما يربحه الاخرون وهكذا اصبحت پانچالي او دروبادي زوجة جميع الباندافايين . (انظر آرجونا) .

(الميثولوجية الهندية ـ
(P. Thomas : Epics, Myths and Legends of India

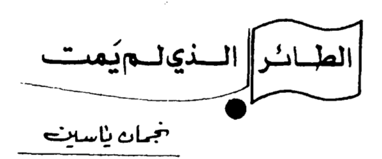
پانچاتاتوا ـ Panchatatwa

اي التاتوات الخمس . بينما تغطى عبادة الجنس بصيغ محتشمة بشكل عام ، ويتبع انصارها رمزيا هذا المعتقد ، علينا ان نذكر ان هناك طائفة « العسر » من الساكتائيين يعبدون الجنس واقعيا ، وقد بقي هذا

المعتقد من اكثر اسرار هذا الدين سرية ، ولاسباب واضحة فليس بالامكان الحصول على وصف موثوق به الطبيعة الحقيقية لهذه الاسرار ، ويعرف كتابهم المقدس الذي يبحث في هذا الفرع من الهندوسية باسم تانترا، ويأمل التانتاريكيون (وهو الاسم الشعبي الذي يعرف به « العسر » الساكتائيون) الحصول على الخلاص بواسطة البانچاتاتوات ، وتسمي العامة البانجاتوات بالميمات الخمس (الماكارت) ، ان الميمات هي حرف (م) وهو الحرف الاول من كل كلمة) وهي : ماديا (اي الخمر) و مانسا (اي اللحم) وماتسيا (اي السمك) ومودرا اي الاذرة) و ميثونا (اي الاتصال الجنسي) .

ان المبدأ الذي تتضمنه عبادة البانجا تاكوا يسير على قاعدة ان السم هو ترياق للسم ، وان على البشر ان ينشأوا بواسطة الاشياء الحقيقة التي خلالها فقدوا رجولتهم احيانا ، وقد افادت الكهولا رنافا تانترا « عندما يسقط احدهم على الارض يجب ان يرفع نفسه بمساعدة الارض . ان الرموز المختارة هي شديدة الوضوح : « الخمر هو دواء مبدد للهم ومصدر للمرح ، واللحم مغذ للجسم ، السمك العطاء المزيد للقوة المنتجة ، الاذرة من التراب ، واخيراً الاتصال الجنسي الناطق بالحب وسعادة الخلق » .

ان التانتريكيين لا يعترفون بالطائفية . فالجميع سواسية امام الالهة «الميثولوجية الهندية . المصدر السابق) .



الطائر الذي لم يمت

نجمان ياسين

« حكاية افريقية »

هل هناك ما هو اغرب من طائر يغني دوما ولا يموت ؟

وقعت احداث هذه الحكاية في جزء من جنوب افريقيا ، حيث كانت تعيش قبائل كافير في بيوت طينية صغيرة ذات سقوف مصنوعة من اغصان الاشجار اليابسة .

في بيت من هذه البيوت ، عاش رجل يدعى بونو ، في الواقع واذا توخينا الدقة ، كان بونو يمتلك بيتين خصص كل واحد منهما لزوجة . كانت الزوجة الكبيرة هي الاولى ، وكانت سعيدة بطفليها الجميلين ، ولانها قد انجبت لبونو هذين الطفلين فقد صارت اثيرة عنده .. ولكن زوجته الكبيرة هذه كانت غيورة جدا من زوجته الصغيرة الثانية التي كانت جميلة واكثر قوة وعافية من الاولى اذ اعتادت ان تطحن حبوب الحنطة وتجلب الحطب من الغابة بشكل اسرع من الاولى ، وكان بونو يمتدحها كثيرا لخفتها وحركتها الرشيقة . ذات يوم خرجت الزوجتان الى الغابة لجمع الحطب المستخدم في الطهي ، وعملتا طوال النهار ولما اقترب المساء جلستا للراحة ، واثناء ذلك اقبل دليل المناحل وهو طائر يقـود الناس الى اوكار النحل ، اقترب الطائر من الزوجـة الصغيرة وبدأ يدور حول رأسـها ويغرد أحلى الانغام ثم عاد الى الغابة . صاحت الزوجة الصغيرة بفرح وغبطة مناديـة الزوجة الكبيرة .

ـ انه دليل المناحل وسيدلني على شجرة النحل لجمع العسل ٠

وركضت الزوجة الصغيرة واثقة بأن هذا الطائر قد اختارها بالذات لانها كانت تلبس دائما تعويذة مصنوعة من ريش هذا الطائر ٠ تعويذة معلقة بسلسلة في عنقها وقد صنعتها لها عرافة القرية ٠

بدأت تجمع العسل ، حضرت الزوجة الكبيرة فقالت الصغيرة :

ـ هذه حصتك من العسل ، وهذه حصة الطائر ، ومن حصتي ساحتفظ لبونو بقسم منها ٠

لم تفرح الزوجة الكبيرة على الاطلاق لانها كانت تعلم ان زوجها يحب العسل كثيرا وعندما ستعطيه الزوجة الصغيرة منه سيحبها ويمتدحها أكثر ٠

وعندما كانت الزوجة الصغيرة تنظر باعجاب للنحل ، غافلتها الزوجة الكبيرة وسرقت حزمة النحل التي كانت ملفوفة بورقة خضراء كبيرة ، وحين ارادتا العودة لم تجد الزوجة الصغيرة الحزمة فتألمت كثيرا وقالت :

ـ سرقها ابن آوى ٠

فأومأت الزوجة الكبيرة برأسها موافقة ٠

وعندما عادتا الى البيت واقبل الزوج ورأى العسل عند الزوجة الكبيرة امتدحها كثيرا وشكرها على العسل وعلى اكتشافها شجرة النحل ، ولانه كان يعرف ان الزوجة الصغيرة اكثر نشاطا فقد توقع انها قد جلبت له عسلا اكثر ، ولكنها اخبرته انها لم تجلب سوى حزمة الحطب ٠

وهنا صاح بونو محتجا :

ـ لابد أن تكوني قد أكلت العسل كله !

فاجابته بالم وحزن :

ـ زوجي العزيز ، لقد وجدت شجرة النحل واكتشفت مكانها ، وقد حفظت لك حصتك من العسل ولففتها بورقة خضراء واعطيت للكبيرة حصتها وللطائر حصته ، ويبدو انني قد فقدت حصتنا او ان حيوانا وجده وأكله ٠

لم يقتنع بونو فبدأ يضربها بقوة على رقبتها فانقطعت السلسلة التي كانت تعويذة تحرسها واصبحت دونما حرس ٠

كان بونو قاسياً وعصبياً وحاد الغضب لان والده قد أطعمه في طفولته قلب اسد ولذا صار خشنا ، وتحت وطأة غضبه خرج في الليل البارد المعتم ووضع الزوجة الصغيرة في حفرة تحت الارض ، ولم يلاحظ بونو ماذا حدث في البيت عندما أخذت تعويذة زوجته الصغيرة تمشي على الارض وان روحها قد دخلت في هذه التعويذة وبدأت تسير ببطء ثم تحولت الى طائر حلق بعيدا في الخارج .

وبعد أن انتهى بونو من ذلك ، فكر بأن يذهب الى والد زوجتـــه الصغيرة ويستعيد منه الثيران التي كانت مهر الزواج .

قال بونو لنفسه :

– سأذهب الى والدها واخبره بأنها قد هربت مني وسأطالبه ان يعيد الثيران لي .

كان بونو يسير صوب والد زوجته الصغيرة ، وفجأة طار بالقرب منه طائر صغير يخرج اصواتا موسيقية فاعتقد للوهلة الاولى ان هذه الاصوات هي صوت الرياح المحيطة بذنب الطائر ، كان ريش الطائر على شكل قيثارة قديمة والموسيقى تصدر عنه اذ يحلق في الهواء .

بغتة سمع بونو كلمات تصدر مع هذا النغم الموسيقي ولم يصدق ولكن الكلمات كانت واضحة وعالية ، كانت الكلمات تقول :

انا زوج بونو الصغيرة
لاجل القليل من العسل
أودى بحياتي وقتلني

شعر بونو بالخوف واراد ان يمنع الطائر من هذه الكلمات خوفا من ان يسمعها احد المارة . فأخذ عصاه وسدد ضربة عنيفة اوقعت الطائر على الارض . فسحبه ودفنه ثم شعر بالامن والسكينة . وواصل رحلته . لم يسر بونو الا قليلا عندما ابصر الطائر يحلق فوق رأسه يردد :

انا زوجة بونو الصغيرة

لاجل القليل من العسل

قتلني

قال بونو لنفسه : هذه المرة سأجعله يموت .

اقترب من الطائر وضربه بقوة على رأسه فسقط على الارض ، ومن اجل ان يبقى الطائر ميتا وضعه في حقيبة التبغ ولف الحقيبة بدقة وعلقها في حزامـــه .

لم يشعر بونو بأي قلق عندما وصل الى بيت اهل زوجته الصغيرة ، وفي الطريق سمع غناء وفرح اذ كانت تقام حفلة كبيرة في بيت والد زوجة بونو الصغيرة ، وكان الطعام والشراب يقدمان للضيوف بسخاء وكرم .

قال والد زوجة بونو الصغيرة :

تفضل يا بونو وارقص معنا ، كيف حال ابنتي الصغيرة ولماذا تركتها في البيت ولم تأت بها ؟

فأجابه بونو :

– سنتحدث عن هذا فيما بعد .

ولما كان بونو يحب الرقص والشرب فقد بدأ يرقص ويشرب ولم يشعر به احد كقاتل .

سحب الوالد يد بونو وقال له :

– سوف نتحدث الان يا بونو ، اين هي ابنتي ولما لم تأت معك ؟
تظاهر بونو بالحزن وقال :

– ان ابنتك لم تعد زوجتي الان اذ قد ذهبت وغادرت بيتي ولا اعرف اين هي الان . وقد جئت لاطالبك بالثيران التي اهديتك اياها كمهر لها ، اوشك بونو أن يأخذ الثيران ويقنع الجميع لولا ان والد زوجته طلب القليل من التبغ ليضعه في غليونه ويدخن ، ودون ان يفكر بونو ماذا يفعل ، اخرج حقيبته الصغيرة التي تحتوي على التبغ وفتحها وقبل ان يغلقها طار فجأة الطائر الذي في الحقيبة ولم يعد ميتا ، وحلق في الهواء ثم اقترب من رأس بونو وأخذ ينشر بأسى الكلمات السابقة الشنيعة .

سمع الوالد والناس تلك الكلمات . كان صوت الطير واضحا ومسموعا من قبل الجميع بل انه اضاف جملة : أخذ حياة ابنتك .

عرف الوالد ما تعني هذه الكلمات فأعطى لبونو فرصة الدفاع عن النفس الا ان الاخير صرخ مهتاجا :

– انا لا اعرف ما يعني هذا الطائر ان هذا الطائر لا يعرف شيئا . كان الجو مظلما جداً عندما دفنت زوجتي .

بعد ذلك لم يسمع احد لا في القرية ولا في أي مكان أي خبر عن بونو . ولم يره احد مرة اخرى !

ولا تصنع المعروف في غير اهله

○ قاسم حميد صالح ○

كان لاحد الشيوخ ويدعى الشيخ حمدان فرسا لايضاهيها حصان في جمالها ورشاقتها ولا في سرعتها ، فقد كانت اسرع فرس في المنطقة كلها .

وكان الشيخ حمدان يعتز بها اعتزازاً كبيراً ويحبها حباً جماً حتى أنه خصص لها خادماً يعتني بها وينظفها ويقدم لها الطعام ، اما هي فكانت تأبى ان يمتطيها أحد سـواه .

وقد حاول عدد كبير من الاغنياء والتجار شراءها منه باثمان خيالية الا أنه كان يرفض بشدة ان يبيعها لهم .

وانتشر بين الناس صيتها وذاعت شهرتها حتى أنهم أخذوا يتناقلون أخبارها ويروون الحكايات عن حسنها ورشاقتها ومدى سرعتها .

وفي يوم من الايام علم بامرها أربعة من اللصوص أعتادوا السلب والنهب فاجتمعوا في مكان قرب الصحراء ليس بالبعيد عن مضارب الشيخ حمدان يفكرون في خطة ليسرقوا بها الفرس .

وبينما هم في هذه الحالة هبت عليهم عاصـفة رملية هوجاء حجبت نور الشمس وغطت وجه الارض فهبوا فزعين لا يعرفون أين يختبئون وهم في العراء ، فأخذوا يتراكضون هنا وهناك فقد انتشر الغبار الخانق في كل مكان ولم يعد باستطاعتهم ان يروا بعضـهم البعض فاستسلموا لمصيرهم المحتوم .

وبعد مرور يومين على هبوب العاصفة خرج الشيخ حمدان مع نفر من رجال عشيرته يتفقدون ماشـيتهم وممتلكاتهم في الصـحراء المحيطـة بمضـاربهم ، فعثروا في طريقهم على اربعـة رجال في الرمق الاخير وثيابهم ممزقة وافواههم يملأها التراب يأنون من شدة الجوع والعطش ٠

عند ذلك ارتفع صـوت الشـيخ حمدان منادياً رجالـه ان يحملوا المصابين ، وفعلا قام رجاله بوضعهم فوق ظهور الخيل وانطلقوا بهم صوب مضاربهم ٠

وهناك في مضيف الشيخ حمدان ضـمدوا جراحهم وقدموا لهم الماء والطعام والبسوهم ثياباً جديدة بدلاً من ثيابهم الممزقـــة ٠

ومرت الايام والرجال الاربعة يستعيدون صحتهم شيئا فشيئا حتى عادت اليهم عافيتهم ٠

وفي يوم استدعاهم الشيخ ليعرف قصتهم وعن سـبب وجودهم في الصحراء وقت هبوب العاصفة ٠

فقال الاول وهو زعيمهم وكان بشع المنظر ضخم الجثة كبير الراس :

ـ ياسيدي نحن من التجار تعرضت قافلتنا لهجوم من قبل اللصوص وقطاع الطرق فسـلبوا اموالنا ونهبوا كل مـا نملك وتركونا وحدنا في الصحراء بدون شيء ٠

وكان رجاله الذين يقفون خلفه يهزون رؤوسهم مؤكدين كلامـــه ويتظاهرون بالحزن والاسى ٠

لكن الشيخ الذي عرف بدهائه وفطنته لم يصدق كلامه لان المكان الذي وجدهم فيه كان بعيداً جداً عن طرق القوافل التجاريـة لكنه أخفى ذلك وقال لهم :

ـ اننا لا نستطيع ان ندفع لكم مالا بقدر الذي فقدتموه في قافلتكم لكننا سنمنحكم بعضاً من ماشيتنا لكي تستفيدوا منها ولكم الخيار في ان تبقوا معنا ان شئتم ٠ فلما أنهى كلامه شكره اللصوص على حسن ضيافته وكرمه لهم ثم ما لبثوا ان خرجوا ٠

لكنهم أجتمعوا فيما بعد في مكان آثروا أن يكون بعيداً عن عيون رجال الشيخ لئلا يكشفون امرهم وطفقوا يدبرون خطة لسرقة الفرس ٠

قال زعيمهم بصوته الاجش :

ــ انا اعتقد ان الشيخ حمدان لم يصــدق كلامنا ابداً بل انــه كان يستهزىء بنا . فاجابه احدهم وكان طويل القامة اسمر اللون :

ــ نعم لقد لاحظت ذلك حينما نظرت الى عينيه ورأيت فيهما شيئا من الشك والريبة ٠

فقاطعه الاخر بحدة :

ــ دعونا من ذلك ان علينا الان ان ننتهي من هذه العمليــة باسرع ما يمكن قبل أن يكتشفوا امرنا ٠

فأيده الرابع بهزة من رأسه علامة موافقــة ٠

وقال رئيسهم :

ــ هذا صــحيح علينا ان ننتهي من هذا الامر بسرعــة ، لقد عرفت المكان الذي توضع فيه الفرس ليلا كما علمت ان الشيخ قد خصص لها خادماً يطعمها ويحرسها لذلك ما أن يحل الظلام وينام الجميع نتسلل الى مكانها ونسلها بكل هدوء وروية ،وفي الليل كان اللصــوص الاربعة مستعدين لتنفيذ خطتهم فبعدما تأكدوا من نوم الجميع انطلقوا الى المكان الذي فيــه الفرس وهناك وجدوا الخادم نائماً بالقرب منها فضربوه على راسه ضربة قوية ثم اوثقوا يديــه الى جذع نخلة ولما انتهوا من ذلك تركوه مغماً عليه وتوجهوا الى الفرس وفكوها من مربضــها فاراد زعيمهم أن يمتطيها لكنها قفزت قفزة أسقطته ارضاً فما كاد ينهض حتى اشبعها ضربا ، ثم امر رجاله ان يسحبوها بعيداً عن مضارب الشيخ حمدان ٠

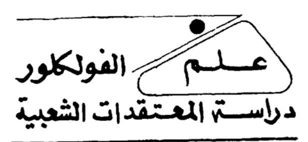
وبعد مسيرة يومين وصــل اللصــوص قرب احد الكهوف فتوقفوا ليستريحوا بعد ان هدهم التعب والعطش فربطوها بالقرب منهم وانزوى كل واحد منهم ليأخذ قسطاً من الراحة ٠ لقد كانوا طيلــة المسافــة التي قطعوها يضربونها بوحشية ضرباً مبرحاً كلما توقفت يحثوها على السير ٠

فلما وصلوا الى ذلك المكان بدا لهم كل شيء هادئاً وطبيعياً فاستسلموا للرقاد وما هي الا لحظات حتى برز من الكهف المظلم عدد هائل من الافاعي السامة التي اخذت تسعى بينهم وباتجاهات مختلفة حتى طوقتهم ثم ما لبثت ان انتصبت أمامهم تنفث سمومها عليهم فتعالت اصوات الاستغاثة وصيحات الفزع ولكن ما من مجيب ، فهجمت عليهم وبدأت تلدغهم واحداً واحداً حتى قضَتْ عليهم جميعاً ٠

في تلك اللحظة ظهر الشيخ مع رجال عشيرته من بعيد وهم على ظهور خيولهم ٠ فرأى الافاعي تحيط بجثث اللصوص الاربعة فالتفت نحو رجاله قائلا ٠

ـ هذه هي نهاية المجرمين ناكري الجميل ٠

ثم قام بفك فرسه وامتطاها وأقفل عائداً مع رجاله الى مضاربهم ٠



تاليف / الدكتور محمد الجوهري
عدد الصفحات / ٦٥٩
سلسلة علم الاجتماع المعاصر ـ
الكتاب الثاني والعشرون .
الطبعة الاولى / ١٩٨٠
اصدار / دار المعارف ـ القاهرة
عرض /قاسم خضير عباس

هذا الكتاب يبحث في موضوعات اغلبها يكتب فيه كتابة علمية للمرة الاولى باللغة العربية وجميعها كان وقفاً على المستشرقين والاجانب ، ففي عام ١٩٦٠ بدأ الدكتور محمد الجوهري اشتغاله اشتغالا منظماً بعلم الفولكلور وفي عام ١٩٧٥ اصدر الجزء الاول من هذا الكتاب الذي قدم فيه الاسس النظرية والمنهجية لهذا العلم ، وفي مطلع عام ١٩٨١ قدم الجزء الثاني من هذا الكتاب وبه بدأ دراسة ميادين التراث الشعبي الرئيسية عن دراسة المعتقدات الشعبية وهو عاقد العزم على انجاز الاجزاء الثلاثة المتبقية من هذا الكتاب .

ابتدأ المؤلف كتابه هذا بفصل تمهيدي يحمل عنوان (حول خطة علمية لدراسة المعتقدات الشعبية) تناول فيه خصائص المعتقدات والمعارف الشعبية والطابع المصري لاغلب المعتقدات التي تعرض لها وعلاقة هذه المعتقدات بالدين ، ثم تناول طبيعة الشواهد والنماذج التي استخدمها ودرس ايضا تضارب التفسير الشعبي لظاهره واحدة ثم تحدث عن خطته في تأليف كتابه هذا اذ اراد من كتابه ان يكون بمثابة تقديم وتعريف بموضوعات المعتقدات الشعبية فقدم عرضا تاريخيا لتراث هذا المعتقد او

ذاك والخطوط العريضة لتطوره سواء على المستوى الانساني العالمي اوعلى مستوى المجتمع المصري ثم ركز وفي المرحلة الثانية على ابراز الخطوط العريضة وبعض الملامح الرئيسية المميزة لهذا النسق الاعتقادي في المجتمع المصري ولقد استفاد هذا الجزء من مادة المدونات ومن المادة المستقادة من العمل الميداني .

ويهدف المؤلف في كتابه الى تشجيع الباحثين على طرق هـذه الموضوعات وتناولها تناولا علميا وفق احدث النظريات والمناهج واساليب البحث المتبعة في علم الفولكلور كما لخص المؤلف في فصل في اخر كل باب من ابواب كتابه ابرز رؤوس الموضوعات الجديرة بالملاحظة عند دراسة كل ميدان من ميادين المعتقدات (دليل عمل او دراسة) لقد جعل المؤلف كتابه في ابواب ست وهذه الابواب وزعت على فصول بلغ مجموعها (٢٨) فصلا معززة بأكثر من (٦٢٥) هامشا ورجع المؤلف الى (٢٢٩) مرجعا عربيا و(١٠٥) مرجعا اجنبيا . وفيما يلي عرض لابواب وفصول هذاالكتاب.

الباب الأول ـ دراسة الاولياء

الفصل الاول ـ الاسس والمبادىء العامة

تناول المؤلف في هذا الفصل الاسس والمبادىء العامة لدراسة الاولياء وتطرق الى الموضوعات ـ التالية : ـ

الاولياء من النساء ـ القطب ـ كرامات الاولياء ـ الزيارة ـ الاولياء الاحياء ـ ارواح الموتى التي تلبس الاحياء ـ الاولياء المؤشرون ـ حكاية الولي (نموذج) .

ـ اضرحة الاولياء ـ موقع الضريح ـ وصف ضريح الولي الاشجار المقدسة ـ العيون والابار المقدسة ـ الاحجار المقدسة ـ موكب الولي ـ سفينة الولي ـ الاضاحي والنذور ـ الطقوس والممارسات عند قبر الولي .

الفصل الثاني ـ الموالد

تناول المؤلف الجوانب الاقتصادية والدينية والترويحية والفنية للمولد بالاضافة الى جوانب اخرى .

الفصل الثالث ـ تقارير خبرات ميدانية في دراسة الاولياء

قدم المؤلف في هذا الفصل تقارير زيارات ميدانية لبعض الاولياء في مختلف انحاء الريف المصري .

والمعلومات التي تضمنتها هذه التقارير بشكل عام هي :

١ ـ اسم الولي ٢ ـ اسم القرية ـ اسم المدينة او المحافظة ٤ ـ اسم

الاخباري (١) عمره ومهنته ٥ ــ اسم الاخباري (٢) عمره ومهنته .
حكاية الشيخ ــ الضريح ــ مولد الشيخ ــ الكرامات ــ الزيارات ــ مظاهر التكريم ــ ملاحظات .

الفصل الرابع ــ دليل مختصر للدراسة الميدانية للاولياء .

وهنا يعرض المؤلف رؤوس الموضوعات التي يجب ملاحظتها اثناء دراسة الاولياء وهي : ــ

١ ــ سيرة الولي .
٢ ــ الممارسات المتعلقة بالولي (أ الزيارة ب ــ المولد . جـ النذر)
٣ ــ قدرات الولي (أ ــ عام.ب ــ قدرات الولي السحرية . جـ ــ قدرات الولي العلاجية د ــ الكرامات) .
٤ ــ اشياء تتعلق بالولي ٥ ــ اخلاق الولي ٦ ــ الصوفية (أ ــ الاولياء والطرق الصوفية . ب ــ الطرق الصوفية . جـ ــ القطب) .
٧ ــ الانبياء . ٨ ــ تبادل الاعتقاد في الاولياء والقديسين .

الباب الثاني ــ دراسة المعتقدات والممارسة السحرية

الفصل الاول ــ المؤلفات السحرية المنسوبة للبوني

في هذا الفصل يتحدث المؤلف عن حياة محي الدين ابوالعباس احمد بن علي يوسف البوني القرشي ويعتبر هذا المؤلف العربي واحداً من اهم الذين اشتغلوا بالعلوم السحرية على طول تاريخ مصر الاسلامي ثم يورد مؤلفات البوني وهي :

١ ــ شمس المعارف ولطائف العوارف ٢ ــ لطائف الاشارات
٣ ــ الواح الذهب ٤ ــ قبس الاقتداء الى مراقي السعادة ونجم الاهتداء
٥ ــ علم الهدي واسرار الاهتداء . ٦ ــ الرياضات بالاسماء الحسنى
٧ ــ منظومة في شرح الحروف ٨ ــ رسالة في شرح اسماء الله في البرهتية
٩ ــ ذات الدوائر ١٠ ــ المقصد الاسنى في شرح اسماء الله الحسنى.

ثم يتحدث عن مراحل تطور مؤلفات البوني ويعطينا نظرة مفصلة الى كتاب شمس المعارف ويتطرق الى العناصر الصوفية في فكر البوني واسلوبه والعناصر الدينية في مؤلفاته وحرصه على الغموض والابهام واثر عمليات النسخ المتكررة لمؤلفات البوني .

الفصل الثاني ــ السحر الرسمي والسحر الشعبي

يتطرق المؤلف في هذا الفصل الى ميادين الاختلاف بين السحر الرسمي والسحر الشعبي وهذا الاختلاف ينحصر في النقاط التالية .

١ ــ النظرة الى العالم فكرتهما عن العالم .
٢ ــ الموضوعات الاساسية التي يدور حولها كل ميدان منهما .
٣ ــ الشكل الذي يحفظ ويتوارث به كل نوع منهما .
٤ ــ مصادر التأثير على كل نوع أو على الاقل ترتيب اهميتها .
٥ ــ مدى شدة الحاجة الدافعة الى اللجوء للسحر في كل منهما .

الفصل الثالث ــ اغراض الممارسة السحرية .

تناول المؤلف في هذا الفصل الموضوعات التالية : ــ
الاستخدامات الخيرة والشريرة للسحر ــ وصفات سحرية ذات فائدة عامة ــ الاستخدامات السحرية لدعم المشتغل بالسحر نفسه ــ الاخبار بالمستقبل ــ
الاتيان بالكرامات ــ حفظ الانسان من الاثار الضارة للسحر ــ شفاء الامراض ــ تأمين الخائف ــ موضوعات الحب والزواج ــ العلاقات بين المواطن والحاكم ــ وصفات للحكام انفسهم ــ لاهلاك العدو والظالم ــ الحماية من اللصوص وقطاع الطرق ــ كشف الكنوز والوصول اليها ــ الحصول على المال ــ وصفات خاصة لاصحاب الحرف والمهن المختلفة ــ اغراض متنوعة لتيسير الحياة اليومية .

الفصل الرابع ــ تقارير دراسات ميدانية لبعض المشتغلين بالسحر في الريف المصري

يورد المؤلف اربعة تقارير زيارة لبعض المشتغلين بالسحر يتطرق فيها الى الحالات التي عرضت على هؤلاء المشتغلين .

الفصل الخامس ــ دليل مختصر للدراسة الميدانية للسحر .

يرى المؤلف ان الممارسة السحرية تقوم على اداء بعض العمليات المعينة وفق تكنيك خاص وتستعين هذه العمليات ببعض العناصر والمقومات الاساسية كالافعال (والحركات) والكلمات (المنطوقة او المكتوبة او كليهما) والاشكال وكذلك الانسان الممارس لكل هذا ويتخذ التأثير السحري اشكالا او مظاهر معينة كما انه يستهدف تحقيق غايات معينة ويحاول المؤلف في اسئلته ان يغطي هذه الاركان جميعا .

الباب الثالث ــ دراسة الاحلام

الفصل الاول ــ نظريات الاحلام القديمة

تناول المؤلف في هذا الفصل المعتقدات حول الاحلام لدى البابليين والاشوريين والمصريين القدماء والصينيين والهنود والاغريق والرومان القدماء واليهودية والمسيحية القديمة .

الفصل الثاني ـ الاحلام والثقافـة

تطرق المؤلف الى الامور التالية : ـ

١ ـ تأثير الثقافة على الاحلام .
٢ ـ الاستخدامات الثقافية للاحلام .
٣ ـ اوجه استخدام الاحلام والعلاقات بينها .

الفصل الثالث ـ تفسير الاحلام

اورد المؤلف هنا الاسس العامة لتفسير الاحلام وتطرق الى قواعـد تعبير الرؤيا وشخصية المفسر وطلب الرؤيا الصالحة والتصرف ازاء الرويـا المكروهة .

الفصل الرابع ـ دليل مختصر للدراسة الميدانية لموضوع الاحلام .

لقد عالج المؤلف موضوع الاحلام بوجه عام من زاويتين رئيسيتين الاولى تلك الامور التي تتعلق بتفاصيل الحلم ودلالات عناصره المختلفة والثانية مايدور حول الحلم من حيث طبيعته بشكل عام وظروف الرائي والمفسر وقد حرص المؤلف في معالجته لموضوع الاحلام على أخذ الزاويتين في الاعتبار فرتب تلك الموضوعات على النحو التالي : طبيعة الاحلام في المعتقد الشعبي الحالم ، المفسر ، صدق الرؤيا واخيرا دلالات بعض الاشياء في الحلم .

الباب الرابع ـ دراسة الجن والكائنات فوق الطبيعية

الفصل الاول ـ تحليل تاريخي للمعتقدات الشعبية حول الجـن

تعقب المؤلف في هذا الفصل التطور التاريخي للمعتقد حول الجن والكائنات فوق الطبيعية وذلك لالقاء شيء من الضوء على مصادره القديمة او المؤثرات التي امتدت اليه من الثقافات الاخرى او من عصور الثقافة المصرية الغابرة وقد تناول في هذا الفصل الامور التالية .

١ ـ فكرة عامة عن المعتقدات الشعبية حول الجن .
٢ ـ الجن والارواح في المعتقد البابلي والاشوري .
٣ ـ الجن والارواح في المعتقد المصري القديم (الفرعوني) .
٤ ـ الجن في المعتقد العبري القديم .
٥ ـ الجن في الثقافة العبرية والمسيحية القديمة .
٦ ـ الجن في الثقافة العربية قبل الاسلام .
٧ ـ المؤثرات الفارسية القديمة في صورة الجن .
٨ ـ الجن في المعتقد الاسلامي الرسمي .

الفصل الثاني ـ الدراسات السابقة عن الجن والكائنات فوق الطبيعية .

يتطرق المؤلف الى المعالجات الاجنبية التي قام بها نفر غير قليل من المستشرقين لموضوع الجن والكائنات فوق الطبيعية على النطاق الاسلامي او على النطاق المصري .

ومن هؤلاء المستشرقين .

١ ـ وليم لين في كتاب [المصريون المحدثون ، شمائلهم وعاداتهم] .

٢ـ هانز فينكلر في كتاب [ارواح الموتى التي تلبس الناس] وكتاب [الفولكلور المصري] .

٣ ـ كونستانس بادويك في كتاب [ملاحظات عن الجن والغول في تصور فلاحي جنوب الدلتا]

٤ ـ ارنست تسبندن في كتاب [الجن في الاسلام والمعتقدات الشرقية القديمة عن الارواح] بالاضافة الى اسماء اخرى .

الفصل الثالث ـ الجن والملائكة في المعتقد الديني .

يتناول هذا الفصل ترتيب الكائنات التي في العالم من وجهة نظر المعتقد الديني .

الفصل الرابع ـ الجن في المعتقد السحري الشعبي

يحفل التراث الشعبي بكثير من التفاصيل الخاصة بالتصور الشعبي للجن وفي هذا الفصل يتقصى المؤلف الجوانب التالية .

١ ـ الجن طبيعتهم وخصائصهم .

٢ ـ انواع الجن في المعتقد الشعبي وهي

[الجن والعفاريت ـ الشياطين ـ المارد ـ ارواح الموتى ـ الروح ـ الغول ارواح الزار (الاسياد) ـ القرينة ـ الاخت ـ كائنات اخرى]

٣ ـ الجن وبني الانسان .

الفصل الخامس ـ الجن في المعتقد السحري الرسمي .

في هذا الفصل يستكمل المؤلف بحثه الذي بداه في الفصل السابق حيث يتطرق الى الجن في المعتقد السحري الرسمي مستطلعا جوانب هذا الموضوع مستندا الى المدونات السحرية وعلى الاخص المؤلفات المنسوبة الى البوني .

الفصل السادس ـ دليل مختصر للدراسة الميدانية للجن والكائنات فوق الطبيعية .

يرى المؤلفات ان على الجامع او الباحث في هذا الموضوع ان يبدأ الاطلاع على اهم الدراسات والبحوث المنشورة في الموضوع عن هذه الظواهر وذلك لتجنب خلط بعض مظاهر الكائنات فوق الطبيعية ببعضها .

وان جمع المادة يجب ان ينطلق من تحديد سليم للمفاهيم ورؤية واضحة لمدلول مايسجله الباحث . كذلك يجب التمييز بشكل واضح بين الصورة الشعبية والصورة الدينية الرسمية للكائن فوق الطبيعي الذي يتعرض له .

ويعرض المؤلف الموضوعات التي على الباحث الذي يريد التصدي لدراسة الكائنات فوق الطبيعية ان يتناولها . ويذكر الاسئلة التي يجمع بها الباحث بياناته بمقتضاها من الاخباريين عن كل موضوع على حده .

الباب الخامس . الطب الشعبي

الفصل الاول ـ الطب الشعبي في التراث العالمي

يرى المؤلف ان تاريخ الطب الشعبي في العالم ليس الا تاريخ الطب نفسه اذ أن هذا التاريخ يمثل سلسلة طويلة من المحاولة والخطأ بدأت مع فجر الانسانية ولم يكتب فصل الختام فيها بعد . ثم يتطرق الى عظمة الانجاز العربي في ميدان الطب وهو اضافة بارزة الى التراث العالمي .

ويتطرق الى النظريات الطبية العلاجية التي تمثل تراثا مشتركا بين الشعوب المختلفة وقد ساهم كل شعب بدوره اثرائها وتدعيمها وتطويرها ومن هذه النظريات نظرية تناغم الاجرام السماوية المنسوبة الى بيتا غورس ونظرية ابو قراط عن الايام الحرجة وكتابات جالينوس ونظرية التنجيم ونظرية العلامات كما وتحدث المؤلف عن تطور الممارسات الطبية واساليب اعداد الوصفات .

الفصل الثاني ـ فلسفة الطب الشعبي :

اشار المؤلف الى ان فلسفة العلاج في الطب الشعبي تقوم على الاعتقاد بأن لكل داء دواء وان المرض يمكن ان يرجع الى عوامل نفسية واخرى مادية عادية وان العلاج يتم بوسائل سحرية من نفس الطبيعة كالرقي والتمائم وهذه تضم كل العناصر المستخدمة في الاعمال السحرية المادية : كالاسماء والايات القرآنية والحروف والارقام ، والاشياء المادية كطاسة الخضة والاحجبة كما وقد يتم العلاج بالاساليب الطبية التقليدية التي تستند على كل العناصر التي تتيحها البيئة الطبيعية من نباتات وحيوانات . الا ان هذه العناصر النباتية والحيوانية لاتستخدم كما هي

بحالتها الطبيعية وانما يتطلب الامر تقييدها بعدد من الظروف والقواعد والاجراءات الفنية والوصفات الطبية بشكل عام تنقسم الى قسمين رئيسيين الاول وقائي والاخر علاجي والوصفات الوقائية التي تنقسم بدورها الى انواع متعددة حسب الغرض منها اما العلاجية فهي تنقسم بدورهـا الى طائفة متنوعة تتباين حسب اسلوب تناول مؤلف الطب الشعبي أو اسلوب استيعاب العقلية الشعبية او المجال الطبي نوعه .

الفصل الثالث ـ الوصفات الجمالية والوقائية .

يورد المؤلف روايات وحكايات عديدة عن اهتمام المعتقد الشعبـي بالعنصر الجمالي في الجسم الانساني بأجزائه المختلفة وكذلك يورد الوصفات الطبية وغير الطبية التي تستهدف الحفاظ على الصحة العامة او اكتسابها دون وجود اعراض مرضية محددة .

الفصل الرابع ـ الوصفات العلاجية .

صنف المؤلف الوصفات الطبية العلاجية حسب موضوع الوصفـة فقد تناول اولا طائفة من تلك التي تدور حول عنصر معين وخصائصـه العلاجية المختلفة واستعراض ثانيا وصفات علاج مرض معين او عـدة امراض وثالثا الادوات والعمليات الجراحية ثم ختم الفصل بالخصائص العلاجية لبعض العيون المائية .

الفصل الخامس ـ ممارس الطب الشعبي .

تحدث المؤلف عن ممارسي الطب الشعبي وانواعهم ومراتبـهم وتخصصاتهم .والعلاقة بين الطب الشعبي والطب الحديث .

الفصل السادس ـ دليل مختصر للدراسة الميدانية للطب الشعبي .

يرى المؤلف انه من الممكن للباحث الميداني السؤال عن موضوع الطب الشعبي من زاويتين الاولى السؤال عن الامراض التي يفيد فيها استخدام نبات او عقار معين كأن يسأل ماهي الامراض التي تستخدم في علاجهـا المواد [الخس ـ اللبان ـ الحلبة السوداء ـ الخ] والثانية السؤال عـن الوصفات مرتبة حسب الامراض التي تستخدم في علاجها .

كأن يسأل ماهي الوصفات التي تعالج الامراض التالية [الحصبة ـ الحمى ـ التهاب العين ....الخ] وقسم المؤلف موضوع الطب الشعبي الى ستة موضوعات فرعية كالتالي :

[أ ـ الامراض والحالات ب ـ العقاقير والمواد جـ ـ الوصفات الدينية والسحرية د ـ القائمون بالعلاج هـ ـ الوقاية و ـ ادبيات الطب الشـــــعبي .]

الباب السادس ـ دراسة المعتقدات المتعلقة بالعناصر الطبيعية والانسان او دراسة الزار

الفصل الاول ـ النبات في المعتقد الشعبي

استعرض المؤلف هنا بعض القضايا العامة المتصلة بالنبات في المعتقد الشعبي كتفسير المعتقد لاصل النبات وتوليده وبعض خصائص عـدد من النباتات في الثقافات المختلفة م نحيث صفاتها العلاجية او السحريـة او غير ذلك

الفصل الثاني ـ المعتقدات والمعارف الشعبية حول الانسان والجسم الانساني

يرى المؤلف ان المعتقد الشـــعبي يحتفل بالجوانب المختلفـــة من حياة الانسان واخلاقه وطباعه ومظهره وذلك لان الانسان حريص على تفسير الكون المحيط به والمظاهر الطبيعية وهنا تكمن الاهمية الاولـــى لهذه الطائفة من المعتقدات والمعارف الشعبية اما الاهمية الثانية فهي كونها تمثل قطاعا عريضاً في التراث الشعبي بأنواعه . ثم يعرج المؤلف الى ايراد بعض الشواهد المتعلقة بهذا المعتقد .

الفصل الثالث ـ الزار .

يعتبر الزار من ابرز الظواهر التي يعرفها المعتقد الشعبي المصري وهـو من الظواهر الميزه التراث الشعبي المصري والزار في جوهره عبارة عن حفل ديني يستهدف طرد الارواح او استرضاءها ويتم ذلك من خلال تقديم

الاضاحي والقرابين واداء بعض الرقصات ذات الايقاع الساخن السريع .
وفي هذا الفصل يتطرق المؤلف الى ابرز العناصر الداخلة في دراسة الزار سواء في الناحية الاعتقادية او الادبية او المادية او من حيث الممارسات.

كلمة اخيرة

هذا الكتاب جهد امتاز بالموضوعية والحيادية والعمق والجد لواحد من المتخصصين في دراسة التراث الشعبي والكتاب بحد ذاته يعتبر من الكتب الشاملة في موضوع الفولكلور فيجانب مهم الا وهو دراسة المعتقدات الشعبية يستحق التقدير والاحترام .

الاساطير الفرعونية
واثرها على
المعتقدات الشعبية في مصر

محمد بيومي
جمهورية مصر العربية

[في دلتا النيل بجمهورية مصر العربية .. توجد بعض المدن والقرى تحمل اسماء لها مدلول في المعتقدات الشعبية المصرية .. ومنها مدينة « طلخا » التي تقع في الضفة المواجهة لمدينة « المنصورة » التي اسر بها لويس التاسع ملك فرنسا ابان الحرب الصليبية .. وسجن في دار بن لقمان التي لا تزال قائمة حتى اليوم بمدينة المنصورة .

[ومدينة « طلخا » لها قصة لطيفة .. ترويها المعتقدات الشعبية في مصر .. وذلك ان « طلخا » هي في الاصل ابنة فرعون مصر « نود » الذي اجبر الناس على عبادته .. في الوقت الذي سادت فكرة عبادة الشمس « رع » .. ولما لم يجد هذا الملك اقبالا على عبادته من قبل الرعية .. فكر في ان يحجب نور الشمس عن رعيته .. فقام ببناء « سقف » فوق مدينته حتى يعبده الناس .. وقد اشتهر هذا البناء باسم « سماء نود » ولا تزال حتى اليوم مدينة بهذا الاسم في دلتا مصر .. اطلق عليها بعد التعريف .. اسم « سمنود » وهي مركز من مراكز محافظة الغربية وتتبعها عدة قرى مجاورة لها .

[وتحكى الاسطورة الشعبية ــ المستمدة من الاساطير الفرعونية ــ ان الملك « نود » هذا .. كان له ابنة جميلة اسمها « طلخا » قد اصابها مرض خطير اصابها بالهزال الشديد واحتار في علاجها اطباء هذا العصر من الكهنة .. ولم يتوصلوا الى علاج يشفيها من سقامها .

[وقد ادى مرض ابنة فرعون .. الى زيادة ايمان الناس في مملكة نود .. بالاله « رع » الذي عاقب الملك نود .. على كفره وتحديـه الاله « رع » فاصاب ابنته « طلخا » بهذا المرض الذي حار في علاجه الاطبـاء .. بعد بناء السقف الذي حجب نور الشمس .. مباشرة .. وقد نصحه بعض المقربين اليه .. بأعلان ايمانه بالاله « رع » لكنه رفض كـل هـذه النصائح .

[اعلن الملك « نود » عن مكافأة طيبة .. لكل من يتوصل الى دواء لعلاج ابنته .. فجاءه صياد يدعى « شرنقاش » ـ وقد اطلق اسمه على قرية مجاورة لمدينة طلخا الان ـ ونصح الملك .. ان يعد لابنته « طلخا » رحلة الى « جزيرة الورد » فان بها زهورا تزيل الملل عن نفس ابنتـه وتحقق لها سعادة نفسية برائحتها الزكية ..

[وامر الملك نود .. باعداد حملة .. لتصحب ابنته في رحلة الى جزيرة الورد ـ وهو الاسم الذي كان يطلق على مدينة المنصورة في هذا العهـد ..

[وبدات الرحلة الى جزيرة الورد .. على ساحل النيل ـ فـرع دمياط ـ وكلما غابت الشمس .. توقفت الحملة .. لتعود لتستأنف مسيرتها الى جزيرة الورد .. كلما اطلت شمس « رع » على الكون .

[وذات صباح .. رأت الاميرة المريضة طلخا .. شيئا يطفو على صفحة الامواج .. فأمرت اعضاء الحملة .. ان يحضروا هذا « الشيء » العائم فوق الامواج .. فأمر قائد الرحلة .. اتباعه بتنفيذ امر الاميرة « طلخا » .

[وقد تدفق اعضاء الحملة .. في مياه النيل .. اثر « الشيء » العائم . وبعد جهد .. احضروا امام الاميرة « صينية » مملوءة بالارز واللحم فأكلت منها بشهية فزال عنها السقام والمرض .

[وتحكي القصة .. ان مائة رجل قد غرقوا في النيل .. وهـم يحاولون جلب هذه « الصينية » ـ وهي عبارة عن اناء فخاري ـ ولهذا اطلق على هذا المكان اسم « ميت الغرقا » وتوجد حتى اليوم قرية بهذا الاسم .. وقد تم تغيير اسم هذه القرية « مؤخرا » الى اسم « ميت الشرفا » بناء على طلب اهالي القرية .. الذين اعتبروا ان غرق هؤلاء الرجال .. كان استشهادا في سبيل اداء الواجب والشرف .. وبالرغم من تغيير اسم القرية .. الا انها مازالت معروفة باسم « ميت الغرقا » .

[وقد اطلق على المكان .. الذي نزلت به الاميرة طلخا .. عندما اكلت الارز واللحم .. اسم « نزلة طلخا » ثم عدل الاسم الى « طلخا » وهو اسم ابنة الفرعون « نود » .

[تحفظت « طلخا » على الانباء الذي كان سببا في شفائها .. وامرت بالعودة الى والدها الملك نود .. وروت له ما كان من امر الاناء العائم فوق الامواج .. وانها احست بالقوة والنشاط لتسري في ارجاء جسدها بمجرد الانتهاء من تناول الطعام الذي احتواه هذا الاناء .

[وتحكي القصة .. ان الاناء .. كان مسجلا عليه اسم صاحبه .. فأمر الملك نود .. رجاله بضرورة البحث عن صاحب الاناء واحضاره اليه في الحال .

[وانتشر رجال فرعون يبحثون عن صاحب الاناء .. حتى عثروا عليه في المناطق المجاورة .. ويدعى « جوجر » وجاءوا به الى فرعون .. والرجل لا يعرف من امره وامر الجنود شيئا .. وقد اصابه الفزع والجزع

فلما ادخلوه الى فرعون .. ارتمى الرجل بين قدميه يدعوه ويتوسل اليه قائلا : باسمك ايها الاله العظيم .. يا من لم نعبد سواك : بعد ان انتشر نورك .. واندثر امام نورك .. نور الاله رع .. ان تقبل توسلات عبدك جوجر الذي يؤمن بك .. ان تمهلني حتى اسمي ابني الذي يطل على الوجود بعد ظلام عاشه في بطن امه « رخامه » ليشهد نورك »

[وضحك الفرعون .. وامر الرجل بالاعتدال في وقفته .. وقربه من مجلسه .. وافهمه انه محل تكريمه وبركته .. لانه الطبيب الذي عالج ابنته بدواء عجز امهر الكهنة عن الوصول اليه .. وطلب منه ان يصف له هذا العلاج .. والرجل لا يفهم شيئا مما يقال .

[وجاءت « الاميرة » طلخا .. في ابهى ثيابها وقد اشرق وجهها بالصحة والعافية .. واقتربت من « جوجر » المسكين وهي باسمة الوجه .. وجلست الى جواره .. وطلبت ان يقص لها حكاية الطعام الذي اعده لشفائها ورماه في النهر .

وادرك الرجل .. من حديث الاميرة طلخا .. حقيقة الموقف .. فقال لقد امرت زوجتي « رخامة » ان تعد هذا الطعام وذهبت به الى احد الناس الذين تربطني بهم صلة قربى لمشاركته افراحه بمولوده الجديد .. ولكني فوجئت به يردني بالطعام .. فعدت الى زوجتي احمل

الطعام .. ونفسي مملوءة بالحزن والاسى .. فاشارت الى ان اقدمه قربانا للنيل العظيم .. وعددت الى داري هادىء النفس .. حتى احضرني الرجال الى مجلس الفرعون العظيم .

[وما أن سمع الملك « نود » بقصة الرجل .. حتى ضحك من قلبه .. مالم يضحك من قبل .. وامر بتسليم الرجل كيسا من الذهب ووهب له بعض الاملاك في مملكته .. وحضر معه الاحتفال باستقبال مولوده والذي سماه « عساس » .

[وتوجد في مصر .. اليوم قرية اسمها « جوجر » وتقول القصة .. ان « عساس » ابن « جوجر » قد عاش كثيرا وانجب كثيراً من الابناء .. وتوجد قرية حتى اليوم تخلد ذكراه اسمها « ميت عساس » بمحافظة الغربية .

[والزائر لمدينة « المنصورة » وهو في طريقه الى مدينة « طنطا » يمر اليوم على هذه المدن والقوى : طلخا ـ جوجر ـ ميت عساس ـ سمنود على التوالي .. اما « شرنفاش » فانها تجاور مدينة طلخا ويمر عليها المتجه الى مدينة « دمياط » .

[وهكذا .. نلاحظ ان الاساطير الفرعونية .. قد اثرت الى حد كبير في تفسير مسميات المدن والقرى وفقا للمعتقدات الشعبية في مصر .



ناجي جواد

كثيرا ماكان اخي (كاظم) يوليني رعايته فيعوضني بهما عن فقدي والدي وعن حرماني من عطفه الابوي ؟ الذي لم يستطع اخوتي الاربعة مجتمعين سد بعض فراغ تلك العاطفة الالهية ـ رغم حبهم لي وحدبهم علي .

لذا كان اخي كاظم كثيرا مايوقظني عند منتصف الليل لاصحبه الى (حمام الرجال)، مؤكدا على حمام الرجال باعتزاز وتشدق ، فقد كانت امي حتى الامس القريب وبدافع حنانها المضاعف تصحبني معها الى (حمام النساء) في (سوق الشورجة) واستمرت على هذه الصحبة ، كما استمرأت انا صحبتها ، لما كنت اشعر به من متعة البصر وراحة النفس ، دون أن افهم مبعثهما وانا اعيش عالم طفولتي البريئة ، ولكن توالي الشهور وتعاقب السنين كما يبدو قد وسعت حدقات عيوني .

ومن يومها منعتني النسوة من الولوج الى حمامهن ـ بل الصحيح انهن طردنني رغم اصرار امي وتأكيدها لهن بانني مازلت طفلا صغيرا...

لكن اخوتي ادركوا خطورة المرحلة الاتية ، فاشاروا علي ان اذهب معهم لحمامات الرجال ، اذ انني سابلغ مبلغهم عن قريب .. ومن زاوية الغرفة سمعت امي تجيب مستبشرة ـ ياريت ولدي ياريت اصدگ ابني ناجي يكبر وازوجه وتشوف عيوني .

والتفت اخي كاظم نحو امي مؤكدا ـ بلهجة بغدادية ـ مناورايح آني حاخذ ناجي ابكل مكان للحمام ، والكهاوي ، والزورخانة ولعبة المحيبس

وحتى عزايم العرس والجالغيات يروح ويانه . . آني اريد اخويه يطلع رجال .
اي نعم رجال زلمة . .

والواقع ان اخي كاظم قد وفى بوعده ، ففي فجر يوم من ايام بغداد الحالمة ايقظني بلطف ، فانتفضت من فراشي كالعصفور ، وانتعلت نعالي واتجهت نحو الحنفية لاغسل يدي ووجهي بسرعة ، ثم غمست سبابتي الندية في قنينة غصت بمسحوق الملح والفحم الناعم[1] ورحت ادلك بـه اسناني ، (بدشداشة) نومي ذهبت للحمام ، بعد أن وضعت فوق راسي (البقجة) البيضاء التي طرزت حواشيها بخيوط حريرية صفراء ، فبقـدر ماكنت اشعر بخفتها على نفسي المغتبطة بصحبة اخي ، وجدتها ثقيلة على راسي ، اذكان جوفها يغص بملابسنا الداخلية (اضافة الى لوازم الاستحمام المعتادة من (الليفة) و (صابونة الرقي) ابو الهيل وحتى دوه الحمام[2] علما بان اخي لم يكن مريضا ولا متوعكا . . ؟!

وسرت بصحبته أجتاز منعطفات ازقتنا الضيقة المتعرجة (على ضوء باهت ينساب الى جدران البيوتات من الفوانيس النفطية التي تبعث بصيص نورها من ذبالة تلـوح مـن خلال الزجاجـات الداكنـة وكأنهـا عيون ذاك (الجرخچي) الحارس المسكين الذي اذبل عيونه طول السهر والسير والتجوال في سواد الليل (مجتازا تلك الطرقات المظلمة جيئة وذهابـا وحيدا لا يملك سوى (صفارته) ينفث من خلالها حسرته بين آونه واخرى فيجيبه صاحبه من صفير مزعج للنائم الحالم . . لكنه راحة لهما اذ يشعران براحة لهذا التجاوب ، حيث أن هناك انسانا يسمعه ويواسيه ، فتطمئن نفسه بعض الاطمئنان ـ وان كان بالصفير ـ ولله در الشاعر العربي الذي وصف وحشة النفس فقال

عوى الذئب فاستأنست بالذئب اذ عوى
وصـــوت انســان فكـــدت اطـير

وما ان اجتزنا بسيرنا البطيء (دربونتنا) وكذلك (عكد النصارى) واذا بنا نقف امام سقف يوصل بين دارين يسمى طاق (آل السيد عيسى) وعلى يمينه تستقر باب دار شامخة (فرفع اخي مطرقتها البرنزية المسبوكة) على شكل تمثال لرأس اسد يطبق فمه المفترس على كرة ، فاذا مـــا انزل بها على قاعدتها الصلدة سمعت لها طرقا منسجما يتناغم مع الفضــاء الخارجي للزقاق الذي تشرئب على جانبي بيوته الشناشيل والدوالـــي والمقرنصات الجدارية ، وقبل ان تفتح ضلفة الباب سمعت صوتا رخيـا رضيا .

ـــ منو
ـــ اني كاظم

عندها فتحت الباب بيد صديقه (السيد قاسم) فرحب بوجهه المشرق الباسم ، وكأن الشاعر عناه حين قال :

اذا قال اهلا مرحبا نبعث له   مياه الندى مابين اهل ومرحب

ودخلنا الدار الرحبة بباحتها المكشوفة نحو قبة السماء الصافية ، حيث مازالت الشمس خلف خمارها الرمادي ، وقادنا السيد ليجلسنا على تخت خشبي استقر امام حديقة صغيرة تتوسط الباحة المرصوفة (بالطابوق الفرشي) النظيف الذي يشابه بلمعانه واصفراره الرائق (مسبحة الكهرب) التي تنزلق حباتها بنعومة ورشاقة بين اصابع اخي ، وما استقر بنا المقام حتى رايت قطة شامية بفروتها الغريزة البيضاء ، تموء وتتمسح بحاشية (زبون) السيد ، وبينما كنت سعيداً بهذا المنظر العاطفي ، واريج شجرة البرتقال يتصاعد من أوراقها الخضراء فأشمه عطرا زكيا يبعث الغبطة في نفسي ، اذ جاءت سيدة ترحب بنا وتحمل (بقچة) للحمام وقد ناولتها من وراء حجاب لزوجها الطيب (سمعت) صوت طفل من الاعالي ينادي .
ـ منو .. منو .. منو .. !

فرفعت رأسي مصوبا نظري نحو جهة الصوت فاذا ببغاء بريشها الجميل الاخضر ومنقارها الاحمر طليقة ترتقى قبه قفصها الحديدي ... وتردد بطلاقة .

ولفت نظري ، والفرحة تغمرني بهذا المهرجان الذي ادهش طفولتي فسألت اخي كاظما ـ والطفل يكثر وبلجاجة التسؤلات المحرجة ـ ولكن اخي كان رضي النفس كثير التجربة ، يجيب ويستجيب من غير ملل ولا ضجر ، سالته .

ـ مادامت الببغاء طليقة ولديها جناحان فلماذا لا تطير لبساتين بغداد فاجابني اخي بذكائه الفطري .

ـ لقد الفت العيش هنا فاستحكمت حتى اصبحت عادة رتيبة .. فسترى ان هناك الكثير من الناس قد اعتادوا العيش في خضم جحيمهم المهني .. ونكدهم العائلي فالفوه مع مضي الايام .. حتى خيل اليهم ان هذه هي الحياة وحسب ..

وخرجنا من دار السيد ورحنا نجتاز تحت الطاق ، فدخلنا (سوق الشورجة) ثم تخطينا قبالة باب (جامع مرجان) حتى عبرنا (شارع الرشيد ودخلنا (عكد الرواق)[٣] حتى انتهينا (بشارع النهر)[٤] وبغبطة لا توصف دخلت اول مرة حمام رجال ، وهنا تخونني الذاكرة ـ ولكن

لاتقولوا بسبب عامل العمر رجاء .. فانا لسه في الستين من عمر الشباب:ـ فانا لا اتذكر اهو (حمام حيدر)(٥) أم (حمام القاضي)(٤) لكنني اتذكـر جيدا بأنني جلست على دكة من الطابوق فرشت بالحصى الطويلة (وزخرفت بالقاشاني الملون قاعدتها ، ذات الاقواس الصغيرة لتضم في جوفها (القباقيب الخشبية لتكون تحت قدمي المستحم بعد ان ينزع ملابسه ، ثم يضـع (البشتمال) باقلامه العريضة ذات الالوان الشعبية الصارخة ، اويضـع (الوزرة) الحريرية الموصلية اذا كان من ذوي اليسار ، هذا الذي كان ينال قسطا كبيرا من الحفاة والترحيب من الاسطة و (المدلك) و (الناطور) بما فيه الچايچي الذي كان يأتيه بالصينية البرنزية وقد توسطها (استكان) الدارسيني الحار ، وليس غريبا فذي سنة الحياة .

وهنا تحضرني نكتة بغدادية يجمل بي ان اسردها لطرافتها ولازيـل ضباب الحمام الممزوج بانواع الروائح التي تضيق بها النفس والنفس معا ، وقد تناقل الناس .. مايحكى عن ظريف من ظرفاء بغداد كان يعشق الاناقة ويحب النظافة ، ويومها كانت البيوت البغدادية تفتقر الى الحمامات ، اذ لم تنتشر الحنفيات ولم تنشط اسالة الماء ، لذا كان هذا الظريف يلجأ الى الحمامات العامة ، فيدخل الحمام خالي الوفاض ، فاذا ما انتهى مـن الاستحمام جيدا ، وعاد ليرتدي (سرواله) و (دشداشـته) ويلـف (جراويته) العصفورية واخيرا ينتعل (اليمني) الاحمر ويتجه نحو (دجـة) (الحممجي) متصنعا رغبته في الدفع ، فيدخل يده في جيبه الفاضـي ، ويخرجها صارخا سرق (جيس فلوسي) ..! وبعد أخذ ورد وجدال وخصام يضطر (الحممجي)اخيرا ان يخصم النزاع بقوله .

ـ دروح عمي .. وخلصنه من شرك يرحم ابوك ..

فيخرج الظريف المفلس من الحمام نظيفا .. وعن دفع اجرة الحمام خفيفا .

ولما ضاق الحممجي ذرعا بهذا الزبون المفلس ، اشترط عليه اخيرا، اذا جئت الحمام ثانية وقلت سرقت فلوسي فسوف اشير الى عمالي كافة ان يشبعوك ضربا ولكما .. ولما جاء للحمام ثانية ، اشار الحممجي على بعض عماله أن يسرقوا ملابسه .. وهكذا كان ، ولكن الظريف بعد ان استحم وانتعش بجو الحمام ، وعاد ليرتدي ملابسه فلم يجد منها سوى (الحياصة) و(اليمني) عندها ادرك المكيدة المديرة ضده ، ولم يرحرمه ذكاؤه الفطري من أن يتفتح ذهنه عن حيلة يتغلب بها على موقفه الحرج ، اذ كيف تطاوعه نفسه ليقول سرقت ، وبالامس القريب اعطى عهدا بان لايقولها .. !

ولظرافته لم تفته النكتة ، لذا اتمنطق (بحياصته) وثبتها جيدا فوق كرشه المتهدل ، ثم انتعل (يمنيه) الاحمر ، وراح يسير في منزع الحمام جيئة وذهابا عاريا .. ويشير الى مظهره الغريب ويستشهد الزبائن بقوله.

— ياناس ياعالم .. اني ما اكول سرقت ملابسي .. ! ولكن سايم الله عليكم آني جيت من بيتنا للحمام هالشكل ..؟!

لنعد الآن بعد سرد هذه النكتة المضحكة (الى حيث وصلت للمنزع مع أخي وصديقه ، فبعد ان نزعنا ملابسنا واتزرنا (بالبشتمال تشبثت بكف اخي ليجتاز بي ممرا يكاد بصيص سراج نوره الزيتي ان يختفي بتصاعد وادى بنا هـذا الممر المظلم الـى صحن الحمام الرحب ، حيث انتشرت على جوانبه الاربعة حنفيات برونزية تصب الماء الحار والبارد ، في احواض مربرية صغيره، يركن بجانب كل منهما زبون ليغتسل، ولما رأيت (الطاسة) وفيها مسحوق (دوه الحمام) ادركت سر استعماله ، ومن يومها كرهتـه ومازلت اتقرف من قذراته وفي طريق عودتي للركن الذي ركن اليه أخـي شاهدت رجلا ينطرح على ارضية الدكة الحارة بجسمه الضخم ، وقد تربع بجانبه (المدلك) وراح يدلك ذلك الجسم المطروح (بكيس) خشن من القماش الاسود المطرز بخيوط قطنية بيضاء ، وقد دس المدلك كفه الاسمر في جفوف الكيس واخذت كفه تجول وتصول على مساحة ذلك الجسـم المستسلم فتتناثر على جانبيه حبات لولبية الشكل تسمى (فتايل) وسخ ، ثم يصب بضعة طاسات من الماء الحار ليزيل تلك الفتايل المنتشرة هنا وهناك، ثم يتناول (الليفة) ويغرس في جوفها (الصابونة الحلبية) صابون الركي ، ويجول بها على كومة اللحم المطروحة عن متعه ورضا ، حتى اذا ماتصاعدت فقاعات الصابون البيضاء تمرح من الفضاء ، عندها يقتنع الزبـون المدلل بنظافة جسمه .. ! وبحركة تقليدية يضرب (المدلك) بكعب (الطاسـة) الحديدية على دكة الحمام القيرية ، معلنا انتهاء واجبه ، وعلى رنين صوتها يأتي (الناطور) (٧) (بالمناشف) فيلف بالاولى وسط جسم الزبون ويضع الثانية على كتفيه .

ويحضرني هنا بيتان من الشعر يصف بها الشاعر الظريف هذه العادة القديمة لدق الطاسة فيقول .

افدى الذي دخل الحمام متزرا   بأزرق وبليـل الشـعر ملتحفاً
دقوا بطاساتهـم لما راوه بـدا   توهما ان بدر الـتم قد كسفا(٧)

وكنت ومازلت اعجب من طريقة الاغتسال والتدليك على يد (المدلك)

ثم قادني أخي الى ركن من اركان الحمام وجلسنا بجوار حوض مرمري وتناولت الطاسة واغطستها في الحوض لاسكبها على راسي ، وبحركة تقليدية تناولت الليفة والصابونة ، لادلك بهما جسمي ، والواقع انا كنت اعبث والعب اكثر مما كنت انشد الغسل والنظافة ... وبعدها اخذني اخي نحو حوض كبير وعميق يدعى (خزانة) وارتقى بي درجتين ثم اغطسني معه في الخزانة ، واخذ يشجعني على العوم والسباحة ، وكنت يومها خائفا من عمقها وجوها المظلم الذي يلفه البخار المتصاعد من جوف الحمام

وكم كان سروري عظيما حينما قال لي أخي

— انت صرت نظيف مثل الورد .. خلي نطلع ناكل فواكه .

وغادرنا جوف الحمام الخانق ، وجلسنا ثلاثتنا على دكة عريضة ملتهبة ، وجاءنا الناطور (بعلاكة) من سعف النخيل تغص بالفواكه من رمان ونومي وبرتقال ، فتناولناها برغبة ومضغناها بشهية ، ثم غادرنا الدكة بعد أن ابتردت شفاهنا وانشرحت صدورنا وسرنا نحو المنزع ، واخذت البس (دشداشتي) وستر تي وانتعل نعالي، ثم وضع اخي اللكجة الكوفية على رأسي وعقدها تحت الحنك بلمسات انامله العطوف ، ليجنبني لسعات البرد القارص ، وخرجنا من الحمام بعد أن نقدوا (الحممجي) (روبية) هندية ، ولكثرة الخصام في القسم والكلام ، لاادري من دفعها ، اذ سمعت كلا من أخي وصديقه ، يود ان يكون له شرف دفع الاجرة .

وخرجت من الحمام حاملا (البقچة) فوق راسي متجها نحو بيتنا لاجد امي الحنون وقد هيأت الشاي لاخواتي واخوتي ، فتحلقنا حول (السماور) لنترشف الشاي رشفة رشفة .

هوامش

١ — كان هذا المزيج يستعمل يوم لم تكن معاجين تنظيف الاسنان شائعة الاستعمال .

٢ — دوه الحمام : هو مزيج مسحوق من النورة والزرنيخ ، كان يستعمل لازالة الشعر ، ويباع لدى العطارين ولكثرة استعماله شاع المثل (الصيت للنورة والفعل للزرنيخ) .

٣ ـ عكد الرواق : هو الزقاق الذي اصبح ضمن (البنك المركزي)و (التحويل الخارجي) وكانت الخانات تستقر على جانبيه لتضم مكاتب التجار وبضائعهم .

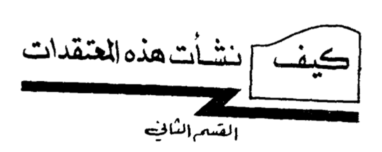
٤ ـ شارع النهر هو شارع المستنصر حاليا ، وسمي بشارع النهر لان دجلة الخير يحده من جهته اليمنى .

٥ ـ حمام حيدر : يقع في راس القرية على شارع النهر حيث واجهته وبابه ، وظهره على نهر دجلة ، وهو من اوقاف حيد جلبي .

٦ ـ حمام القاضي : يقع في الرصافة في شارع النهر ايضا ، قرب المحكمة الشرعية .

٧ ـ كان الاعتقاد الشعبي سائدا بان الخسوف ينشأ عن ابتلاع الحوت للقمر .. ولاسترجاعه يقوم الناس بافزاع (الحوتة) باحداث قرقعة بدق الصواني والقدور لتتقيأه وقد انتقد المنلوجت العراقي ذلك بمنلوج الشائع : ـ

ياحوتـة يامنحـوتـة	هـدي كمرنه العالي
هذا كمرنه انـريـده	هديـه علينه غالـي
هـديــة ياملعونـة	هديـــة بالزينيـة
وانجـان ما اتهدينـة	لدكلـج ابصنيـة



صور من التقاليد والمعتقدات

بقلم : براش Brash

ترجمة : سعيد أحمد حسن

الولادة وتقاليدها

تمثل أعياد الميلاد والاحتفال بها بالنسبة للانسان مفارقات جديرة بالدراسة ٠ ترى من غير الطفل ستغمره السعادة عندما يذكره تأريخ تقويمي محدد ان سنة اخرى من عمره قد تصرمت ؟

واعياد الميلاد ، اساسا ، تتملى المستقبل والاحتفال بها يعتبر تواصلا اكيدا لمسيرة الحياة ، حيث ساد الاعتقاد ان الحياة تتجدد في ذلك اليوم الذي يعتبر تكرارا فعليا للولادة ٠ واذا نظر المرء الى ذلك الحدث نظرة صائبة فان شعائر الاحتفال بعيد الميلاد تعني الحياة والصحة والرفاه للاثني عشر شهرا القادمة ، وهو سبب أيضا في اقتران الامنية في عيد الميلاد بدعاء يقول « الى أعياد ميلاد قادمة سعيدة » ٠

ــ اللقلق والاطفال ــ

اعتادت الامهات ، في هولندا والمانيا والدول الاسكندنافية ، ان يخبرن اطفالهن بصورة خاصة ان اللقالق هي التي تأتي بالاطفال الرضعاء ويضفن قائلات إن اللقلق ، وهو يستودع الجنين عند أمه ، ينقر ساق تلك المرأة عند الولادة فيضطرها على البقاء في الفراش فترة من الوقت ٠

وكلمة اللقلق (Stork) بالذات تحمل معنى الحب ، فقد أخذت هذه المفردة الانكليزية عن الاغريقية (Storgé) وتعني « الحب الطبيعي العنيف » ، كما ان كلمة لقلق تعني الانسان الورع في الكتاب المقدس ٠

لقد اتفقت عوامل عديدة في خلق الاعتقاد بان اللقلق هو الذي يأتي بالاطفال الرضعاء : أولها ، الرقة التي عرف بها الطائر تجاه صغره وتجاه المسنين من جنسه ٠ وكثرت الاساطير التي تصف كيف ان اللقالق كانت ترعى آباءها المسنين الذين أدركهم الوهن والعمى وكيف انها اعتادت حمل اولئك المسنين على اجنحتها لاطعامهم ٠ ثم ان الناس كثيرا ما يلاحظون تلك العناية الفائقة في بناء أعشاشها ويلاحظون كذلك شغف تلك الطيور بالعودة الى المكان نفسه في كل سنة حيث يعتبر وجود هذه الطيور بشيرا بالسعد والخير ٠

وفي المانيا يساهم الفلاحون في بناء أعشاش اللقالق على سطوح دورهم ، فهم يضعون لها عجلات تستخدمها لبناء تلك الاعشاش ٠

وهجرة هذه الطيور المنتظمة الى خارج البلاد تضفي ، هي الاخرى ، شيئا آخر الى لغزها ، ففي تلك الازمنة لم يعرف الناس شيئا عن هجرة الطيور واسبابها ، ولذا كانت الاساطير تشير الى ان اللقالق كانت تذهب في فصل الشتاء الى مصر حيث تتحول الى بشر لان الاعتقاد السائد حينذاك هو ان اللقلق كان انسانا في وقت من الاوقات ٠ وهناك في الاخير حقيقة اخرى ، وهي أن اللقالق تعشق الماء كثيرا مما يجعلها تتردد على المستنقعات وبرك المياه والاهوار ولذا تؤكد المعتقدات على ان أرواح الاطفال غير المولودين لابد وانها كانت تسكن أغوار تلك المياه ٠

لقد أصبح من السهل ربط كل هذه المعتقدات والخرافات معا لتجعل من اللقلق ، بمظهره المريب هذا ، طائرا له شأن كبير في توالد البشر وتكاثر جنســـه ٠

ـ اللون الازرق للأولاد والوردي للبنات ـ

ان للطريقة التي يتم به اكساء الاطفال بألوان مختلفة علامة بجنس اولئك الاطفال ٠ وبما ان الرضعاء يتشابهون جميعا ، إذن فما هي الوسيلة الافضل لتمييزهم بسرعة غير الالوان ـ الازرق للاولاد والوردي للبنات ؟ لقد تبنى الناس هذا الاسلوب في اختيار الالوان في كل انحاء العالم ، ولكن

من يتوقع ان للشريط الازرق ، بكل ما له من صلة بذعر الماضي وافكاره في قلوب الاباء المتلهفين على اطفالهم ، تأثيراً كبيراً في مستقبل رضعائهم ؟

لقد كان الاعتقاد ، ومنذ العصور القديمة ، ان الارواح الشريرة اعتادت أن تحوم حول الغرفة التي ينام فيها الطفل وبشكل لا يخلو من التهديد بالخطر ، واكثر من ذلك ، فقد ظن الناس ان تلك الارواح تنفر من بعض الالوان الخاصة التي كان أقواها اللون الازرق ٠

وفوق ذلك ، فقد اعتبر اتحاد اللون الازرق مع زرقة السماء قمينا باضعاف تلك القوى الشريرة ومن ثم طردها ٠ وهناك في الوقت الحاضر ، في بعض مناطق الشرق ، اناس يقومون بطلاء أبواب دورهم باللون الازرق لبث الرعب في نفوس العفاريت وابعادها ٠ وهكذا ، فان اضفاء اللون الازرق على الطفل الصغير لا يعني مجرد زينـــة ، بل هو احتراز ضروري ايضـــا ٠

أما البنات الرضيعات فقد كن يعتبرن أقل شأنا بكثير من الذكور الرضعاء ، وعلى هذا فقد افترض ان الارواح الشريرة لا تعير اهتماما يذكر بهن ٠ ولعل هذا هو سبب الاحتفاظ باللون الازرق للاولاد فقط ، وصار أي لون مميز آخر للفتيات غير ضروري ٠

وربما كانت الاجيال اللاحقة التي لم تدرك السبب الحقيقي لفكرة « اللون الازرق للاولاد » هي التي وعت مقدار الاجحاف الذي لحق بالفتيات فاقترحت لهن اللون الوردي وقامـت بتنفيذه ٠ وتقدم الاسـطورة التي سادت اوربا تفسيرا طريفا حول نظام الالوان للرضعاء ٠ يدور هذا الاعتقاد حول فكرة هي أن الرضعاء من الذكور وجدوا اساسا تحت نباتات اللهانة التي غالبا مـا يميل لونها في القارة الاوربيـة الى اللون الازرق ، بينما الرضيعات ، من ناحية اخرى ، ولدن داخل الزهور الوردية الجميلة ٠

ـ عربـة الاطفال ـ

لعل الامهات لا يعرفن شيئا عن نشأة العربة ، ولكنهن بصفة خاصة ، مدينات بالعرفان الى الملوك الذين خففوا عنهن العبء الى حد بعيد ٠ ومن الغريب على ما يبدو ، ان استخدام عربة الاطفال ، على هذا النطاق الواسع ، له صلة وثيقة بالحياة الاسرية للملوك ٠

وعلى اساس ان الاطفال يمثلون الطموح المشروع لكل انسان ، فلا غرابة والحال هذه ان تتركز العناية منذ عصور ما قبل التأريخ للحفاظ على الطفل جسديا ونفسيا وحتى سحريا ٠ ولاشك ان الامهات لم يسعفهن الحظ كثيرا ، فمنذ ألوف السنين قضت عليهن الاقدار ان يقاسين كثيرا بسبب الحمل ، وحتى بعد الولادة لم يظهر ما يخفف عنهن أعباء تلك الاقدار ٠ وهناك رأي رمزي يشير الى ان الاب ، في القبائل البدائية ، كان يأوي الى فراشه اثناء الطلق عند زوجته وولادة الطفل الرضيع طلبا للراحة أياما ان لم تكن اسابيع عديدة ٠

اما النساء فليس المتوقع منهن حمل أطفالهن قبل الولادة حسب ، وانما مواصلة حملهم بعد الولادة بطريقة او اخرى ، وان ما يهم الزوج فقط هو ان متاعب حمل الاطفال يجب الا يتدخل في صميم أعمال المرأة اليومية ٠ وهكذا ، فقد اعتادت الامهات الهنديات في شمال أمريكا أن يحملن أطفالهن على مهد من قطع الخشب يربط على ظهورهن ، بينما اعتادت الام في مناطق الاسكيمو أن تضع طفلها في فتحة من معطفها المصنوع من الفرو ، اما نساء البدو فانهن كن يحملن اطفالهن بأمان على اكتافهن في وقت تحمل فيه الام الافريقية طفلها على ظهرها داخل دثار يلتف حول جسمها ٠

استخدمت عربة الاطفال الحديثة قبل اكثر من مائة سنة ، فقد صنعت لاول مرة في نيويورك من قبل « جارلس برتون » عام ١٨٤٨ ٠ وهنا لابد من الاشارة الى ان فكرة العربة الجديدة لم تنتشر على نطاق واسع ، وذلك لان تلك العربة كانت تصطدم بكثير من المارة في الشارع ٠ وعلى أي حال ، قرر « برتون » المضي لاحراز التقدم في اختراعه فسافر الى انكلترا وافتتح مصنعا لعمل العربات هناك ٠ ان تحول المكان اصبح سببا في تحول الخط ، فقد راقت عربته لاذواق الامهات واصبحت موضة بخاصة عندما طلبت الملكة فيكتوريا (وطلبها فيما بعد كل من ايزابيللا ـ ملكة اسبانيا وباشا مصر » هذا النوع من العربات لتوزيعها على افراد العوائل الملكية ٠

ان اختيار كلمة Prambulator لتدل على عربة الطفل الجديدة يثير الاهتمام حقا ، فمعناها مستمد من اللغة اللاتينية ويعني الشيء الذي يقوم بالعمل ميكانيكيا وبالفعل ، فقد استعمل اول مرة ليصف الآلة التي كانت تقيس المسافة من خلال « السير على طول تلك المسافة » ، أما اختصار الكلمة (Pram) فقد ظهر لاول مرة بمعناه الجديد عام ١٨٥٧ ٠

ـ كيكـة عيد الميلاد وشـموعـه ـ

تهدف شموع عيد الميلاد الى تكريم الطفل المحتفى به واسباغ الحظ الوفير على السنة الجديدة •

ان هـذا التقليد يعود الى الاغريق القدمـاء ، فعلى ضـوء كتابات « فيلو خوروس » اعتاد عبّاد الالهة أرتميس ـ إلهة القمر والصيد ـ أن يضعوا الكيك المعسل على مذابح معبدها في اليوم السادس من كل شـهر ، وهو يوم ولادتها • كانت قطع الكيك مدورة تشبه القمر الكامل وتضاء بالفتائل • ولم يظهر شيء اكثر حول هذا التقليد فيما بين عصر عباد القمر الاغريق وبين ظهوره ثانية عند الفلاحين الالمان في العصـور الوسطى ، اولئك الفلاحون الذين اعتادوا على اشعال الشموع على كيكة عيد الميلاد ، ويتم عادة في الوقت الذي يستيقظ فيه الطفل • كانت تلك الشموع تواصل الاشتعال حتى اللحظة التي تتناول فيها العائلة قطعة الكيك خلال وجبة الطعام ، ويمكن ان تستبدل الشموع باخرى جديدة اذا تطلب الامر ذلك ، اما عدد الشموع فهو يشير الى عمر ذلك الطفل ، اضافة الى ان أي ذبالة جديدة انما يعني وهج الحياة واشراقها •

ان الفتائل المشتعلة ، مثل نيران القرابين ، اكتسبت منذ العصـور القديمة ما يشبه مغزىً صوفياً لا تدركه الحواس ، وساد اعتقاد ان شمعة عيد الميلاد كانت تتصف بقدرة خفية على تحقيق الاماني وتضمن للطفل سنة حافلة بالخير والسعادة • وعلى أي حال ، فان تلك الامنية ، وهي لابد ان تظل سرا ، سوف تتحقق حينما تطفأ الشموع كلها بنفخة واحدة ، علما بأن الشمعة ستفقد قوتها السحرية اذا لفظت كلمات الرغبة بصوت مسموع •

ان الاعتقاد القديم القائل ان الشمعة تمثل الحياة يرد في كثير من الامثال • وعلى هذا فاننا نحذر الناس ألاّ « يشـعلوا الشمعـة من طرفيها الاثنين » وتذكرهم بأن ماكبث في مسرحية شكسبير (ماكبث) وصف الحياة قائلا « انها شمعة قصيرة الامد » •

ـ طقوس الغزل والزواج ـ

يعتبر تأريخ الغزل مرآة الحضارة الانسانية وتقدمها التقني وقد اختلفت استمراريته او سرعته الى درجة كبيرة • ان فترته الزمنية ومكانته تراوحا ما بين اربعة عشر عاما وهي المدة التي استغرقتها فترة خطوبة أحد

الانبياء الى المرأة التي أصبحت زوجته فيما بعد وبين السرعة الخاطفة التي نألفها في هذه الايام · وتبعا لذلك فقد اختلفت صـور الغزل كثيرا ، فهو يتراوح ما بين تكتم العشاق الشـبان وهم يتحدثون بكل أدب بحضـور وصائف القصور في العصر الفيكتوري اللواتي يتصفن باليقظة الدائمة وبين الغزل الطائش الذي يقوم به المراهقون في الوقت الحاضر في سياراتهم حيث التمتع بالخلوات الكاملة والحركة والعناق ·

وخضع شريك الحياة لكثير من التغييرات المهمة ، فقد مضى زمن كان فيه العروسان يلتقيان أول مرة في ليلة زفافهما التي تتحدد سلفا ، وبمعزل عن رغباتهما ، بواسطة العائلة او العشيرة · وفيما بعد أخذ وسطاء الزواج على عاتقهم تلك المهمة وفق اسس تجارية مشددة مع عدم تجاهل العوامل الانسانية الاخرى · ويجب ألاّ ننسى ان روما كان لها نصيب في تهيئـة الاجواء المناسبة للعشـاق ·

ومـن أجل الزواج وهب الله تعالى حواء الى آدم ، ومنذ ان مارس الناس الزواج اقترف اولئك الناس أخطاء كثيرة وفسروا التزامات الزواج خلافا لحقيقتها · ونحن عندما نتحدث عن روابط الزواج ، نتصـور ان الزواج رباط يقيد الناس بعضهم الى بعض كالسجناء · ان « رباط » الزواج ليس رباطا مطلقا ، بل هو يعني الهبة ، فكلمة Wed في اللغة الانكليزية تعني « عهداً » بايفاء الالتزامات وكلمة Wed Lock تبعا لذلك ، تتعهد بتحقيق أجمل الضمانات ـ السعادة للرجل والمرأة كليهما ، ومن اجل الوصول الى ذلك الهدف اضـطر الناس لممارسـة كثيرا من التقاليد المختلفة عبر العصـور ·

هناك قصة تروى ، وهي انه منذ ان خلق الله المرأة من أحد اضلاع آدم ، اندفع الناس يبحثون في كل انحاء الدنيا عن ذلك الضلع المفقود · ومع ذلك فان بعض الناس لا يدركون هذا الشيء فيبررون فشلهم في اقامة العلائق الزوجية بدعوى انهم عزّاب صامدون · ولاشك ان بعضهم يجدون « اضلاعا » ولكن ليست أضـلاعهم وهي لذلك لا تناسـبهم · كلا الفئتين تتعرض لتجربة فيها كثير من المعاناة والالم ، ومع ذلك فان هناك كثيرا من ذوي الحظوظ الذين يستردون الاضلاع التي تخصهم فيصبحون مرة اخرى غاية في « الكمال » وما ينطوي عليه من سـعادة ·

جميلة ورومانسية تلك التقاليد والطقوس التي لها صـلة بالغزل والزواج في الوقت الحاضر ، ومن الممكن تقريبا تعقب تلك التقاليد ابتداء

من صورها البدائية وممارساتها الاولى التي ترسخت من أجل ضمان الزواج وديمومة خصوبته عبر تلك الطقوس السحرية وما رافقها من ممارسـات عنيفـة ٠

ـ القبلـة ـ

تعتبر الحضارة العربية أمرا مسلما به ، اما الشعراء الاغريق فيسمونها « مفتاح الجنة » بينما أدانها أناس آخرون في عصور مختلفة واعتبروها خطيئة فاحشة بعيدة عن الاحتشام ٠ واليابانيون لا يقبلون آحدا (عدا الآباء والاطفال) وليس عندهم كلمة خاصـة بها ٠ اما الصـينيون فقد اعتبروا القبلة عملا يذكر المرء بالوحشية وأكل لحوم البشر ، وفي الهند الصينية اعتادت النسوة بث الرعب في نفوس اطفالهن من خلال تهديدهم بقبلة الرجل الابيض ٠

يعود أصل القبلة الى المراحل الاولى من تاريخ الانسان أو أبعد من ذلك ، فبعض النصوص يشير الى أن القبلة تطورت لان الرجل البدائي كان يعتقد ان الهواء الذي يزفره لـه قوة سحريـة ، وهو بالتالي ثمرة لروحـه الحقيقيـة ، ومن خلال تبادل القبلـة بين الرجل والمرأة تمتزج روحاهما ٠

وافترض آخرون ان قبلة الفم كانت مرحلـة اخيرة لتطور طويل ، فقد بدأت بملامسة الوجه لوجه اخر (تماما كالاسكيمو والشعب الماووري ـ شعب نيوزيلند الاصلي حيث الناس لا يزالون يحكون انوف بعضهم البعض) ويقوم الرجل بشم الرجل الاخر (مثلما اعتادت القبائل الهندية القول « شمني » بدلا من القول « امنحني قبلة ») ٠

كان التلامس يعرف بأنه « مصدر الاحاسيس » وقد اظهرت التجارب ان مجرد لمسة خفيفة من شخص لجسم شخص اخر تثير الذهن ، وكثير من الحيوانات تلامس وتتحسس احداها الاخرى او تلك التي تشعر بميل نحوها ٠ والقطط والكلاب تمسح رؤوسها بأذيال واجساد رفاقها وتلامس الطيور مناقير بعضها البعض وكذلك تتشابك خراطيم الفيلـة ، وحتى الحشرات تداعب بعضها البعض بواسطة مجساتها والقواقع بواسطـة قرونها ٠ ان اكثر مناطق اللمس اثارة عند الانسان هي الاغشية المخاطية لشفتيه ، ولهذا جد البحث من اجل التعبير عن أعمق العواطف ٠

وهكذا نرى ، كيف ان الفم وهو يسعى من أجل التعبير عن أعمق يعثر على فم انسان اخر ٠

ولابد من الاشارة الى ان هناك تفسيرا بارعا يربط قبلة الفم باجدادنا الاوائل وباسلاف الحيوانات الاولى ، فالام ، كما قيل ، اعتادت تدفئـــة الطعام في فمها قبل نقله بواسطة « قبلة منها » الى فم طفلها الرضيع ٠ ان ذلك يمثل ذكرى في اللا وعي لذلك الاقتران الجميل للماضي الجميل — وهو الاقتران الذي وهبنا القبلة في الوقت الحاضر ٠

ـ علامة (×) للقبلـة ـ

بدأ استخدام حرف (×) للدلالة على القبلة في العصور الوســطى حينما كان اكثر الناس أميين لا يعرفون حتى التوقيع على اسمائهم ٠ والناس من اجل ان يشهدوا على الوثائق كانوا يضعون اشارة الصليب (×) في مكان التوقيع وبدون تلك الاشارة تفقد الاتفاقية شرعيتها ٠ ولكي يؤكدوا حسن نواياهم ، كانوا يقبلون تلك الاشارة بكل خشــية واحترام مثلما اعتادوا على تقبيل الكتاب المقدس عند القسم ٠ واخيرا فقد اصبحت القبلة والصليب شيئين مترادفين ٠

ان اختيار علامة الصليب لم يكن عرضا أو حدث ، كما يظن ، نتيجة لشكله البسيط الذي يمكن متابعته من قبل كل شخص ، فهذه الاشارة لها صلة بالقديس اندرو ، وهي تنطوي على ضمان مقدس وعهد لانجاز التزامات الانسان تجاه اسم ذلك الرجل ٠

وفي هذه الايام أصبحت الكتابة يسيرة لدى كل فرد ، ولكن العلاقة القديمة بين اشارة الصليب والقبلة بقيت لحد الان ٠ ثم ان تلك الاشارة التي نشأت إبان عصور الامية الاولى وممارسات القرون الوسطى القانونية والتقاليد اللاهوتية ، أصــبحت الان اشــارة اختزال عالمية تدل على الحب والعاطفـــة ٠

ـ الغــزل — Spooning

هناك ثلاثة تفاسير حول استخدام كلمة Spooning في وصف الغزل ٠ وبمعزل عن كون الكلمة سوقية كلمة الغزل Spooning تذكرنا بتقليد جميل وهو ان الشبان في مقاطعة ويلز اعتادوا على صنع ملعقـــة خشبية Wooden spoon يقدمونها رمزا لحب الفتاة التي يختارونها ٠ وتقوم هذه الملعقة الخشبية في العادة مقام خاتم الخطوبة والفتاة اذا قبلت هذه الملعقة الخشبية فان ذلك يعني وعدا بالزواج ٠

ومن الجدير بالملاحظة ان تلك الملعقة تتصف بدقة الحفر والزخرفة وغالبا ما تكون مزينة بنماذج من نباتات كثيرة التراكيب والتعقيدات على كل من مقبضها وتجويفها ، ومن ثم توصم وتنقش عليها الحروف الاولى من اسم الحبيب على نحو مجدول يتصف بالروعة والاتقان .

ان تقدم الحضارة وما رافق ذلك من صناعة الملاعق بالجملة ، هو وحده الذي أوقن هذا الاسلوب الجميل من الغزل . لقد حلت خواتم الخطوبة التي يمكن شراؤها بسهولة ، بعيدا عن كل التأثيرات النفسية ، محل الملاعق التي بقيت الان مجرد ذكرى يتداولها الناس في احاديثهم .

وهناك تفسير أقل رومانسية ينسب قصة الملعقة (Spoon) الى سلوك طفولي ويشير الى أن العشاق (Spooning Coples) نتيجة لذلك السلوك الطفولي النزق ، يعتبرون غير جادين في حبهم .

واخيرا فان كلمة Spooning (الغزل) تشير الى أن الحبيبين ، وهما يستلقيان متلاصقين ، يتطابقان فيما بينهما كما تتطابق الملاعق الواحدة مع الاخرى .

ـ بطاقة فالنتاين ـ

ترسل في الرابع عشر من شباط كل عام ملايين من بطاقات « فالنتاين » الى الناس من الجنس الاخر . وهذه البطاقة التي كتبت مرة على نطاق فردي ، وتطبع الان بالجملة في المطابع ، تعتبر قذيفة حب تبعث الفرح والبهجة . وبغض النظر عما يكتب في هذه البطاقات من شعر أو نثر ، فانها تعبر عن مشاعر الحب العميقة وتتصف في أغلب الاحيان بالطرافة وبعض الاحيان بكلام سوقي مصحوب بصور مختلفة .

انها على العموم لعبة متبلة بالعاطفة الجياشة والمرح القوي . من يظن ان مثل هذا التقليد المرح الذي لا يسبب أذى والذي يبرعم الحب بين اثنين قد بدأ منذ ألوف السنين وله جذور تتصل بالتقاليد الوثنية حول مظاهر الحب عند الطيور وحظوظ الاحبة في العصور القديمة ، واكثر من ذلك له صلة باستشهاد أحد الاساقفة ؟

ان شعبية بطاقة فالنتاين تعطي انطباعا كذلك لمحاولة الكنيسة في تحويل الممارسات الوثنية الى المسيحية . فقبل ظهور المسيحية بزمن طويل كان منتصف شباط يعتبر موسم حب يبشر بالخير لانه بداية فصل الربيع وتزاوج الطيور . وقد ربطت الاسطورة الرومانسية ذلك اليوم بالالهة « جيونو » التي اعتادت النساء على عبادتها والصلاة لها اثناء الكوارث والازمات .

كانت « جيونو » ، زوجة جوبيتر ، امرأة موقرة ذات عينين تشبهان عيون المها اضافة الى كونها ملكة مقدسة ٠وتماما مثل هيرا الاغريقية ،اصبحت « جيونو » كما تقول الاسطورة وصية على النساء والزواج ، ولو أنها كانت ، وعلى نحو خطير ، إلهة الحــرب ٠

ان جزءاً من الطقوس الوثنية التي تكرم « جيونو » كان ضرباً فريداً من لعب الحظ ومفارقاته ، فالفتيات الشــابات كن يكتبن اســماءهن على قصاصات من الورق توضع في برميل يسحب منه الشبان ما يخبئــه لهم القدر مع التشديد على ألاّ تكون هناك أي ورقة بيضاء ٠ وهكذا فان الفتاة التي يسحب اسمها أحد الشبان تصبح له حتى قرعة السنة التالية ٠

ان العالم كله مدله بالحبيب والمسيحية من جانبها لا يمكنها الاقلاع عن يوم خصص لمتعة الحياة والحب ، ولذا فقد خصصت اليوم الرابع عشر من شــباط ضــمن تقويمها الســنوي وربطت ذلك باستشــهاد القديس فالنتاين ٠

كان فالنتاين ، في الاصل ، كاهنا وثنيا في القرن الثالث الميلادي ثم تحول الى المسيحية فأصبح أسقفا ٠ وتروي القصة انه في عهد الامبراطور الروماني « كلوديوس » الذي قرر الغاء قانون الزواج وذلك لشعوره ان الازواج لا يمكن أن يكونوا جنودا صالحين ، حاول اقرار ذلك الاجراء بالقوة٠ اما الاســقف فالنتاين فقد اعتبر ان هذه السياســة تناقض ارادة الله وتخالف الطبيعة البشرية وقام سرا باجراء مراسيم الزواج بين العشاق والشبان ٠ ولكن ذلك لم يدم طويلا حيث ألقي القبض عليه وسجن ثم قتل شر قتلة في اليوم الرابع عشر من شباط سنة ٢٦٩ ميلادية ٠ وهناك رأي اكثر قبولاً يشير الى ان فالنتاين كثيراً ما كان يقدم العون الى المضطهدين وقد القوه ، لهذا السبب ، في غياهب السجون واســتمر وهو في داخل السجن في مهامه حتى أنه اعاد البصر بمعجزة الى ابنة سجانه ٠ وعلى الرغم من ذلك فقد أدين وقرع بالعصا حتى الموت في اليوم الرابع عشر من شباط ٠ ان هذا التأريخ يتفق والعيد الوثني للالهــة جيونو ، لكنــه ، ومنذ ذلك التأريخ ، احتفل به بأعتباره « يوم القديس فالنتاين » ٠

ومع ذلك ، فان الرغبة في تنصير الممارسات الوثنية لم تقف عند هذا الحد ، فهناك لم يزل الجزء الشعبي من هذا العيد باقيا ونعني بذلك نصيبه من مسألة الحب ٠ كان رجال الدين الاوائل بشرا مثل بقية الناس في العالم ولم يعتادوا العيش في ابراج عاجية ٠ لقد ادركوا تماما ان المرء لا يستطيع خنق دوافع الانسان العميقة أو القضاء عليها ــ وبضمنها ميله نحو حــب المغامرة ــ بغض النظر عن هدف تلك المغامرة ٠ وهكذا فقد

استمروا في لعبة الحظ القديمة وان غيروا جوائزها · لقد حللت اسماء القديسين محل اسماء الفتيات واصبح من المتوقع الان أن تساير حياة الرابح المحظوظ حياة القديس الذي يسحب اسمه ، وهو أمر سبب المتاعب للمشاركين لان الفتيات اللواتي كن يسيطرن على « صناديق الحظ » كن يقحمن اسماءهن في تلك الصناديق فعادت ، بناءً على ذلك ، لعبة الحب القديمة مرة اخرى ·

وحدث تطور أخير حيث لم يعد الناس يرضـون ان تكون عمليـة اختيار الحبيبات خاضعـة للمصادفـة الصرف · فالاختيار ، كما كانوا يشعرون ، يجب ان يحل محل ضربات الحظ ومصادفاته وبدأوا ، على هذا الاساس ، يرسلون في اليوم الرابع عشر من شباط هدية على شكل بطاقة أو مجموعة من الاشعار الى كل من يعتقدون انه الاقرب الى قلوبهم · وهذه البطاقات غالبا ما ترسل دون ذكر الاسم حيث يترك الامر لمن يتلقى تلك البطاقة ان يخمن اسم مرسلها · وكلمات تلك البطاقات اما ان تكون مختصرة في حدود « الحبيب جميل وكذلك انت » أو تتوسع في استغراقات عاطفية رقيقـة ·

اما اولئك الذين لا يمكنهم تدوين كلماتهم الخاصة فما عليهم الا ان يختاروا تلك الكلمات من بعض الكتب المخصصـة لهذا الغرض مثل كتاب « كاتب بطاقات فالنتاين الشاب » الذي ظهر عام ١٧٩٧ ، وبهذا الاسلوب ظهرت بطاقـة فالنتاين للوجود وزادت شعبيتها كثيرا لاجرة البريد الرخيصة المفروضة عليها ·

ولعل موضة ارسال بطاقة عيد الميلاد الحالية وحدها التي انهت ظاهرة ارسال بطاقات فالنتاين على الرغم من انها لم تزل باقية في نطاقها الضيق الهادىء على أمل أن تسترد يوما ما مكانها في خيال الشبان المدلهين بالحـب ·

رقصة الطابك والساس : ـ

عبداللطــيف المعاضــيدي

ربما يعتقد القارىء الكريم ان رقصة الطابك ليست رقصة واحدة مع الساس وانما لكل واحد منها خصوصيتها وهذا صحيح ولكنهما رقصة واحدة بالاساس .

حيث ان لعبة او رقصة الساس لاتتم ولايمكن للاعب ان يصل مستوى لاعب الساس الا اذا تدرب على لعبة الطابك والتي هي بالاساس للناشئين والهواة ويستعملون الخيزرانه بدلا من السيف الذي يقتصر استعماله في الساس ولا يمكن للاعب الانتماء الى فرقة لاعبي الساس مالم يمر بمرحلة التدريب على لعبة الطابك حيث يتدرب على صد الضربات بواسطة الطابك والضرب بالخيزرانة وكثير مانرى ان الناشيء المتمكن يهدد خصمه بان سوف يحرك الطابك الذي يحمله خصمه الى طبك (لااسوي الطابك طبك) والطابك يشبه الدرگة التي يصد بها لاعب الساس ضربات السيف حيث يجعلها من كثرة الضرب الشديد عليها يجعلها مستوية ومسطحة وهي تشبه (الطبق) للتدليل على قوة الضرب وشجاعة اللاعب •

وتتم عملية لعب الطابك على نفس طريقة لعب الساس عدا (الدرگة) (الدرع) حيث يستعمل بدله الطابك والسيف بدله عصا من الخيزران .

عندما يشتد ساعد لاعب الطابك ينتمي الى جماعة لاعبي الساس ٠٠ وكان يقوم بتدريب لعبة الطابك مختار محلة الحارثية الملا عباس واول

من كان يبدأ بالرهواني لانها تبدأ بالمنازلة بين اللاعبين وكانوا في البداية يضعون جلودا في كفوفهم ليصد الضربات وكانت تعتمد المقابلة على الضرب على الكفوف والقفز والحركات ..

رقصة [لعبة الساس]

رقصة عريقة واصيلة وتعتبر امتدادا للحروب البدوية القديمة جاءت تسميتها من السياسة اى ساس الشيء سايسه وهي تعبير لشجاعة لاعب الساس ورجولته وشهامته وتقام الساس في المناسبات وخاصة الاعياد والكسلات التي كانت تقام في سلمان باك وكذلك كانت تقام في الجراديغ والخانات وبعض البيوت الواسعة حيث كانت تستأجر في ايام الاعياد لهذا الفرض والساس تجمع بين الحركة الايقاعية وبين الرياضية لكونها تظهر قابلية اللاعب ومدى امكانيته البدنية .. حيث تقتصر الحركة واداء الايقاعات على راقصين فقط ..

اشكال الساس

الساس واحد بمضمونه وبعدد لاعبيه والآلاته المستعملة في الرقصة وآلاته الموسيقية ..

وهناك الساس البغدادي ويسمى

١ ـ (اسكي بغدادي) اي البغدادي الاصيل القديم المتوارث اول ما يبدأ الرقص بالساس يحمل اللاعبون السيف كل على حدة مزهوا به ويده الاخرى ترتفع بفخر واعتزاز (بالدرگه) ويقف الآخر قباله يسوى ملابسه استعدادا للمواجهة وفجأة يطرحان سيفهما على الارض ويأخذان بقراءة سورة الفاتحة بصوت رقيق حلو وفجأة تدوي اصوات الآلات الموسيقية المكونة من النقارة والطبل والزرنة ايذانا بالمنازلة ويكون لعازف الزرنة الدور الرئيس لكونه سيد الجوقة الموسيقية ودوره هو الهاب حماس اللاعبين المتبارزين بعزفه الوان المقامات من الثنوي والمنصوري والبيات والابراهيمي ... وبعد اداء هذه الاستعراضات على هذه الانغام ملوحا بالسيف والدركة ذات الشمال وذات اليمين للمحتفلين من نسوة ورجال بحركات معبرة تبهر الانفس ثم يبدأ بتحريك (الدرگة) الى الاعلى وتارة اخرى للاسفل بحركات متناسقة مع اللحن ويظل في تيه يضرب الهواء بسيفه او يدغدغ درگته بالسيف اوينقر عليها نقرات توحي بالعزم والثبات وبعد الاشتباك الذي يتم على شكل ضرب على الدرگة بالسيف من الخصم المقابل بطريقة سريعة لاتخلو من حركات توحي للمشاهد بشجاعة اللاعب وتمكنه من استعمال السيف والدرگة وبعدها تتجمع الدراهم والدنانير امام عازف الزرنة هبة له من

المعجبين والكرماء وهواة اللعبة بالدرجة الاولى وكانــت مقتصرة على اهالي بغداد مثل باب الشيخ والشيخ عمر والمحلات الاخرى في الكـرخ والنوع الثاني من الساس .

يسمى الشعباني (الجعبانية) يبدأ عازف الطبل بدق ثلاث دقات متتالية متوالية ثم ضربة رابعة قوية ..

ثم يبدأ اللاعبان على نغم المزرنة بالتسريح ثلاث مرات متساوية وفي الضربة الرابعة يحييان الحاضرين اولا باليد اليمنى وثم باليسرى ثم يرفع كل واحد منهما رجله اليمنى ويضـــرب الارض ثلاث ضربات على انغـــام الطبل وهذا يعني [باني سوف اسحق عدوي تحت قدمي] ثم يدور على رجله اليسرى دورة كاملة ويضرب اليمنى المرفوعة الى اعلـــى بالارض في ضربة الطبل الرابعة . ثم يتقدم اثنان من الواقفين (الوكافة) يتجه كل واحد منهما الى لاعب ويجرد سيفه من غمده ويحييه ويناوله اياه من المقبض وهنا تتغير ضربات الطبل والزرنة حيث تبدأ بالتصاعـد والنمو ويبدأ عازف الزرنة يعزف انغام من مقام (البنجگاه) فيقوم اللاعبان برفع السيف على استقامة القلب للتعبير عن حفاظـه بالقسم والحفظ على تقاليده ثم يتصافح اللاعبان بالسيف . فيبدأ اللعب بالسيف والدرگـة ويحاول كل منهما ان يضرب هاجما ومتراجعا وهو يصيح (هوه) في كل مرة يحاول ضرب صاحبه لكي ينتبه اليه ويتقي ضرباته . وبعـد ذلك يبدأ بحركة تسمى (البسامير) وهو ان يضرب الارض بالسيف والدرگه في قفزة واحدة ويبركان على ركبة واحدة وقد ارتفع صدراهما وايديهمـــا فيتضاربان وكل منهما يصيح بخصمه ويدرأ عن نفسه الضربات بين اصوات المشجعين وزغاريد النسوة واصوات السيوف والتروس . فاذا اصيب احدهما بضربة من خصمه فيكون هو الخاسر ويكون الطاعن هو الفائز وهكذا يتناوب على اللعب لاعبان آخران الى ان ينتهي اللعب وتستغرق كل لعبـة بحدود عشرين دقيقة .

وللساس شروط يراعيها اللاعبون وهناك محكمون تسمع مشورتهم ولهم القول الفصل في التحكيم .

النوع الثالث

الاوج (العوج)

وهو نفس الساس بكل اشكاله ومعانيه والفرق الوحيد انه يلعب على نغم الاوج والبنجكاه . والمخالف . وهي بداية دخول اللاعب .

ويليه (المربع) وبه تبدأ المقابلة بين اللاعبين والمرحلة الاخيرة وهـــي (الرهواني) وبها تنتهي المبارزة ويتخلل لعب الساس لعب الجوبي العربي

ومن اشكال الساس وحركاته الوحده والاثنين والمثلث وهي حركات تؤدى اثناء اللعب للتدليل على امكانية اللاعب وهو ان ينثني بقدمه للاسفل وللأعلى مرة واحده أو مرتين أو يحرك نفسه بحركات قدميه ثلاث مرات وتسمى التثليثه وحتى التربيع وهي حسب امكانية اللاعب وطواعية جسمه ولياقته البدنية ..

وهناك الساس الذي يسمى (الشيشمان) وهو يشبه الطابگ من جميع وجوهه لكونه للناشئين وهواة لعبة الساس ولايمكن للاعب ان يصبح لاعب ساس مالم يمر بمرحلة (الشيشمان) .

آداب الساس : ـ

كان ابطال الساس اذا لقي بعضهم بعضا يجدون في هذا اللقاء حبا ورضى واطمئنانا وقد اتصلت نفوسهم جميعا بهذه اللعبة اتصالا شديدا وتعلقت قلوبهم بها تعلقا عنيفا وهم كذلك يجتمعون ويفترقون ولا يزيدهم الاجتماع الا الحب والرضى والاطمئنان ولا يزيدهم الافتراق الا حرصا على اللقاء والاجتماع . فنرى ان احدهم جاء من محلة الشيخ بشار ليلاعب الآخر من محلة قنبر علي واحدهم من باب الشيخ والاخر من الفحامة والآخر من الفضل والاعظمية وبني سعيد وعلاوي الحلة اجتمعت قلوبهم بحب هذه اللعبة وحين نرى الآن الرياضة والفن هما خلق وعطاء فلايظن احدهم الظنون بالآخر ولاتوجد كلمة خصم فيما بينهم ولايبدأ اللعب الابعد قراءة سورة الفاتحة الشريفة بصوت رقيق والتصافح بواسطة السيوف وللحكام رأيهم لمسموع ومشورتهم في حالة حدوث رأي مخالف اثناء اللعب .. وتنتهي اللعبة بتبادل القبلات الحارة من المتبارزين تحمل كل معاني الوفاء والاخاء والحب والود .

اما ملابس اللاعبين فتكون انيقة جدا حيث يكون لاعب الساس بكامل اناقته حيث يرتدي الزبون (أو الصاية) والسترة اما ملابس الرأس اما تكون عقال وغترة وتحتها العرقجين . اما الچراوية البغدادية او اليشماغ مع لباس ابيض عريض وطويل حتى يتصل كعبية مع حزام عريض يشد به وسطة ويتدلي المنديل من وسطه ويمكن للاعب ان يدخل روايا صايته ويرفعها للحزام لتسهيل مهمة حركته ...

ملاحظة

هناك تأكيد واضح من اناس متعددي الثقافات على استعمال كلمة لاعب بدل راقص ولعبة بدل رقصة اذ يعتبرون الرقص ضربا من ضراب اللعب خاصة الرقصات ذات الطابع الرجالي والتي تظهر فيها روح المبارزة والتسابق مثل الجوبي والطابگ والساس وقلما تجد يرقصاتنا الشعبية الاصيلة ظاهرة التميع والتخنث حيث تؤكد اكثرها على القوة والشجاعة من حركات واشعار والآلات موسيقية وازياء .. الخ

المصادر

الغناء العراقي حمودي الوردي / بغداد / مطبعة اسعد ١٩٦٤.
قبل اعوام / عبداللطيف حبيب / بغداد / مطبعة سلمان الاعظمي ١٩٦٢
التراث الشعبي / من فنون الرقص العربي / الساس / ابراهيم الداقوقي
العدد / ٤ ، السنة الاولى ١٩٦٣
التراث الشعبي / فرق الرقص الشعبي / عبداللطيف المعاضيدي العدد الثاني عشر / عدد خاص بالرقص الشعبي ١٩٧٩



حول المسك والعنبر

عزيز العلي العزي
الهيئة العامة للبحوث الزراعية التطبيقية

نشرت مجلة « التراث الشعبي » للدكتور جابر الشكري مقالة عنوانها « المسك والعنبر في التراث العربي » جاءت في قسمين ، شغل القسم الاول منها صفحات من عددها المزدوج التاسع والعاشر لعام ١٩٨٤ ، في حين شغل القسم الثاني منها صفحات اخرى من العدد المزدوج الحادي عشر والثاني عشر لعام ١٩٨٤ ايضا .

وهي مقالة طريفة ومفيدة لولا اخطاء علمية وقع فيها الباحث الفاضل واوهام توهمها عند كلامه على انواع الحيوان المنتجة للمسك والعنبر والزباد . لذا وجدت من الضروري تصحيح تلك الاخطاء وكشف الابهام عن هذه الاوهام ، خدمة للعلم وزيادة فائدة للدكتور الشكري ولقراء « التراث الشعبي » .

ففي القسم الاول من مقالته ـ وبعد كلامه على ظبي المسك ـ ذكر ثور المسك وبيّن انه « لم يذكر في كتب التراث ، فربما لم يكن مكتشفا معروفا عند العرب في ذلك الوقت . الا ان القزويني ذكر دابة المسك ، فربما قصد بها هذا الثور »١ . هـ .

قلت : نعم ، لم يكن هذا « الثور » مكتشفا معروفا عند العرب في ذلك الوقت ، لانه يعيش في المناطق الجليدية من الدائرة القطبية وسهول التندرا في شمالي كندا والساحل الشمالي الشرقي لجزيرة كرنيلاند . وهذه اقاليم لم تكن معروفة للعرب ايام القزويني (توفى عام ٦٨٢ هـ) . وعلاوة على ذلك فان هذا « الثور » ليس بثور حقيقي ، بل هو من فصيلة المعز Capridae لا البقر[1] . اما تسميته بالثور OX

فجاءت من شبهه الظاهري بالثيران ، خاصة راسه الذي يشبه راس ثور ٠ اما احتمال ان يكون القزويني اراد بدابة المسك هذا « الثور » فلا ، لان دابة المسك هي ظبي المسك نفسه ٠ قال شمس‌الدين الدمشقي (ت ٧٢٧ هـ) عند كلامه على بعض اقاليم الهند « ٠٠٠ ومن دواب ارمنة دابة تسمى بالتبت (كذا) وهي المسك ٠ وهو حيوان كالظبي له قوائم ومخالب كالفهد (كذا) ، وقيل له ظلف كالغزال ٠٠٠ » وله نابان ايضا خارجان من فيه ٠٠٠ كل منهما نحو شبر ٠٠٠ والمسك فضل دموي يجتمع من جسد دابة المسك الى سرتها في وقت من السنة ٠٠٠ »[٢] ٠

وعند كلامه على فارة المسك قال الدكتور الشكري « وهي دويبة صغيرة تسمى النافجة ، وتنتشر منها رائحة مسكية ، وتعيش بجوار مجاري المياه ، ويتخذ من جلدها فراء ثمينة ٠ ويكثر هذا الحيوان الان في امیرکا ويصطاد لفرائه ولحمه ومسكه ٠ وتسمى هذه الفارة في اللغات الاوربية ٠٠٠٠ musk rat...... واسمها العلمي **Ondatra zibethica** ويظهر ان فارة المسك معروفة في بلاد العرب حيث يذكرها الجاحظ والقزويني » ١ ٠ هـ ٠

قلت : اما النافجة فليست دويبة ولا فارة ، بل هي وعاء يوضع فيه المسك بعد جمعه ٠ قال القزويني عند كلامه على ظبي المسك « ٠٠٠ والناس يتبعون مراعيها في الجبال فيجدون ذلك الدم قد جف على الصخور ، فيحملونه ويضعونه في نوافج لهم معدة لذلك ٠ فهذا هو اصل المسك الذي يستعمله ملوكهم ويتهادونه فيما بينهم »[٣] ٠ أو النافجة وعاء المسك في جسم الظبي[٤] ٠ والنافجة بمعناها الاخير قد تعرف ايضا بفارة المسك ٠ قال الديري (ت ٨٠٨ هـ) « ٠٠٠ والمشهور ان فارة المسك سرر الظباء كما تقدم »[٥] ٠

وأما الحيوان الذي ذكره الباحث الفاضل باسميه الانكليزي والعلمي اي O. zibethica فهو جرذ المسك ــ لافارة المسك ــ وهو جرذ لم يخطر ببال الجاحظ ولا القزويني ، لانه يعيش في مستنقعات امیرکا الشمالية والمكسيك ، ولا وجود له في اسيا وبقية العالم القديم ٠ اما فارة المسك فهي ــ اضافة الى معانيها السابقة ــ قد تكون زَبابة المسك shrew وهذه ليست من رتبة القوارض كالفئران والجرذان ، بل من رتبة اكلات الحشرات Insectivora التي تضم القنافذ والذباب ونحوهما ، ومن فصيلة الزَباب (بفتح الزاي) Soricidae ٠ وانواع هذه الفصيلة تشبه الفئران حجما وفراء لكنها ذات خطم طويل مستدق ، ومن هنا جاء

الخلط بينها وبين الفئران ، ولها عند قاعدة الذيل غدد تفرز رائحة غير اعتيادية . وهي تفتك بالفئران والحشرات ونحوها ، وتعيش عند اطراف المياه المظللة ، ولا تعمر اكثر من عامين . ومن هذه الفصيلة زَبابة المسك Suncus murinus التي تستوطن حوض البحر المتوسط وشبه جزيرة القرم وجنوبي غرب اسيا وجنوبي شرقها الى ماليزيا(٦) . وهذه الزبابة وثلاثة انواع اخرى موجودة في العراق(٧) .

وتكلم الدكتور الشكري على قط الزَباد فذكر انه من الفصيلة السنورية . وهذا وهم توهمه الكاتب كما توهمه اخرون بسبب التسمية الدارجة لهذا الحيوان ، اي قط الزباد وسنور الزباد بالعربية ، و civet cat بالانكليزيه . علما ان كلمة civet مأخوذة من كلمة « زباد » العربية ، كما نصت على ذلك المعجمات الانكليزية والاوربية . فهذا « القط » يجتمع والسنانير في رتبة واحدة هي رتبة الضواري او اكلات اللحوم Carrivora لكنه من فصيلة اخرى ضمن هذه الرتبة هي فصيلة الرباح (بفتح الراء) Viverridae . وهي فصيلة تتراوح حجوم انواعها بين الثعلب والقط الاليف ، اجسامها طويلة مستدقة ، وذيولها سميكة طويلة كثيفة الشعر ، وقوائمها قصيرة . ولها غدد تفرز مادة الزباد في جيب قرب اعضائها التناسلية ، ومن هذا الجيب – لا من الشرج كما ذكر الدكتور الشكري – تغرف هذه المادة . غذاؤها القوارض واللبائن الصغيرة والطيور والسحالي والثمار البرية ونحوها . تستوطن افريقيا جنوبي الصحراء الكبرى ، وجزيرة مدغشقر ، وجنوبي الجزيرة العربية ، والهند وشبه جزيرة الملايو وجزيرة سومطرة وجنوبي الصين ، ومناطق اخرى . ومن انواعها سنور الزباد الافريقي Civettictis civetta ذو الشعر الطويل الذي يؤلف حرفا مرتفعا ممتدا على طول ظهره ، وسنور الزباد العربي Viverra zibetha (٨) .

اما القسم الثاني من مقالته فقد خصصه الباحث للكلام على العنبر وحوت العنبر . وفي الهامش السابع من هذا القسم علق الدكتور على القيطس باليونانية ما كبر من السمك ، واصطلاحا اطلق على الحوت بوجه عام . وهذا الحيوان الضخم هو الذي تروى عنه القصص والخرافات ، وانه نصف ادمي ونصف سمكة ويكنى ببنت الماء او عروس البحر او الشيخ اليهودي ... » ١ . هـ .

قلت : نعم ، يطلق العامة اسم عروس البحر وعروسة البحر على حوت العنبر ، ويطلقونه على سمكة زاهية الالوان في البحر الاحمر ، ويطلقونه ايضا على الاطوام • والاطوام dugong حيوان بحري لبون من رتبة الخيلان (بفتح الخاء وسكون الياء) او بنات الماء Sirenia ، لا من رتبة الحيتان Cetacea • مؤخره يشبه السمك وله يدان كانهما زعنفتان ، يقف منتصبا في الماء • موطنه البحار الاستوائية بين البحر الاحمر واسترالية • يسمونه في الطور « اللطوم » اي الاطوام ، وفي نواحي سواكن « الناقة » اي ناقة البحر(٩) • فعروس البحر اذن هي الاطوام •

اما الشيخ اليهودي فأسم يطلق على لبون بحري اخـر فقمة البحر الاسود والبحر المتوسط ، من فصيلة الفقم Phocidae ، واسمه العلمي **Monachus albiventer** • ويعرفـه ايضـا بشيخ البحر وابي مَرينة(١٠) • وقد تكلم شمس‌الدين الدمشقي على الشيخ اليهودي او الفقمة فقال « قال المعتنون بتدوين العجائب ان في بحر الروم (أي البحر المتوسط) من الحيوان العجيب ••• سمكة (كذا) لها وجه ادمي بلحية بيضاء ، ولون جسدها كلون الضفدع ، وهي في قدر العجل ، ويسمى الشيخ اليهودي • يخرج من البحر ليلة السبت قبل غروب الشمس الى البر ، ولا يزال الى غروب الشمس ليلة الاحد فيدخل البحر ••• »(١١) • وذكر الديري نحو ذلك فقال « الشيخ اليهودي : قال ابو حامد والقزويني في عجائب المخلوقات انه حيوان وجهه كوجه الانسان وله لحية بيضاء ، وبدنه كبدن الضفدع ، وشعره كشعر البقر ، وهو في حجم العجل • يخرج من البحر ليلة السبت فيستمر حتى تغيب الشمس ليلة الاحد فيثب كما يثب الضفدع ويدخل الماء ، فلا تلحقه السفن »(١٢) • فهل رأى الدكتور الشكري او سمع بحوت يخرج الى البر بارادته ثم يعود الى البحر بارادته ؟ لا شبهة اذن ان الشيخ اليهودي غير الحوت ، وانه فقمة البحر المتوسط •

وفي المقالة مآخذ اخرى اجملها فيما يلي :

١ ــ في القسم الاول منها تكلم الباحث الفاضل على ظبي المسك ثم ثور المسك ثم قط الزباد وبعده فارة المسك • وكان من المستحسن ان يؤخر كلامه على قط الزباد بعد فارة المسك ليستقيم تسلسل الكلام على المسك وحده •

٢ ــ في القسم الثاني من المقالة ، وعند كلامه على العنبر ، نقل كلام المسعودي حول اهل الشحر وكيفية جمعهم العنبر فقال « ••• ولاهل الشحر نجف (كذا بالفاء) يركبونها بالليل تعرف بالنجف المهربة (كذا بالياء » ، يسيرون عليها على ســاحل بحرهم • فاذا احســت هذه

النجف (بالفاء ايضا) بالعنبر قد قذفه البحر بركت عليه فيتناوله الراكب » ١٠ هـ ٠

قلت : ان الذي ذكره المسعودي هو النجب (بالباء) المهرية (بالياء) لا النجف المهربة ٠ قال المسعودي « ٠٠٠ واهل الشحر اناس من قضاعة وغيرهم من العرب ، وهم مهرة (بفتح الميم وسكون الهاء) ٠٠٠ ولهم نجب (بضم النون والجيم) يركبونها بالليل تعرف بالنجب المهريـة ، تشبه في السرعة بالنجب البجاويـة ٠٠٠ يسيرون عليها على ساحل بحرهم ٠ فاذا احست هذه النجب بالعنبر قد قذفه البحر بركت عليه ، قد ريضت لذلك واعتادت عليه ، فيتناوله الراكب ٠٠٠ »[١٣] ٠ ويبدو لي ان ما جاء بـه الدكتور الشـكري تصحيف من اخطاء الطباعة ٠ ومع ذلك ، لا أدري كيف وقع هذا التصحيف ثلاث مرات في ثلاثة اسطر متتالية ! وفي المعجم الوسيط « المهرية : ابل مهرية : نجائب تسبق الخيل ، منسوبة لقبيلة مَهْرة بن حيدان ٠٠٠ والنجيب : الفاضل على مثله ، النفيس في نوعه ٠ ج : انجاب ونجباء ونُجُب ٠٠٠ ويقال : نجائب الابل : خيارها »[١٤] ٠

٣ ــ وعند كلامه على حوت العنبر ايضا قال الباحث الفاضل « ٠٠٠ ويعيش باسراب كبيرة قد تصل الى ست مئة حوت ٠ ويطلق عليها الصيادون اسم مدارس Schools » ١٠ هـ ٠

ولا ادري لماذا استعمل الباحث هنا كلمة School بمعناها الحرفي اي « مدرسة » ، في حين انها تطلق ايضا على الجماعة او القطيع من حيوان الماء ، خاصة السمك ، لذا فالاصوب استخدام كلمة « قطعان » مقابلاً لـ Schools بدل مدارس ٠

وبعد فقد كانت هذه الخواطر عنت لي فسطرها القلم ٠ فعساني افدت بها الدكتور جابر الشكري ولم اثقل بها على قراء « التراث الشعبي » وللدكتور الشكري تحياتي وتقديري ٠٠

---

١ ــ الكتاني : ٤٧٤ ــ ٤٨٤ ٠

٢ ــ الدمشقي : ١٠٥

٣ ــ القزويني ٢ : ٢٠٩

٤ ـ المعجم الوسيط : نفج
٥ ـ الدميري ٢ : ٢٠٠
٦ ـ الكتاني : ١٨٩ ـ ٢٠٤
٧ ـ مهدي وجورج : ٦٤
٨ ـ العزي : ٧٩
٩ ـ المعلوف : ٨٨ ، ٢٣٠
١٠ـ المعلوف : ١١٦ ـ ٢٢٢
١١ـ الدمشقي : ١٤٤
١٣ـ الدميري ٢ : ٥٧
١٣ـ المسعودي ١ : ١٥٠
١٤ـ المعجم الوسيط : مهر ، نجب

المصادر

الدمشقي ، شمس‌الدين محمد : نخبة الدهر في عجائب البر والبحر .
باعتناء اي . ميرن . اوفسيت عن طبعة لايبزك ، ١٩٢٣
الدميري ، كمال‌الدين : حياة الحيوان الكبرى .
مطبعة حجازي ، القاهرة ، ١٣٦٧ هـ .
العزي ، عزيز العلي : عجائب المخلوقات للقزويني ، دراسة في تراثنا
العلمي مجلة « المورد » ٦ (٤) : ٣١ ـ ٩١ . بغداد ، ١٩٧٧
القزويني ، زكريا بن محمد : عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات .
مطبوع بهامش حياة الحيوان الكبرى . مطبعة حجازي ، القاهرة ، ١٣٦٧ هـ .
الكتاني ، مسعود مصطفى : اسس يولوجيا وادارة الحيوانات البرية .
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، مطبعة الموصل ، ١٩٨٠ .
المسعودي ، علي بن‌الحسين : مروج ومعادن الجوهر .

تحقيق محمد محي‌الدين عبدالحميد . المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، ١٩٤٨

المعجم الوسيط (باشراف عبدالسلام هارون)

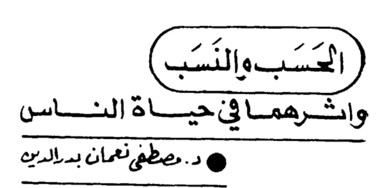
مجمع اللغة العربية بالقاهرة . اوفسيت المكتبة العلمية ، طهران . دون تاريخ

المعلوف ، امين : معجم الحيوان

هدية المقتطف السنوية . مطبعة المقتطف ، القاهرة ، ١٩٣٢

مهدي ، نوري ، وپي . ڤي . جورج : قائمة مصنفة للحيوانات الفقرية في العراق (بالانكليزية) .

متحف التاريخ الطبيعي ، نشرة رقم ٢٦ . بغداد ، ١٩٦٩



مع آي الذكر الحكيم

قال الله تعالى – وعز من قائل :

« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ،ان اكرمكم عند الله اتقاكم ،ان الله عليم خبير» صدق الله العظيم – الآية ١٢ سورة الحجرات .

ذهب المفسرون للاية الكريمة مذاهب تقرب في التأويل ، وتلتف بالتحليل ، فتصيب تارة ، ، وتبعد اخرى ، وربما باعدت في الاتجاه فضلت القصد .

والذي نميل اليه من أن تفسيرها في معاني المفردات من– الآيات الاخرى – والقرآن يفسر بعضه بعضا – في التركيب اللغوي ، والاسلوب العلمي في الاداء فكأن الخطاب لم يوجه الى العرب – قوم النبي الرسول صلى الله عليه وسلم – فحسب ، وانما للناس ممن يسمون .

كون خلقهم وبعثهم من نفس واحدة في الذكر والانثى حيث تنبت الحياة بتكريمه تعالى لبني آدم ، وحملهم في البر والبحر – الآية ، وصيرورتهم بجعلهم من ثم بحكم البيئة من البر والبحر ، شعوبا اعجمية، واسباطا اسرائيلية ، وقبائل عربية لها ميزاتها وخصائصها ، .. وفي هذه مجال معرفة وعلم وخير كثير .

غير أن الحكم الالهي في الاصطفاء بتطوير بني آدم هو ذلك الثبات الاخلاقي في التفضيل والتكريم (أتقاكم) في من اجتمعت فيه القيم والذمم والمروءات ، والله سبحانه أخبر بخلقه وأعلم حيث يجعل رسالته في هؤلاء العرب ــ قوم نبيه المصطفى ، ذرية من حمل مع نوح و لنبي ، بعضها من بعض ، كيفما يريد ــ جل شأنه ــ ان يذهب الرجس ويطهرهم من الواث الشهوات ودغل الانبات ، ويصفيهم المودة ، ويجعل رسالته فيهم من لدن آدم ونوح وابراهيم عليهم السلام الى النبي العربي الكريم صلى الله عليه وسلم ، بقرآن عربي مبين ، وفيه علمهم وآدابهم ، وقيمهم واعرافهم ، ووسائل عيشهم الزكي الكريم ، ومشرعهم الحكيم ، وتاريخهم العظيم ، وحضارتهم وبداوتهم في كل حين ! .

فالتقوى قوام الحياة الحقة والعدل المبين والمثال الحي للفضل والاحسان في امة الاسوياء ، والملة التي اجتباها خليل الرحمن ابراهيم وسماهم المسلمين .

القائد المهيب من أي الاعمام ؟!

تمثل هذه الحقيقة الربانية في الانعطافة المهيبة التي يريد بها القائد الملهم صدام حسين تجديد الانبعاث بالمفهومات والافكار ، لتنشيط التنظير والمقارنة ، والتحول بالدعوة القومية الى مصاف عالية من موازنة العصر باستيعاب العلم وانتماء الادب واعادة ارساء القيم ، وتشريف الوسائل ونبل الاهداف والغايات ، للانتظام والرفعة في فقه الحياة .

تحدث في الايمان مرة ففاجأ العالم المتمدن بتصريحه مع الايمان ،.. وكانت القوى العاتية تربص به الانحراف ، وتريده للضلال .

واعتد بثوب العرب حملة رسالة الدين الاسلامي الحق ، واعاد للجهود المجتهد مكانته العلمية التي تفقه العصر بوعي قومي وادراك سليم .

وعاد يسأل جنوده وطلابه وابناء امته بهذه اللهجة العربية الحلوة :

ــ من أي العمام أنت ؟!

فكأنه يعيد غراس الاصالة في حقل الحياة القومية ، بالتفتيش عن الاعراق الزكية ، والاغصان النقية ، والفروع المثمرة التي انبتها الله النبات الحسن .

بل يمني من فات حظه في النسب أن يلحق بكرامة الحياة في مجال من الحسب الجلي ، والعمل الحميد ينتمي فيه الى الامة في أقدارها

وسعيه الحثيث ، فيكون له حظ لنسب اخر يؤخذ عنه، تماما كما في النبات من تطعيم ومكاثرة ، وتزكية لنوعية الانتاج والاثمار المتميز .

نصاب الثقافة القومية

هذه الحياة الفكرية والاجتماعية ، بل الحضارية العلمية هي المعول عليها في كل لقاء بين الاعمام ، وفي كل منطلق للاسهام ، وعند الموازنة والمقارنة بين الايام والاحكام ، .. لا يكاد يخلو منها سامر ، ولا يحيد عنها شاعر ، وربما توثقها خير ناهض وغير ثائر .

واذا ما عرف عن العرب عنايتهم بالانساب قديما ، وكان الامر عندهم علما ومعرفة واحاطة ، ومنالة توفيقية ، فان حرص عليتهم عليه من باب حرص المجتهدين على الميراث ، وهما من العلوم التي تفقد احيانا حتى لا تكاد توجد .

لقد تميز العرب بهذا العلم الجليل ــ وان لم يكونوا بدعا به في الاقوام والامم ــ وكان لهم النسابة الفطناء، فيحياتهم القومية والاعتقادية، عبر الجوانب الاجتماعية والاحوال السياسية التي تعتريهم فتلجئهم الى الانساب يلتمسون فيها الاصالة والكرم ، والتنبل في الحياة .

هذا العلم من المواهب تقتضيه المعارف والاخبار ، بما فيها من القيافة والسيماء ، والالمام بطريق الهجرات والترحل والانتقال والتحضر والتبدي ، والاحاطة بالمنبع والمنزرع والمسكن ، بل الريح والانسام وسائر الانواء ،.. وفي آدابهم من صور العصف ما يرسم بالكلمات ما لا تستطيع عدسة المصور ، ولا ريشة الرسام ، ولا ازميل النحات أن تفيه .

نقل ابن عبدالبر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ــ بعد أن قرأ الآية الكريمة المتقدمة :

« تعلموا من النسب ماتعرفون به احسابكم وتصلون به ارحامكم ».
فكأنه صلى الله عليه وسلم جعل ذلك التعلم قدرا من الثقافة القومية لا يستغنى عنه بحال ! .

والنسابة العرب من القلة بمكان ، وكأنهم الاذكياء اذا ما قورنوا بأعلام الفقه والادب والفن ، أو أهل الاخبار والانواء ، أو علماء الحيل (القوى) والتسخير (الكيمياء والطبيعة (الفيزياء) والتكنولوجيا) . والطب والاقرباذين .

وكان خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو بكر الصديق رضي الله عنه أبرز النسابة في الصحابة الكرام ، وكان عقيل بن ابي طالب رضي الله عنه في أهل البيت الهواشم ، وعبدالملك بن مروان في الامويين التابعين. ومحمد بن ادريس الشافعي في الفقهاء المجتهدين ، وابو داود الظاهري والسيد احمد الرفاعي في العارفين وغيرهم .

وكان الامام عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : (تعلموا النسب ، ولا تكونوا كنبيط السواد)[1] اذا سئل أحدهم عن اصله ، قال من قرية كذا) . فكأنه الحسن القومي السابق لما نعاني منه اليوم ! .

النسابة العرب وآثارهم

وقد تميز بالتأليف والتصنيف في هذا العلم أفراد الدنيا المعدودون من الثقات وأصحاب التراجم والسير والطبقات ،.. اذكر منهم مصعب بن عبدالله الزبيري في (نسب قريش) وهشام بن محمد الكلبي في (جمهرة النسب) وعبدالملك بن هشام في السيرة النبوية ، ومحمد بن سعد في (الطبقات الكبرى) وأبو العباس أحمد بن يحيى البلاذري في (أنساب الاشراف) وعبدالكريم بن أبي بكر السمعاني ، في (الانساب) وعزالدين ابن الاثير في (تهذيب الانساب) واحمد بن علي البدري – من فزارة قلقشندة في (نهاية الارب فيمعرفة انساب العرب) وجلالالدين عبدالرحمن السيوطي ، والسمهودي ، وصاحب عمدة الطالب .. الخ .

وكتب الانساب هذه تمد كتب الطبقات والمناقب والتراجم ، وتأخذ عنها بتعاونية فريدة ، كأنها تبادل المعلومات في المكبترات الحديثة . وتخرج على الاهتمام السياسي في كثير من الاحيان ، وقد افاد منها علماء الحديث النبوي الشريف في الجرح والتعديل بخاصة .

ومازال هذا العلم – النسب – يعني به الناس جميعا ، ويهفون اليه في أحاديثهم وأسمارهم ، ويهتمون لمصنفاتهم فيه أحيانا،..وربما التمسه الشعراء ، وافاد منه الفطناء الاخرون ... هذا غير ما عليه الجمهور من السياسة الشرعية في امرة قريش التي تقتضي الصحة والصلاح ونبل الاعراق .

ولا ننسى ان ايام حكم الاعجام والطوائف كانت قلقة في مختلف العهود ، فهي لا تفتأ تختلق النسبة وتعنى باللقب لتثبيت أقدامها ، . فلا يكاد يقفز متنطع الى الحكم حتى يجد في البحث عمن ينسبه الى

الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ليضمن له صورة من صفة الشرعية ، ويصدق ما عليه الجمهور من رأي الامام الشافعي في الامرة ، . فكان القرشية هذه هي مذهب الامة ، وصراطها وفيصل الحكم .

الفخـار القومي

ومن هنا كانت النسبة الى الاسرة او العشيرة دليل فخار قومـي يعصم الفضلاء ان تراجعوا أو خذلـوا ، يتوسـلون للالتحـاق بالقبائـل الاصيلة والبيوتات النبيلة حلفا وولاءا ، أو لفقا . وبذلك يمتد الشعور القومي بالاصالة ، ويقوى على الايام بالقيم والفضائل .

واذا كانت بعض عادات العشائر وتقاليدها السلبية والقصور الذي تعانيه بسببهما قد أضر بالاجتماع ، ومكن للجاهلية والطيش احيانا ، فان الاخلاق العليا بقيت موفورة فيها والحمد لله تحفظ كرامة الانسان فـي جميع الاحوال ، وتعتدل بها في تقوى قائمة بمثال يشركه الاسوياء وتنعم به الامة سواسية .

غير أن عدد النسابة ما زال يضؤل منذ سنوات الغـزو والاجتياح والمكارهة التي تفرقت لها الامة بعد انقلاب سارية الايام بدولة العرب ،..

ويقل المصنفون فيالانساب عبر الفترة المظلومة حتىاتهم ليستسعفون بالوقائع والاحداث ووثائق الميراث ومراسيم التوجيه او اجازات العلم و « سالناما » الدولة علهم يرتقون فتقا في شجرات النسب ، أويستللون قطعا في السلسلة ،.. ومع ذلك تبقى مدوناتهم مطوية على محجوبة من التضييق والحرص البعيد .

وكذلك الدراسات الحديثة ـ والجامعية منها التي لم تعن بهـذا العلم الجليل ، فالدارسون للشخصيات العلمية والفكريـة والفنيـة ، والمتحرين لحركات الفتح والتمصير قلت عنايتهم بالاحساب والانساب ، وربما سخر منها المشرفون المناقشون ! .

اذكر على سبيل المثال ان مصطفى منذور ـ رئيس جامعة! ـ لم ير في ترجمة الرافعي ـ الاديب الامام مايوجب ان يعنى بتحقيق نسبه العمري ـ القريشي ، وسلوكه الرفاعي ، واحتسابه في التشفع تمييزا وانفرادا عن أهله الرافعيين الاحناف ، .. وعدها أشياء لا تعني شيئا !!.

ولو تأملنا في الموجة التي امتدت على الجامعـات العربيـة بقـراءة (المخطوطات) أو ما سمي (التحقيق) فأنها لم تعن بمخطوطة في النسب

الى الآن!..مع ما فيها من خطورة التواريخ، والاخبار والايام !. وفيها ـ على مايصل اليه علمي نوادر وفرائد اذكر منها (حديقة النسب) للشريف العاملي ، و (شجرة السبطين) ودوائر المعارف للحجة الاصفهاني . و (جوامع النسب) للفاضل علي نصوح الطاهر ، وغيرها كثير .

وهذا امر ان دل على شيء فانما ينبي عن حال للعلوم العربية وتواصلها ، يكشف عن العازة التي عليها اساتذة الجامعات والفروع الانسانية واهل التراجم والطبقات بخاصة .

ومع ذلك كله اذا ما انقلبنا الى اهلينا ورفاقنا في كل اجتماع للتعارف مابين البادية والنبع ، وعند المنزرع ، وفي دارات الحضر والمدنية، ومعاهد الدرس والمراجعة راينا مايعجب ، اذ سرعان ما تمتد الاعناق من جميع الاعمار ؟ يسألون في هذا العلم ليعرفوا انفسهم ، ويبصروا ماهم فيه مصداقا لقوله تعالى : (لتعارفوا) .

البدريون في التاريخ

وفي هذه المطارحة يلحف عليّ الفضلاء من الاعمام والرفاق ان اصفيهم المودة في مقالة في البدريين الذين كان لهم في التاريخ نسب وذكر ، ومع الايام ملحمة وشعر ، وعند البشريات والفزعات همهمات وتجليات ،.. وهي ـ كما قدمت ـ من موضوعات التعارف الشعبية التي تنعطف بها المسيرة القومية ـ وهي تغذ السير في المجالدة الاعتقادية التي تختاضها الامة بالدماء واللهيب ، وتستعيد بها القيادة الفذة خلق الاباء والاجداد في استحضار التاريخ .

ومازلت ارجيء الامر حتى يستوفي حيثياته العملية ومنهاجه ـ وان اجتمع لي من مادة الموضوع قدر ، وما ابرح استزيد حتى اشرف عليه بدراية الثبت ، فان المادة تمنهج لنفسها ، وتلك مسؤولية المجمعي امام معلمة المعارف والاحوال .

ذلك ان النسبة (البدري) التي اتخذت لقبا ليست بجديدة ولا هي من بنات الايام ، فقد كانت معروفة قبل الانبعاث المحمدي لبني حذيفة بن بدر ـ صاحب الفرس الغبراء التي سابقت داحس ، فكانت شرارة الطيش الجاهلية التي ذهبت مثلا في الافتراق ! .

وبقيت الرئاسة في البدريين من فزارة على سائر غطفان الى ما بعد الاسلام ؟ تجدد ببدر بعد بدر ، يمتدون في انحاء الوطن العربي الكبير ،

فيستوطن ابناء بدر بن قائد منهم نواحي القليوبية بمصر ،.. واليه ينسب احمد بن علي البدري ــ مصنف (صبح الاعشى في صناعة الانشا) وكتاب النسب المتقدم ذكره وغيرهما من المصنفات بينما راح ابناء بدر بن قائد الحسيني المتصل نسبه بالقاسم بن جعفر بن علي (الامام الهادي) يمتدون في شمال العراق في الجزيرة الى ديار بكر، حتى ليختلطون بأعمامهم من البدران الاخرين .

وقد امتازت النسبة بعد الاسلام ، وامتدت فشملت كل من أسهم بالمعركة التي ولدت فيها الامة ولادتها الاعتقادية الحقة بالرسالة الخالدة عند ابار بدر بن مخلد بن النضر الكناني ، وفيهم طبقات مصنفات وتراجم وفنون منظومة ، وشروح ! .

ونزل ابو سعود الانصاري ــ الخزرجي هناك فدعي بالبدري ، وكذلك دعي ثابت بن النعمان بن أمية . ومن البدريين من هم من أبناء بدر بن عبدالله بن الزبير بن العوام الاسدي ، .. ومايزال منهم جمع في الحجاز .

وهناك بعض القحطانيين ــ اليمانية في ناصرية العراق ــ البدور .. وربما هناك آخرون في وادي حلفا على النيل منهم ابراهيم البدري ــ الزعيم الاشتراكي كان في معارضة السودان يدعو لوحدة الوادي ؛ .. وفي الجبل الاخضر بليبيا منهم عبدالقادر حسين البدري الذي كان رئيس الوزراء ، وصديقنا الدكتور عبدالرحمن البدري في وزارة النفط هناك ، ــ وهو ممن يعتد بنسبه الى بدرالدين الحسيني .

وفي أصقاع المغرب اذكر اديبا حضر المؤتمر الثقافي ببغداد عام ١٣٧٧ هـ ــ ١٩٥٧ م يذهب في الزعم الى النسب الاموي ، وأمير اخفقت حركته ضد الموحدين هناك . تماما كما تذهب اسطورة يشير اليها صالح صائب من بعقوبة !.

غير أن البحث لم يكتمل عندي بعد ، فقد اختلطت علي الاخبار وجرائد الانساب الموزعة ، المكررة والمزوقة والمقطوعة والمزيدة ، لما انتهى اليه هذا العلم الجليل او كاد الى انصاف القشمة ومن يحرصون على (الاسرار) من عجائز البوار ، ومن يصطنعون الاشجار لمتطعي الايام من الاغمار .

ومن طريف ما اذكره ان عتقاء المماليك كانوا يسمون بالبدريين منهم ابناء قريش في الموصل ،والبدر الاخر الذي ينسب اليه نهر البدرية الذي كان يشطر الرصافة من المدرسة المستنصرية ، وقد قامت على ضفتيه السوق الكبرى التي هي أصل سوق الشورجة القائم الان !.

وان ثورة مسلحة قامت في هندونسيا والملايو على الاستعمار الهولندي يقتادها بدريون حضارمة ترجمت لهم جريدة الوحدة المصرية منذ سنين ! .

وفي أيامنا هذه يحلو لكثير ممن يسلم من الاوربين والامريكان أن ينعت نفسه بالبدري ، وقد رأيت منهم عبدالكريم البدري في القاهرة عام ١٣٩٢ هـ ــ ١٩٧٣ م بعد اسلامه في الازهر .

وربما كانت هناك فرائد اخرى ، وطرائف حسبنا ما مر الآن .

النسب القريشي الكريم

اما الامر لمن يعتد بالشرافة والنسب القريشي الكريم ، وممن يتخذه سنام رفعة وفضل علاء ، فانه لينفرد عما تقدم دراكا ومغزى .

وكذلك كان البدريون من العلويين ، تنتظم النسبة اكثر من بدر جلتهم من الفرع الحسيني ــ وان تميز فيهم بدرالدين محمد بن ابراهيم المجاهد الرفاعي السلوك الذي يمتد بنسبه الى السيد خليل الحسيني احد حفدة عبدالله الكامل بن ابراهيم بن يحيى بن محمد الجواد ،..

وأم الكامل هي عائشة بنت علي بن محمد (الامام الهادي) الذي جعل العروبة ذوقا ومحبة بوعظه المتميز وارشاده العظيم في المدينة المنورة بالنبي (صلى الله عليه وسلم) ، وفي حضوره الى سامراء لنصرة ابن عمه جعفر المتوكل على الله العباسي في يقظته القومية والاعتقادية التي اراد بها السمو .

والنسبة الى الدين والتلقب به كانت احدى وسائل المقاومة القومية الظاهرة منذ تسلل البويهيون الى السلطة في بغداد ، وحاول الحمدانيون الانفصال بالجزيرة وشمال الديار الشامية ، فقد جهدوا بالانتساب الى (الدولة) فكان منهم عضد الدولة وركنها وسيفها .. الخ . حتى حسب الناس ان في الامر وسيلة فرقة واستعلاء ، ليست منها شرعة الدين الحنيف ، فاصطلحوا بينهم ثم تنادوا الى (الدين) الذي يجمع اليه جمهور الامة السواسية الاسوياء !.

وهكذا انتشرت النسبة الى الدين ، وفشت في صفوف الامة فشوا ظاهرا ، وكان الغزو الصليبي للديار المقدسة من بعد قد زادها قوة واعتقادا ، حتى غدت من القاب الجهاد والمقاومة الباسلة .

ثم تعارف الناس فيما بعد على أن من كان اسمه أحمد يلقب بشهاب الدين أو الشهاب ، أو يكنى ابو شهاب ، كالشهاب القلقشندي ، والشهاب الغزي ، والشهاب الخفاجي وغيرهم ..

ومن كان اسمه محمد يلقب بدر الدين كالبدر الوفائي صاحب المحاسن والبدر الحاتمي والبدر الهمام ،.

ومن كان اسمه بكر بعز الدين ، كالعز بن عبد السلام بائع الملوك ، والعز التنوخي ،.. الخ .

ومن كان اسمه عمر بحسام الدين ، وعثمان نور الدين ، وعلي سيف الدين .. الخ .

وكذلك كان البدر الحسيني هذا الذي تلقف الاشارة الرفاعية الى اقرب سبيل الله ..

وكان احد مريدي السيد أحمد الرفاعي الحسيني في البطائح قد سأله الجواب ، فكانت لالتفاتته الكريمة والارادة الربانية في استنقاذ بيت المقدس من الصليبيين البغاة ، فاستنفر اصحابه وبني عمومته من العراق الى هناك ، ونشيدهم يومئذ :

معلومين نحن رفاعية سور الدين اهل الغيرة

وقد كتب الله على أيديهم النصر واستخلاص القدس ثانية في ليلة الاسراء ٢٧ رجب ٥٨٣ هـ ، بعدما فرط المستعلي العبيدي (الفاطمي) ووزيره شاور بانقاذها الاول عام ٤٩٨ — ٥٠٠ هـ ! .

انبأ المجاهدون الرفاعية خاصة — عماد الدين زنكي في الشام بالنصر ، فانفذ اليهم يوسف بن أيوب التكريتي — وكان في عسقلان ، فحضر الفتح وصلى بالناس ، واعتلى المنبر الذي أعده نور الدين لهذه المناسبة الجليلة التي مات دونها !.

ثم ان البدر الحسيني — الحفيد اشترى النيارات (بساتين الابار) ما بين القدس ورام الله ، وما لم يستخلص بالسيف . فأوقفها للعلم وذريته ، ومازال ينعم بخيراتها ذريته من تلامذة وعلماء المدرسة

البدرية ، والمجاهدين الذين لم ينقطع سعيهم حتى اليوم ! ..وفيهم عمنا محمد امين الحسيني ، وابن اخيه عبدالقادر الحسيني ، شهيد القسطل، وابن اخته ياسر عرفات (أبو عمار) ! .

وكان الامين وعبدالقادر يترددان علينا في حاوي سامراء وفي الدجيل قبل ضياع فلسطين مرة اخرى وفي ايام الزعيمين العظيمين ياسين الهاشمي ورشيد عالي الكيلاني ـ خاصة .

وكان استشهاد البدر الحسيني في طبريا ، ولكنه دفن تحت سور البيت المقدس عند باب العمود ، ومن أبنائه الشيخ احمد ظاهر السيد أحمد البدري في المنصورة بهزيمة لويس التاسع ، وماتزال ذريته معروفة هناك ، فيها وفي كفر النور وطنطا ، متميزة عن بدريي القليوبية القزاريين بسيما ظاهرة ، ومظاهرة بدريي ديمياط اصحاب الشأن في التجارة والاقتصاد .

وقد اشتهر في الشام بدرالدين ابن الحفيد ـ او المثنى ، وقد يسمى الجمال ، وكان رجلا صالحا له كرامات مشهورة ، تذكر في مثل قولهم بموال :

تنال الناس جدواها بجدنا ونحن ننال في كدنا وجدنا

وسيدي جابر المكسور جدنا بدر الدين حمال الديات

ومقامه في أول الفراديس من غوطة دمشق الشام .

وعرف بالطب منهم البدر المثلث (بدر الدين الثالث) الذي استصفاه السلطان سليم ياوز (الشجاع) لنفسه ، ولكنه أبى عليه البيعة بالخلافة بعد منصرفه عن مصر ، وادعائه بتنازل المتوكل بالله اخر الخلفاء العباسيين له عنها ... اذ عد البدر السلطان سليما غير أهل لها ، اذ هي في قريش الآباء لا الامهات !..

ولما احس بنية للسلطان قد لا ترحم ، راى على أهليه وعمومتهم من العرب التبدي نجاء بأنفسهم من الايذاء والمصادرة ، فغادروا الى وادي حوران ، يصاهرون العبادلة الفاروقية ـ ابناء عبدالله بن عمر الفاروق رضي الله عنهما ومات هو معتقلا في اسلام بول ، ودفن في تربة ابي ايوب الانصاري ..

ثم ساحوا جنوبا بفلسطين في مرج ابن عامر من حول نابلس الى السوس ! والاردن ، .. حتى الديار الحجازية مابين تبوك والطائف في حيرة قبلية قاسية من شظف العيش وملاقاة المهالك ، تبدى فيها اسمهم الى (البدران) في نوع من المبالغة البادية ، .. ويظهر أنهم لم يلاقوا من ابناء عمومتهم الشرفاء الحسنية ماكانوا يحسبون الراحة اليه ، فعادوا بعد اكثر من قرن يعانون الهجرة في شبه موجة اخرى من القبائل العدنانية الى الكواظم (الكويت) من ديار العراق ، فينتشر بعضهم في متسلمية البصرة مابين المدينة ونهر العرب (كارون) .. حتى اذا ما رأوا مواضعة استعجام بعض من كان منهم من العرب الاخرين بالمصاهرة في سباخ الاحواز عادوا الى مرافقة الفرات صعودا ، يستوطن بعضهم نواحي الاسكندرية والفلوجة فيسمون بالاعوان ، واليهم ينسب المثل شحذ الهم (قوم آل تعاونت ما ذلت) .

ويعمر السلاميون منهم ناحية لدجيل بالزرع والضرع ، قبل ان يتآمر عليهم الاخلاط المبعدون من فيحاء بني شيبان ـ عند الوالي الغشوم ، فيتركوا مالهم هناك متجهين الى العباسية غرب سامراء فديار الموصل ، حيث سميت السلامية باسمهم ـ وقد ملكهم اياها اخيرا القائد المهيب صدام حسين !.

ومن طريف ما يغمز به هؤلاء زعم أعتدادهم بسلاميتهم دون البدران الآخرين ، أو حتى الاسلام !.

اما المشارفة والحجاج والزينان فامتدوا في الجزيرة مابين الفراتين الى دير الزور والبصيرة والرقة ، وجازوا الى حلب والقلمون من ديار الشام ،.. وفي الجرن والمعمرين والزرقاء الى سنجار والميادين وجزيرة ابن عمر في الموصل .

وكان لهم مواقف مشهورة في مناجزة العجم ـ نادر فكي (طهماز) وحملته ـ وقد قيل انهم ابعدوا النساء والعيال الى الخابور والفرات الاعلى في القرن الثاني عشر الهجري بحماية ابناء عمومتهم من ابناء محمد الباقر (البقارة) هناك ، قبل ان يلتحقوا بهم بغية التأمين في الحرب والقتال .

وقد تجدد للبدريين في سامراء تاريخ يمتد بهم الى نواح من الجلام والضلوعية والخوالص من ديالى وعبر النـاي والنهروان الى الكوت فالعمارة ،.. وفيهم يلتف المشاهدة والمراسلة والمراسمة ، . والخابور والزينان والعباد ، غير ما يلتفق بهم من آخرين .

ويلاحظ عليهم تكرار الاسم (بدرالدين) في ابنائهم ، ولا سيما الذين يتزوجون بغير بنات عمومتهم ، ويتحول الاسم هذا في الحضارة الى (بدري) وفي الارياف (بدر) وفي البادية (بدران) .

ويحاول بعض النسابة المتحذلقين الذين يخضعون افكارهم للقصص ودلالاتها الوجدانية زيادة في ادعاء المعرفة والمباهاة ـ التفريق والتكرار بالاسماء ، كزعمهم في هذه الحالة انها لابناء اربعة من اب واحد لا يتفقون عليه ، هل هو البدر الرابع أم غيره ، ويقطعون سلسلة النسب بذلك ، مادامت شجرات النسب تفتقر الى المستند التاريخي من التراجم والسير والاعلام .

أما بدرالدين الذي تنسب اليه الاسرة الحديثة فلعله المخمس ، دفين الجلام بسامراء في تربة الشيخ محمد الجابري . ومن طريف ما يذكر أن نسب الحسان ـ أمراء شمر والبرزان وغيرهم ليتفق مع انسابهم في كثير من هذه الشجيرات المبعثرة بين الزوايا والتكايا تحرص عليها العجائز ، ومن القي في روعهم أن امتلاك « خاقان » النسب يعني السيادة والوجاهة .

ولعل من أفرق ماحدث للنسب الذي كان في بيتنا ـ ويقال انه الاصل الذي صودق عليه في عام ٩٣٠ هـ و ١١٧٠ هـ ، ومنه أعدت شجرات معروفة ـ ان جماعة من بني عبدالمجيد جاءوا من الانبار فأحتالوا على عبدالله الحمد العلي بالاطلاع عليه ، وعرضه على من شك بأرومتهم هناك من عشائر الديلم وزوبع ،.. فلم يعد الينا ،.. حتى احتال عليهم آخرون مثل حيلتهم ، ومازال كذلك يتنقل حتى انتهى الى عجوز تعلقة رقبتها !. وقد استطاع نسيبها أن يستله من ابنها الخرع ، فأورثه ابنه الاكبر الذي تزوج به اصداقا !.

وربما قيل غير ذلك ، انه أرسل الى أبي الهدى الصيادى للتصديق، فلم يعد !!

وهكذا افتقد الاصل ـ وما فيه من قطع ـ حتى تسلل الى صوره المنسوخة من لم يكن لهم في التاريخ باع ولا ذراع ، يحاول النصب بالحوملة وسموا انفسهم اسماء على النسب الحسيني ، .. ولكن عمنا

المرحوم احمد شوقي الحسيني كان جادا في طلب شجرات النسب وتصويرها، لتصنيفها وتحقيقها ـ وان جاء فيها من الانماط مايختلف بعضه في الايراد والاعداد ، . . ولكنها تلتقي عند الخليل الحسيني او البدر الاول . وليتني احظى بما ترك او توصل اليه من اشياء فافيد بها الناس ! . .

الاعلام البدريون

وفي هذه المواصفة التي اختصر فيها الجواب الكبير لا بد أن اشير الى الاعلام الذين أسهموا بالمعرفة والعلم والادب ، ودراية الاحوال ، ممن حفظت لنا كتب الطبقات والسير أسماءهم وبعض ما لهم من مصنفات ، اخص بالذكر منهم أبا البقاء تقي‌الدين بن عبدالله البدري ، الذي كان له في ديوان الانشاء بالشام مكانة ، وهو أول عالم عربي صنف في علم النبات وكتب في التطعيم والمكاثرة بأسلوب علمي متميز ، جاء بعضه في كتابه (نزهة الانام في محاسن الشام) ، وأفرد لذلك كتابا آخر .

وهو غير ابي بكر عبدالله البدري الشافعي صاحب (شرح الوفا في ابناء الخلفا) وكاد يخلطهما صاحب الاعلام .

ومنهم ابو الفضائل الحسن بن علي العوضي البدري الوفائي الذي ترجم لهم في مصنف لما اقف عليه بعد ، واجد في الحصول على مخطوطته من اسلام بول او القاهرة ـ حيث ذكر .

ومنهم محمد بن يوسف البدري القدسي الذي شرح حكم ابن عطاء الله الاسكندري (نسبة الى الاسكندرونة) .

ومنهم الشيخ حسن البدري الذي اصلى نابليون والفرنسيين من نار شعره في المقاومة للغزو والاحتلال وهو ابن عم الامام محمد أبي الانوار السادات البدري الوفائي أحد أعلام المقاومة المصرية في القرن الماضي .

ومنهم الملا علي البدري الحسيني في القلمون ـ وهو جد الامام محمد رشيد رضا داعية الخلافة العربية الذي رسم التاج العربي شعارا لمجلته (المنار) يغيظ به الكفار من الماسون والمنافقين !.

ومنهم الشيخ حمد الذي استرد ديار أهليه ومنها عين الجرن قبل ان يطر شاربه فكان السيد بحق ، وهو الذي تعلص برأس الجبل مقاوما للحكم الغاشم والظلم المبين .

ومنهم الزعيم ذياب البدري الذي ابلى البلاء الحسن في معركة « وان» ورد عادية المسقوف .

ومنهم محمد الحسن الذي أعد الحراسة المشددة على تربة قريش ومراقد الهاشميين في سامراء يوم اعادة بناء الحضرة العلوية بقبتها الذهبية العظيمة .

ومنهم الشيخ عبدالله الحمد الذي قاوم الاحتلال الانجليزي قبل أن تندلع الحركة التي سميت بثورة العشرين ــ ولا أدري كيف تسلل اليها هذا الاسم ، ولم يكن واحد من رجالها يعرف أو يقبل التقويم الميلادي او يقر ما جاء به الانجليز من أشياء ؟!. وقد حكم عليه الانجليز وعلى رفاقه وابناء عمومته بالاعدام ، وقد شرفونا بخاص زيارتهم بعد الذي نالهم من العفو الفيصلي ، وكانت أيام لقاء رائعة ما تبرح الاذهان.

ومنهم حامد البدري الزعيم السياسي المعروف ــ وقد لقى مصرعه في الموصل اول أيام الحكم الفيصلي .

وفيهم الزعيم العظيم ياسين الهاشمي ــ اذ هو من نسل احمد الهاشم العلي الذي آثر الموصل على سامراء حيث فتح الله عليه بالتجارة والوجاهة هناك .

ومنهم فائق شاكر البدري الذي كان وراء قيام مصرف الرافدين في خطوة اقتصادية قومية مخاطرة ، وكان عبدالحميد العزاوي قد شكا اليه معاملة مدير البنك العثماني (الانجليزي) !. بعد ثورة الكيلاني !.

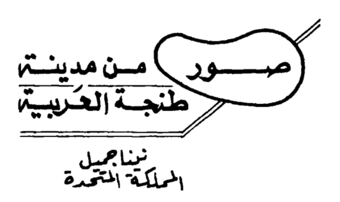
ومنهم محمود البدري الذي عني بالمعارف والمدارس ، فتح واحدة في كبيسة كان لها السهم الاول في اذكاء الروح العربية ــ الاسلامية في لواء الدليم (محافظة الانبار) وهو والد السيد شاكر البدري رأس الفقهاء في العراق الآن .

وفيهم عبدالغفور البدري صاحب (الاستقلال) الجريدة الحرة والصوت لصحافي المتميز .

وفيهم عبدالوهاب البدري رائد النهضة العلمية والادبية في سامراء .

وفيهم محمود فائز الذي لاقى من عنت الانجليز في سجنه والتضييق عليه ، وفيهم أسود الحسن رأس الفرسان ـ المحمد ـ والحاج كاظم في بعقوبة ، وهما ممن طوق سامراء بعد الاحتلال ، واضطر الحاكم السياسي للهرب .

وفيهم ومنهم من لا أذكرهم من الاحياء الكاثرين ، ومن مستعرض لهم ونعرف بهم عند استكمال البحث وأسبابه ، كما سنعرض لفنون الغمار والايام والمعارف عندهم .



تتميز مدينة طنجة كالعديد من غيرها من دول المغرب العربي بالطابع التراثي العربي ، وهذه مقالة ليست بالاكاديمية باي حال من الاحوال ولكنها نتيجة ملاحظات بعد زيارة قصيرة لهذه المدينة العربية المشمسة .

على الرغم من ان المغرب العربي يقع على بعد آلاف الاميال من المشرق العربي يلاحظ الزائر الشبه الشديد بين العادات والتقاليد والذي يتميز بطابع واحد وهو الطابع العربي الاسلامي . وقد يكون لوقع اللهجة العامية في شمال افريقيا وقعا غريبا على الاذن الشرقية تبقى لغة الكتابة والدرس هي العربية الكلاسيكية القحة .

تتمتع طنجة بموقع جغرافي ممتاز جعلها نقطة الالتقاء بين العديد من الحضارات . فهاهي ميناء نشيط يطل في جهة على البحر المتوسط مقابلة صخرة جبل طارق وهاهي شواطئها تغتسل بمياه المحيط الاطلسي من الجانب الاخر . ويستقبل ميناء طنجة العديد من السفن السياحية القادمة من أغلب انحاء العالم . وبالاضافة الى ذلك هنالك السفرات المنظمة واليومية عبر المضيق لقضاء زيارة في صخرة جبل طارق وتستغرق الرحلة عبر المضيق حوالي الساعتين . اما قوارب الصيد الصغيرة فهي مشغولة في اغلب اوقات النهار او الليل بصيد الاسماك والعودة بما يجلبه البحر من الرزق . ويقضي صيادو طنجه الكثير من وقتهم على الشاطيء

في تصليح ورتق الشباك وتجفيفها . ويقوم ابناء الصيادين بمساعدة أوليائهم في اعمال كثيرة منها تنظيف بعض الاحياء المائية كالاخطبوط الصغير الذي يباع مع الروبيان وغيره الى المطاعم او الفنادق والذي يشكل اكلات مغرية الى السواح الاجانب .

وككثير من المدن العربية تتعدد الاسواق المحلية في طنجه . اذ هناك سوق الحد (الاحد) الذي يرتاده القرويون لبيع وشراء المواد والسلع المختلفة كالتمور والالبان والفواكه والاقمشة والاغطية والعطور والبخور والحناء والتوابل كالفلفل بانواعه والكزاويا والكمون وغيرها .

وبالاضافة الى سوق الحد هنالك السوق اليومي (المسقف) . والذي يعتبر بهجة للرؤيا ، اذ قسم هذا السوق الى جانب تباع فيه الاسماك الطازجة والاحياء المائية بانواع عديدة . وهنالك جانب للفواكه ويشكل في الشتاء والربيع تلالا ملونة من البرتقال ، والليمون . ثم هنالك بائعي الخضراوات وبائعي الاعشاب الطازجة وهي حزمات من الكرفس والنعناع والسلق والمعدنوس والكزبرة والكراث . ويباع في السوق اليومي الخبز الطازج بنوعيه الابيض والاسمر وهو على درجة رفيعة من الجودة .

ثم لا يخلو السوق اليومي من الدجاج الحي والديكة والبيض ، وتشتهر طنجه ايضا بالزيتون الذي يباع في هذه الاسواق باكوام صغيرة مخللا بالماء والملح ومزينا باقراص الليمون . وبالاضافة الى ماتجلبه القرويات الى طنجه من الدواجن والالبان تجمع وهي في طريقها الى المدينة مايصادفها من الزهور البرية التي تباع في السوق بحزمات صغيرة .

وتباع في سوق طنجه اليومي التوابل التي تمزج للشاري حال طلبه ومن اهمها هي مزيج بأقدار متساوية من الفلفل الاسود والابيض والكركم . وكذلك يتوفر الزعفران ذو النوعية الجيدة والذي يجلب من اسبانيا عبر المضيق . وكان الزعفران في سنة ١٩٨٢ يباع بـ ٧ دراهم للغرام الواحد .

ويلاحظ الزائر الى سوق طنجه اليومي شخصية ساقي الماء التقليدية (السقا) بملابسه ذات الالوان الجذابة حاملا قربة جلدية مليئة بالماء وهو يطرق باكواب النحاس (البرنج) داعيا العطاشى من المارة .

وتتصف القرويات بوجوهن البيضاء المستديرة والخالية من ادوات التجميل ما عدا العيون التي يحليها الكحل والوشم الدقيق بين الحاجبين. وقد يلاحظ احيانا آثار الحناء في باطن اليدين . وترتدي القروية قبعة عريضة من القش لوقاية الوجه من الشمس . أما لباسها فهو يتألف من اغطية الرأس التي تتكون من عصابة تشد بأحكام مغطية الجبهة ثم قطعة قماش صوفية او قطنية مستطيلة تترك على الرأس كالايزار . ثم هنالك قطعة قماش كبيرة مقلمة بالاحمر والابيض والتي تشد (كالتنورة) وتعقد من الامام وسط الخصر . وتميل القروية (بعكس السيدة من المدينة) الى اختيار الالوان البراقة كالزهري والازرق والبنفسجي .

واما سكان طنجه المدينة فأن طابعها لا يختلف عن طابع اي مدينة مشرقية كبغداد او دمشق او عمان فالازياء هي مزيج من القديم والحديث والوجوه والسحنات هي وجوه عربية قد يكون المرء قد راها في هذه الدولة العربية او تلك . وفي طنجه كما في غالبية مدن المغرب العربي طبقة وسطى كبيرة مثقفة انجبت نخبة من الكتاب والكاتبات والادباء . وكما عندنا في المشرق العربي يحتل رب الاسرة مكانة رفيعة ويلاقي بالاحترام والتقدير من بقية اعضاء العائلة .

ومما يثير الاعجاب هو انه على الرغم من تواجد السواح الاجانب باعداد كبيرة والذين يقبلون على طنجه من مختلف انحاء العالم للتمتع بالشمس والهواء الساحلي النظيف يلاحظ بان الاهالي تتابع حياتها واعمالها اليومية على نحو عربي متزن غير مشوه او متأثر بالعادات الاجنبية الواردة عن طريق السياحة .

وترتدي العديد من نساء طنجه اللباس التقليدي الجلابه (زبون) ويكون بلون غامق وهو على هيئة المعطف الطويل مع غطاء الرأس يغطي الجبهة بكاملها تقريبا .

كما عند القرويات يلاحظ بان الوشم الدقيق يزين مابين حاجبي بعض النساء في طنجه المدينة . ولايزال الحجاب يستعمل من قبل بعضهن ولكن اعدادا كبيرة من البنات والسيدات قد تركن الحجاب والجلابة تفضيلا للملابس الحديثة . ويرتدي الرجل المغربي الحضري جلابه للخروج فوق ملابسه الاعتيادية المتكونة من الجاكيت والبنطلون (قاط) وتكون الجلابه من قماش صوف تختلف جودته باختلاف مستوى ودخل العائلة .

وتتوفر في طنجه مقاه مريحة يرتادها الرجال المغربيون لتنــاول القهوة او شاي النعناع والالتقاء بالاصدقاء . ومــن الملاحظ ان المــراة المغربية كما عندنا في بغداد لا تتردد بشكل ملحوظ على هذه المقاهي ولكن السائحات يقبلن عليها لتناول المرطبات كعصير البرتقال الطازج او الليمون او غيره . وتقدم الخدمة كاملة للسائحة الاجنبية كشيء طبيعي ومقبول من دون اي احراج لاحد .

ولكون السياحة تعتبر من احدى اهــم الصناعات في المغــرب اذ تشكل موردا مهما الى الدولة يجد السائح بان طنجــه مليئة بالفنــادق الحديثة المزودة بجميع وسائل الراحة والمستعدة تماما لاستقبال السـواح. وتكثر الفنادق الكبيرة بالخصوص على الكورنيش (آفينو اسبانيا) والمطلة مباشرة على البحر .

ويستعمل الزعفران بكثرة في مطابخ المغرب . ومن مآكل طنجــه والمغرب المشهورة هي شوربة معدة من الاعشاب كالكرفس والحلبه ذات نكهة عطرية قوية . ثم هنالك الدجاج المعد بالزعفران والزيتون واقراص الليمون ثم الكصكص باللحــم والطاجين وهــو اللحــم المعــد بالحــرق والخضراوات ثم هنالك الباستية وهي طبق معد من لحم الحمام ومغطى بالعجين وهنالك الرز المعد بالزعفران . وبالاضافة الى كل ذلك تباع في المطاعم اللحوم المشوية كالكباب والتكة والاســماك المقليــة او المشــوية واطباقا اخرى تتميز بالطابع المغربي تقدم الى اي من يرغــب بهــا مــن السواح الاجانب .

ومن الحرف والصنع التي تشتهر بها المغرب والتي تباع في اسواق ومحلات طنجه هي الفخاريات على هيئة صحون او بســاتيق او قــدور او اوعية بانواع واحجام مختلفة . وبالاضافة الى ذلك تباع في الاســواق الفخاريات المطلية (الخزف) والقشاني (قطع الكاشي) بالوان جميلــة يغلب عليها الازرق والاخضر والابيض وبرسوم واشكال اسلامية دقيقــــة وبالاضافة الى ذلك تباع في مخازن طنجة الحديثة سلع جميلة محليــة ذات اتقان ومهارة وفيها الملابس النسائية المغربية المطرزة بخيوط فضية او ذهبية مع انطقة مطرزة بدقة وبالامكان تشبيه هذه الملابس بالهاشمي المشرقي .

وفي المحلات الحديثة التي تجذب السواح هي المحلات التي تتخصص في بيع الجلود او السجاد او اغطيــة البرســيم او الاخشــاب المحفــورة والمطعمة . ومن اهم الاخشاب التي تشتهر بها المغرب هو خشب العرعر

العطري الرائحة والذي تصنع منه الصواني والعاب الشطرنج والتحفيات وغيرهـا .

وتصل الى أسماع الزائر في شوارع طنجة الموسيقى المنبعثة اما من جهاز الراديو او المسجل . ومن المميز طابعها الاندلسي والموشحات وهذا ليس بالغريب لقرب طنجه عن اسبانيا العربية في العصور الاسلامية .

واما مركز طنجه التقليدي فهو ساحة السوق القديم الذي تحتله اليوم محطة الباصات . ويشغل جانب من الساحة الطـاق (القـوس) الذي يؤدي الى شارع الصياغين وهو من ضمن المدينة القديمة المسورة . ويقود هذا الشارع الى ازقة ضيقة مزدحمة ودكاكين الصاغة والاقمشة والجلود ودكاكين تختص في بيع والملابس والاحذية المطرزة والموشاة . ومن أهم الدكاكين الصغيرة في تلك المنطقة هي دكاكين العطور .

من المعروف من أن العرب في المشرق العربـي وخـلال العصـور العباسية كانوا قد اشتهروا بالعديد من الصناعات والمهن . ومن احدى تلك الصناعات هي صناعة ومزج العطور . ومن الملاحظ اليوم ان العديد من هذه المهن كصناعة العطـور أو القاشاني (الكاشي) قـد تضاءلت أو اختفت في المشرق العربي ولكن من المثير للاعجاب يجد الزائر الى مدينة طنجه وغيرها من مدن شمال افريقيا رواج صناعة العطور . ومن اهـم الدكاكين المختصة بالعطور في مدينة طنجة هو دكان السيد ابراهيم المدني في المدينة القديمة . ويقوم السيد ابراهيم هو وابناءه الشـباب بصناعة ومزج العطور ذت المستوى الرفيع . وعلى الرغم من صغر مساحة الدكان تمتلىء الرفوف بعشرات القناني والقارورات المعنونة كل بأسمها . فها هو عطر الياسمين وعطر الفراشة وعطر الليمون وعطر القرنفل والبنفسـج وعطور اخرى عديدة مستخلصة من الازهار او التوابل العطرية وممزوجة بدقة واتقان مع المسك والعنبر . وبالاضافة الى العطور يختص السيد ابراهيم كما يختص الكثيرون غيره في بلاد المغـرب في تقطير وبيـع مـاء الورد (جنبد) او القداح بأسعار مناسبة تدل على توفر المواد . ويودع السيد ابراهيم زبائنه عادة برشة من قنينة عطرية يلازم عطرها الزبـون لايام عديـدة .

واذا استمر الشخص بالسير في أزقة المدينة صعودا يصل الـى شوارع وأزقة القصبة التي تقع على هضبة على الجانب الشمالي الشرقي من طنجة وهي من ضمن المدينة القديمة المسورة .

والقصبة عبارة عن منازل سكنية مطلية بالبياض تتفرع منها ازقة ضيقة متشعبة الواحدة من الاخرى وقد يضل الاجنبي طريقه بسهولة اذا كان من غير دليل .

ويلاحظ الزائر الى ازقة القصبة الحياة الفولكلورية الشعبية بكامل الوانها . اذ انه من المؤكد من ان الكثير من صورها لم تتغير منذ العهود العباسية . فها هو شيخ مسن قد احنت السنون ظهره يتوكأ على عصا وقد التف بعباءته الصوفية الخشنة (الجلابه) . وعلى الرغم من ابيضاض شعر حاجبيه يلاحظ ان لحيته قد طغى عليها لون الحناء او هل هو الزعفران ياترى ؟ ثم هنالك طفلة صغيرة تلعب في الزقاق وقد تركت الحناء لتجف على جدائل شعرها المرتب فوق راسها . وهنالك رجل فقير يطلب الرزق على قارعة الطريق من بيع بيع مواد تقليدية لا تتواجد بسهولة في الجانب الحديث من المدينة وفي هذه المواد هي السواك لجلي وتنظيف الاسنان والحرمل للبخور والحناء لصبغ شعر الراس او اليدين او القدمين . ويؤكد البائع من ان الحناء يجب أن تمزج مع الورد المدقوق (ورد جنبد) او مع ورد الاوندة المدقوق للحصول على رائحة عطرة .

ويودع الزائر طنجة شاعرا بامتنان لهذه المدينة واهاليها للضيافة العربية الاصيلة .

تعقيب وتصويب

جميل الطائي

لقد اطلعت على مانشرته مجلتنا التراثية الغراء بعددها الاخير (التاسع والعاشر / ١٩٨٤) عن (الزورخانات في القطر العراقي) بقلم الاستاذ الحاج ابراهيم حلمي حسن القيسي ٠٠ والحقيقة أنني لو أردت الرد على كـاتب الموضوع بصورة مفصلة لطال علينا وعلى القارىء الكلام ولكنني ساكتفي بالرد عليه منطلقا في نقاط ثلاث وهي :

أولا : لو تتبعنا ما جاء به موضوع الكاتب الفاضل لوجدناه قـد جاء نقلا عن موضوع سبق وأن دونـه ببراعة صديقنا المرحـوم (زكي كاظم) في جريدة (الرياضي) التي كانت تشرف عليهـا انذاك وزارة الشبـاب وبأعدادهـا الصـادرة في ٢٧ ـ ٣٠ / ٩ / ٩٧١ و ٥ / ١٠ / ٩٧١ وقـد كان المفروض بـه وهـو يقوم بهذا العمل أن يشـير الى المصدر الذي أستقى منه معلوماته لا ان ينسبها لنفسه ٠٠ وما اود الاشارة اليـه هنا ايضا هو أنه قد فاته عند نقله للموضـوع الالتفات الى الهفوات التـي سبق وأن فاتت على صديقنا وصديقه المرحوم (زكي كاظم) من قبل وهـذا يعود الى ان الناقل الفاضل لم يكلف نفسه عناء البحث والمراجعة لاسيمـا وانه يقوم بكتابة تاريخ من المحتمل ان يكون مرجعا للباحثين والمتتبعين لهذا النمط من التراث فيما بعد ٠٠ مما كان يتوجب عليه (التنبيه) اليها

ثانيا : النقطة الثانية التي فاتت على الكاتب ودون تمحيص أو متابعـة أيضا هو ما ذكره على الصفحـة (١٢٨) من المجلـة المذكورة بقوله (قدم بغداد ـ ناصرالدين ـ شاه ايران ـ وذلك قبل ـ ١٤٧ ـ عاما تقريبا للتشرف بزيارة العتبات المقدسة وكانت بغداد حينذاك موضع حسد لكثـرة مايبرز فيها من الابطال المصارعين) ٠٠٠

وتعقيب على قوله هـذا هو : أن اي متطلع للتأريـخ يجد ان مثـل هذا القول لا يمكن ان يصدر من قبل استاذ سبق وان افنى زهرة شبابه وعصاره

خكره في مهنة التدريس الى ان احيل على التقاعد قبل سنوات أقول كيف جاز لمثله ان يقع بمثل هذا الخطأ .. أذ أننا لو تصفحنا سفر التأريخ القريب لوجدنا ان مجيء هذا الشاه ـ المريض ـ العراق كان في زمن ولاية الوالي المصلح (مدحت باشا) الذي دام حكمه لقطرنا يومها ثلاث سنوات من عام (١٨٦٩ ـ ١٨٧٢) كما أن مجيء ذلك الشاه كان في السنة الاخيرة من حكم هذا الوالي المصلح اي في عام ١٨٧٢ أما ما ذكره الاستاذ كاتب الموضوع فقد كان يختلف اختلافا كبيرا جدا ودليلنا هو لو اننا قمنا بأجراء المعادلة البسيطة التالية وهي لو طرحنا السنين التي ذكرها الموما اليه وهي ـ ١٤٧ ـ سنة من عامنا الحالي لظهر لنا ان ناتج الطرح يكون (١٨٣٧) وهو العام الذي قصد به الكاتب الفاضل عن تأريخ مجيء ذلك الشاه المريض الى العراق وهو ما لايقره ابسط الدارسين للتأريخ

ثالثا :

واخيرا ذكر الاستاذ ابراهيم علي (الصفحة ١٣٥) من مجلتنا الغراء عند تطرقه عن تأريخ (الزورخانة في القطر العراقي) بقوله (أن زورخانة محلة بني سعيد كانت تدار من اقوى رجل عرفته بغداد وهو البطل ـ موسى بن ابو طبره ـ وينوب عنه في حالة غيابه البطل الحاج مسلم والسيد نايل العاتي)

ان الصديق الفاضل وقع هنا بخطأ اخر وذلك لاعتماده على الموضوع السابق كما هو دون التأكد من صحته لانه لو كلف نفسه قليلا من العناء وذهب الى المحلة المذكورة التي سبق وان كان هو أحد ساكنيها لفترة من الوقت وسأل من شاء من (ولد الطرف) الاصليين الذين لازال والحمد لله موجود البعض منهم فيها لذكروا له بأن ماجاء بقوله لا اساس له من الصحة وان (الزورخانة) المذكورة تعود الى المرحوم (السيد علوان السامرائي) وليس للمرحوم (موسى بن ابو طبرة) .....

وبعد فاننا نهدف بهذا الى الحرص على الدقة والامانةفي تدوين التاريخ الرياضي

هذا وتقبلوا فائق شكري وجزيل أحترامي

13. Folklore

by

Dr. Mohammed Al-Jawhari

A review of the book by Kassim Khedhayir the book deals with saints, birthday parties, witchcraft, Dreams and their interpretation, supernatural creatures, folk medicine.

14. An Ancient Egyptian Legend

by

Mahmood Bayomi

The writer says that there are some cities and villages that carry names which go back to the days of the Pharaohs, such names as Talkho, Gogar, Mitassas, simnod. Mr. Bayomi tells us a story that explains the names of these places and shows that they are connected with ancient Egyption persons.

15. Public Bath Houses

by

Naji Jawad

The article is an account of public bath houses half a century ago, and how men prepare themselves for going to those bath houses and how washing was done inside them.

16. How Did It Begin

by

Brash

This is the second part of how some beliefs began. It is translated by M. Said Ahmad. The items dealt with here are birth and its customs, stork and children, blue colour for boys and purple for girls, prambulator, the birth day cake and candles, the kiss, spooning.

17. Commentaries

1. On Musk and Amber by Aziz Al-Ali.
2. Tabaq and sas Dance by A. Latif Al-Maadhidi.

the Arab Gulf states. The studies and researches dealt with the physical culture, elements of physical culture in marine, desert and agricultural environmenst, function of folklore in Arts and Literature, and other subjects.

9. The Influence of the Orient on Western Literature

by

Jean Richard

The article is a translation from French by Dr. Akram Fadhil about the influence of the Orient on the Western Literature in the Middle Ages especially ballads such as the Song of Rolland and the Song of the Door and many tales and legends sabout Alexander the Great and other stories all over Europe.

10. Dictionary of Mythology

by

Lutfi Al-Khori

This is the eighth part of a work the first of its kind in Arabic in alphabetical order of world mythology. Here he deals with Bes, Bishaman, Bishma, Baishu, Bellerophone, Benten, Bennu, Behula, Beowulf, Papsukkal, Patokia, Parasarama, Parvati, Parijata, Pris, Pan and Panchatawa.

11. The Bird that Never Dies

This is an African folktale translated by Mr. Najman Yesseen. It is about a man who killed his wire, but the bird revealed the secrect of his crime.

12. Ungrateful

by

Kassim Hameed

This is an Iraqi folk tale about four thieves who were saved from a sand storm by a tribe sheikh whose fine horse they stole, but they were killed by snakes on their way of fight.

6. Museums of Athnology

by

Dr. Hameed Majeed Arif

The article is a study of meseums of athnology and the methods of exhibiting, and how they first began as a mateur hobbies and developed into government institutes.

Then the article shows the methods of exhibiting articles after they are collected or being recorded in film or slides or records, and keeping books containing information about every article.

Meseums differ in the ways of exhibiting their contents, but most of them follow one of the following ways :

1. The historical way
2. The geographical way
3. The specialized way
4. The social way
5. The Open - air meseum.

7. Palestinian Folklore in the Books of Arab Travellers

by

Fouad Ibrahim Abbass

The author gives us a review of Palestine in the books of Ancient Arab geographers and travellers such as Massudi, Hammawi, Ibn Batuta, Ibn Jubair and Al-Maqdisi.

8. Folkloristics A Necessary Demand

by

Dr. Hani Ibrahim Jabir

The article is really a review of a Symposium for the planning of physical culture and folk crafts held in Doha, Qatar 2-6 February 1985 under the patronage of the Folklore Centre of

3. Arabum Proverbia

by

G.W. Freytag

This is a very valuable study by Mr. Jaleel Al-Attiyah about G.W. Freytag (1788-1861) and his great efforts concerning Arabic literature, especially his work on Arabic Proverbs in three volumes.

4. Fables of Lokman the Sage

by

Dr. Yousuf Habbi

Fables and parables go back to the Sumerian, Akkadian, Babylonian, and Cananite Literatures. Many proverbs and maxims are related to Lokman the Sage who proceded Soloman and Ahikar in date. Ahikar (714-681 B.C) was the counceller og King Sinharib and his wise sayings are known and published in Arabic in Baghdad, 1976.

Dr. Habbi gives us 40 of Lokman's fables, some of which are the same as those of Aesop.

5. Betrothal in the African Tribal Customs

by

Dr. Mahmood Salamah Zenati

This study deals with betrothal in the African tribal customs such as the procedures of betrothal in various tribes whether being herders, rural or both of them and how a bride or a bridegroom in chosen. The article also studies the ages of both of them and the duration of the betrothal and its requirements such as dowry, present and visits. The last item conc rns breaking the betrothal which may be compulsary or optional.

ARABIC ARTICLES IN BRIEF

by

Kadhim Sa'adeddin

On the occasion of the Iraqi Folklore Week,, a seminar was held by the Office of Cultural Affairs and Publication in Baghdad on 12-14 May, 1985 under the patronage of his Excellency the Minister of Culture and Information. The participants in the seminar sent a cable to President Saddam Hussein appraising the support and patronage of 17-30th Revolution to fine folk arts and traditions, and another cable to Mr. Ahmad Mukhtar Ambu Director General of the Unesco demanding a firm stand against the dangerous results of the Iranian shelling of the Iraqi frontier cities and antiquity mounds and sites. The seminar adopted several valuable recommendations concerning folklore.

1. Readings in Arabic War Literature

by

Salih Mahdi Al-Azzawi

The author says that the Arabs are wellknown for their courage in war He gives many examples of verse to support his opinion.

2. Elements of the Jordinian Folklore

by

Dr. Ahmad Al-Rebaiah

After giving various definitions of tradition and the importance of its study, the author studies four elements of the Jordinian folklore : food utensils, clothing, proverbs and witchcraft.

Contents

Editorials

1. Readings in the Arabic War Literature, by Salih Mahdi Al-Azzawi
2. Elements of the Jordinian Folklore, by Dr. Ahmad Al-Rebaiah
3 Arabum Proverbia, by G.W. Freytag
4. The Fables of Lokman the Sage, by Dr. Yousuf Habbi
5. Betrothal in African Tribal Customs, by Mahmood Al-Zanati
6. Museums of Athnology, by Dr. Majeed Hameed Arif
7. Palestinian Folklore in the Books of Travellers, by Fouad Ibrahim Abbass
8. Folkloristics, A Necessary Demand, by Hani Jabir
9. The Influence of the Orient on Western Literature by J. an Richard
10. Dictionary of Mythology by Lutfi Al-Khouri
11. The Bird that Never Dies, folktale
12. Ungrateful, Iraqi folktale, by Kassim Hassan
13. Folklore, by Dr. M. Jawhari, Reviewed by Kassim Khedhayir
14. Ancient Egyptian Legends, by Mohmood Bayoomi
15. Public Bath Houses, by Naji Jawad
16. Haw didit Begin, by Brash
17. Commentaries :
    1. On Musk and Amber
    2. Tabag and Sas
18. Noble Decent, Genealogy and their Influence on People's Life, by M. Numan Badreddin
19. Pictures of Tangier, by Nina Jamil

AL-TURATH AL-SHA'BI

BIOMONTHEY JOURNAL OF FOLKLORE

ISSUED BY

THE OFFICE OF CULTURAL AND PUBLICATION AFFAIRS

THE MINISTRY OF CULTURE AND INFORMATION

Khulafa St. — Baghdad — Republic of Iraq

No. 4th - 5th and 6th - 1985

Editir-in-Chief

BASIM, A. H. HAMODY

Correspondence Should be Addressed to The Editor-in-Chief

Alhurriya Printing House

1985

رقـم الايداع في المكتبة الوطنية ـ بغـداد
(٥٤) لسـنة ١٩٨٥

دار الحرية للطباعة ــ بغــــداد
١٤٠٥ هـ ــ ١٩٨٥ م

AL - TURATH AL-SHA'BI

BIOMONTHLY MAGAZINE OF FOLKLORE

ISSUED BY
THE OFFICE OF CULTURAL AFFAIRS AND PUBLICATION
THE MINISTRY OF CULTURE AND INFORMATION

Khulafa St.-Baghdad-Republic of Iraq

NO, 4th- 5th- and 6th

Editir-in-Chief

BASIM. A. H. HAMODY

Correspondence should be Addressed to The Editir-in-Chief

سعر المجلة في الاقطار العربية

العراق	٤٠٠ فلساً	البحرين	٥٠٠ فلس
لبنان	٤ ل.ل	مصر	١٥٠ مليماً
سورية	٣٠٠ ق.س	السودان	٣٥٠مليم
الاردن	٣٥٠ فلساً	ليبيا	٤٥٠ قرشاً
السعودية	٦ ريالات	الجزائر	٥ د.ج
الكويت	٥٠٠ فلس	المغرب	٦ دراهم
قطر	٥٠٠ فلس	تونس	٤٥٠ ملم
اليمن	٣٠٠ فلس	دولة الامارات العربية	٥٠٠ فلس

دار الحرية للطباعة بغداد

توزيع الدار الوطنية للتوزيع والاعلان